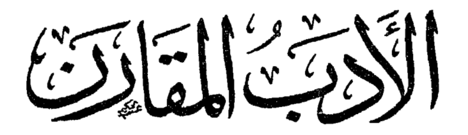
الأدب المقارن

تأليف

الدكتور محمد غنيمي هلال

ليسانس ودكتوراه الدولة فى الأدب المقارن من السوربون
مدرس الأدب المقارن بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة
وبكلية الآداب بجامعة إبراهيم

مطبعة مخيمر شارع الجيش ت ٤٧١٩٣



تأليف

الدكتور محمد غنيمي هلال

لسانس ودكتوراه الدولة فى الأدب المقارن مع مرتبة الشرف الأولى

من السوربون

مدرس الأدب المقارن بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

وبكلية الآداب بجامعة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مطبعة مخيمر شارع الجيش ت ٤٧١٩٣

تقـــديم

موضوع هذا الكتاب « الأدب المقارن » . وهذا التعبير كما نرى مكون من كلمتين هما : الأدب والمقارن .

أما الأدب فكثيراً ما اختلف الباحثون في تعريفه وطال جدالهم فيه . ولسنا بصدد مناقشة هذه التعريفات والمفاضلة بينها . ولكن مهما يكن بينهم من اختلاف فهم لايمارون فى توافر عنصرين فى كل مايصح أن نطلق عليه أدبا: هما الفكرة وقالبها الفنى ، أو المادة والصيغة التى تصاغ فيها . وهذان العنصران يتمثلان فى جميع صور الإنتاج الأدبى : سواء أكان تصويرا لإحساسات الشاعر وخلجات نفسه تجاه عظمة الكون وما فيه من جمال وأسرار ، وحيال آلام الإنسانية وآمالها ؛ أم كان تعبيرا عن أفكار الكاتب فى الإنسان والمجتمع . وسواء كان مظهر ذلك الإنتاج فى رسالة أو مقالة ، أم فى مسرحية أو قصة ، يدعو فيها الكاتب أو الشاعر إلى فلسفته فى الحياة ، أو يحلل شخصيات أبطاله ، عن طريق الكشف عن الحقائق، وتصوير النماذج الإنسانية تصويرا يكفى فيه عرض حالات النفس فى مواقفها المختلفة للايحاء بالأفكار، بل لترجمة هذه الأفكار إلى مشاعر وعواطف وأعمال .فلا يُتَطلبُ من الأديب أن يفكر فيتعمق فى التفكير حتى يضل بقرائه فى متاهات الفلسفة ومعميات الأفكار المجردة ، ولا أن يبحث فيستقصى نواحى البحث فى تحليله

لكل حالات النفس ونواحي المجتمع؛ لا نكافه ذلك لأن رسالته يكفى فيها أن تُعْرَض الفكرة عرضاً فنياً يجذب إليها القراء ، ويجلوها فى أذهانهم ، ويسجلها فى وعيهم، إذ تتخذ من صياغتها الفنية طريقها إلى القلوب ، ومن هنا يكتب لها الرواج والانتشار ، ثم الدوام والخلود . فعنصرا المادة والصياغة فى الأدب مقومان من مقوماته، وهما له كالجسد والروح للإنسان ، سواء قدمت أحدهما على الآخر أم اعتبرتهما كليهما على حد سواء (١) . ويعنى النقد بدراسة هاتين الناحيتين للأدب القومى ، فيدرس هذا الانتاج فكرة وأسلوباً ، ويكشف عن العوامل النفسية فى حياة الكاتب وثقافته وصلة ذلك بإنتاجه ، كما يكشف عن العوامل الاجتماعية ، فيبين منزلة هذا الأدب فى المجتمع الذى نشأ فيه ، ومكانة الأديب بين سابقيه ولاحقيه من بنى قومه .

وأما كلمه المقارن فلا يقصد بها هنا المقارنة بمعناها اللغوى — وسنوفى القول فى هذا عند ما نعرف الأدب المقارن فى الفصل

---

(١) أصحاب الدعوة إلى الفن للفن لا يغفلون جانب الفكرة فى أدبهم بل إن منهم من يدعو إلى العناية بالناحية الفنية رغبة المريد فى إيضاح الفكرة وشرحها راجع مثلا :

Ph. VanTieghem: Doctrines littéraires, P 235-242-
R. Dumesnil: G. Flaubert; P 411-427

الأول من هذا الكتاب — بل يجب أن يلحظ فيها المعنى التاريخى ، وبذا يكون الأدب المقارن هو دراسة الأدب القومى فى علاقاته التاريخية بغيره من الآداب خارج حدود اللغة القومية التى كتب بها .

ولقد كان يظن فى بدء الأمر أن من الصعب بل من المستحيل تحقيق هذا النوع من الدراسة ؛ لأن الناحية الفنية تعتبر مقوما من مقومات الأدب ، وهى ناحية خاصة بالعرض والصياغة ، وللغة فى ذلك دورها الذى لا ينكر . فاللغات إذن حدود حصينة تحول دون انتقال الأفكار فى صورها الفنية . وقد كان هذا الظن عقبة كأداء فى سبيل العناية بالدراسات الأدبية المقارنة ؛ ولكن سرعان ما تبدد حينما تبين الباحثون أن من الحقائق التى لا مجال لأدنى شك فيها أن الآداب فى مختلف الأمم تتبادل فيما بينها علاقات التأثير والتأثر بالرغم من اختلاف اللغات التى كتبت بها ، ذلك لأن الأفكار والتعبيرات كثيراً ما تتناظر وتتكافأ فى معظم اللغات ، وإلا لما تيسرت الترجمة [1] ، ولما لقى كبار الكتاب حظاً وإعجاباً بهم فى مختلف اللغات ، ولما نسجت الآداب

---

(١) حقا إن الانتاج الأدبى يفقد بعض روعته حين يترجم إلى لغة أخرى ، لأن له فى لغته الأصلية مزايا لا تتذوق إلا فيها . ولهذا أوجبنا على دارس الأدب المقارن أن يعرف اللغات التى يقارن بين آدابها . أنظر هذا الكتاب ص ٥٣ — ٥٤

الحديثة على منوال الآداب القديمة ، كما كان عليه الحال مثلا في أوربا في عصر النهضة . هذا إلى أن الأدب المقارن لا يعني بدراسة ما هو فردي في الانتاج الأدبي فحسب ، بل يعني كذلك بدراسة الأفكار الأدبية ، وبالقوالب[١] العامة التي هي من وسائل العرض الفنية ، وبالتيارات الفكرية ، وكل هذا مما يجد سبيله إلى القلوب في مختلف اللغات « وإن خير نواحي الانتاج الأدبي لكبار الكتاب في كل أمة ليست النواحي الوطنية ، بل هي النواحي العالمية »[٢]

وفوق هذا قد تجد الناحية الفنية سبيلها للخروج من نطاق الأدب القومي والتأثير على الآداب الأخرى . فقد تتبادل الآداب التأثر في النواحي الفنية للصياغة في الشعر والنثر ، كما سيتاح لنا شرح ذلك أثناء دراستنا لموضوع الأدب المقارن في هذا الكتاب[٣].

وكتابنا هذا يجوز لنا أن نسميه « المدخل لدراسة الأدب المقارن » أو « الأدب المقارن ومناهج البحث فيه » لأني لم أقصد فيه إلى دراسة مسألة خاصة من مسائل الأدب المقارن ، بل أردت

(١) كالقصة والمسرحية مثلا في قواعدها الفنية وهو ما سنطلق عليه كلمة الأجناس الأدبية .

(٢) انظر : R. de synthèse; 1920, P.23 - 24

(٣) أنظر هذا الكتاب ص ١٠٦ — ١١٢

عرض موضوعه إجمالا . وجعلته قسمين : شرحت فى القسم الأول منه معنى الأدب المقارن ، وتاريخ نشأته، والوضع الحالى لدراسته فى أوربا مع دعوة لإقرار منهج منظم له بالجامعات المصرية ، ثم عرضت ميدان البحث فيه عرضاً سريعاً . وخصصت القسم الثانى لفروع الدراسات فى الأدب المقارن وطرق البحث فيها . وتوخيت أن أضرب أمثلة لمسائل البحث ، لمجرد شرح ماسقت من توجيهات عامة، دون أن أقصد إلى استيعاب شرح هذه المسائل التى قد يستغرق بحث كل منها كتابا أو كتبا . ولم أتردد فى ذكر أمثلة قد تكون جد معروفة لمن درسوا الآداب العربية وتخصصوا فيها ، لأنها قد تكون مجهولة عند غيرهم . وقد عمدت فى شرحى للأفكار العامة إلى اختيار مايوضحها من أمثلة خاصة بعلاقات الأدب العربى بالآداب الأخرى ما وجدت إلى ذلك سبيلا ، عسى أن يكون فى ذلك حافز وتوجيه لمن يريدون المشاركة فى مثل هذه البحوث ، لما لها من جدة وطرافة وأهمية بالغة .

فاذا وجد هذا الكتاب سبيله إلى ترغيب الباحثين فى هذا العلم من علوم الأدب، وإلى الدعوة إليه، وإلى شىء من التوجيه العام فى بحوثه، كان ذلك حسبى على التوفيق من دليل ، وعلى الله قصد السبيل .

محمد غنيمى هلال

القسم الأول : الادب المقارن

الفصل الأول

تعريف بالأدب المقارن

إذا كان طبيعياً أن يسبق البحث فى أى علم التعريف به تعريفاً عاما يوضحه فى نفسه ، ويميزه عن غيره ، فهـذا التعريف ألزم مايكون للأدب المقارن لجدة البحوث فيه وللخلط فى فهمها أحياناً .

الأدب المقارن هو التاريخ المقارن للآداب المختلفة فى صلاتها بعضها ببعض ، وما ينتج عن هذا من تأثير أو تأثر ، سواء تعلق ذلك بالأجناس والمذاهب الأدبية ، أو بالموضوعات والأشخاص المختلفة ، أو بالمواقف والتيارات الفكرية ... على نحو ماسنفصله فى موضوع الأدب المقارن فيما بعد .

ومن الأدب المقارن أيضا أدب الرحلات ، ودراسة الرحالة من الأدباء ، وبيان مواقفهم من البلاد التى رأوها ، وما كان لذلك من أثر فى تفهم الشعوب بعضها لبعض ، وصدى ذلك كله فى مختلف الآداب . فمدلول كلمة الأدب المقارن تاريخى قبل كل شىء ، ونكون أكثر دقة لو سميناه التـاريخ المقارن للآداب أو تاريخ الآداب المقارن . ولكن العلم قد اشتهر باسم الأدب المقارن وهى تسمية

ناقصة فى مدلولها ولكن إيجازها سهل تداولها فغلبت على كل تسمية أخرى[١] .

كثيرا ما يجد مؤرخ الأدب القومى نفسه أمام مسائل من أدب أمته يضطر فى الاجابة عنها إلى الخروج عن نطاق ذلك الأدب القومى إلى ميادين فسيحة من الآداب الأجنبية الأخرى ، فإذا تعرض لشرحها فقد يحيد به ذلك عن غايته ويبعد به كثيرا أو قليلا عن قصده .

وليس هذا بقاصر على تبادل المذاهب والأجناس الأدبية والتيارات الفكرية بصفة عامة ، بل إنه ليتجاوز ذلك إلى الميادين الخاصة ، كالبحث عن المناهل الأجنبية التى استقى منها كاتب ما ، ومدى ما استعار فى مؤلفاته مما له أصول فى كتب أدبية لأمة أخرى أو فى تقاليدها ، وما أكثر هذه الاستعارات فى كتب كبار الكتاب من كل دولة ، وهذا هو ما عبر عنه الكاتب الفرنسى

---

(١) قد تعاورت أقلام الكتاب الأوربيين هذه الأسماء المختلفة طوال القرن التاسع عشر ، ولكن اسم الأدب المقارن كان أكثرها نجاحا وبخاصة بعد أن استعمله سانت بوف Sainte Beuve سنة ١٨٦٨ م

راجع : Revue de Littérature Comparée 1921, P. 7—9

فيلمان Villemain في محاضراته في السربون عام ١٨٢٨ م بأنه : « السرقات الأدبية الأبدية التي تتبادلها كل الدول » .

هنا يتدخل الأدب المقارن لدراسة الصلات بين الآداب المختلفة ومواضع تلاقيها ، وديون كل منها نحو الآداب الأخرى ، وبهذا يفيدنا في الاجابة عن مسائل قد يستعصى حلها بدونه[1] . لأن من يتصدى لهذه البحوث يتحتم عليه أن يدرس المنطقة التي يتلاقى عندها أدبان أو أكثر من آداب الأمم المختلفة في ، عصور وأنواع من الأدب معينة .

وعليه أن يوجه اهتماما كبيرا إلى التراجم وأنواع التقليد ثم إلى التأثر والتأثير الحضين ، ولا بد أن يعرف اللغات التي يقارن بين آدابها .

وبهذا المعنى يكون الأدب المقارن جوهريا لدراسة تاريخ آداب اللغات ، والسبيل الوحيد لربطها بعضها ببعض ، ولإيضاح ما غمض من مسائلها وحل ما استعصى من مشاكلها .

وقد كان الباحث الفرنسي جون جاك أمبير J.J. Ampére من أوائل من نبهوا إلى الأهمية التاريخية لدراسة الأدب المقارن إذ قال في محاضرته في السربون عام ١٨٣٢ م : «سنقوم أيها السادة بتلك الدراسات المقارنة التي بدونها لا يكمل

---

(١) راجع Revue de Synthése Historique 1920, P.4

تاريخ الأدب [1] »

فليس من الأدب المقارن فى شىء أن نوازن بين أدباء شعوب مختلفة لا صلة تاريخية بينهم كالموازنة بين شكسبير Shakespeare وراسين Racine مثلا ، أو كالموازنة بين ملتون Milton (١٦٠٦ — ١٦٧٤) وأبى العلاء المعرى لمجرد تشابه بين الشاعرين فى مركزهما الاجتماعى أو فى بعض أفكارهما .

ولا يصح أن ندخل فى حسابنا مجرد عرض نصوص أو حقائق تتصل بالأدب ونقده لمجرد تشابهها أو تقاربها بدون أن يكون بينها صلة ما تنتج عنها توالد أو تفاعل من أى نوع كان . قد يكون الجرى وراء مقارنات من هذا النوع مفيدا لتقوية الملاحظة وللاحاطة بمعلومات كثيرة ، ولكنه ليست له قيمة تاريخية حتى يعد فى باب الأدب المقارن ، على أن مثل هذه المقارنات فى أغلب صورها عقيمة ، لأنها لا تشرح شيئا ، بل تقوم على نوع من الترف العقلى أساسه جمع معلومات لا نظام فيها ولا قاعدة لها ولا يجمع بينها إلا مجردما يبدو من تشابه . ونربأ بالأدب المقارن أن يتناول مثل هذا النوع من الدراسات التى أساسها الصدفة والادراك الرخيص للتشابهات ومجرد الالمام بمعلومات والاطلاع على

---

(١) راجع: Revue de Littérature Comparée 1921, P, 8

نصوص . لأنا لانقصد بدراسة الأدب المقارن إلا الوصول إلى شرح الحقائق عن طريق تاريخى ، وكيفية انتقالها من لغة إلى أخرى ، وصلة توالدها بعضها من بعض ، والصفات العامة التى احتفظت بها حين انتقلت إلى أدب آخر ، ثم الألوان الخاصة التى فقدتها أو كسبتها بهذا الانتقال . لمثل هذه الدراسات فليعمل العاملون ، ومنها ترجى الفوائد التى يتطلع إليها الباحثون . أما تلك الموازنات التى لاتشرح شيئا والتى تبقى غامضة لايوضحها تاريخ ، فلا تتجاوز فى ضآلة قيمتها « مجهود أستاذ فى علم الأحياء ينفق وقته فى شرح « التقارب شكلا ولونا بين زهرة وحشرة (١)

وكما أخرجنا من حساب الأدب المقارن مايعقد من مقارنات بين آداب ليست بينها صلة تاريخية ، كذلك نود أن ننبه إلى أنه ليس من الأدب المقارن فى شىء ـ طبقا لما قدمنا ـ مايساق من موازنات فى داخل الأدب القومى الواحد ، سواء أكانت هناك صلات تاريخية بين النصوص المقارنة أم لا .

فالموازنة بين أبى تمام والبحترى أو بين حافظ وشوقى فى الأدب العربى ، وكذا الموازنة بين كورنى Corneille وراسين أو بين بسكال Pascal ومونتيني Montaigne أو بين راسين

---

(١) R. de Litt. Comp, 1921, P. 7

وفولتير فى الأدب الفرنسى يتخلى عنها مؤرخ الأدب المقارن إلى مؤرخ الأدب القومى ، لأن مثل هذه المقارنات — على أهميتها وقيمتها التاريخية أحيانا — لاتتعدى نطاق الأدب الواحد ، فى حين أن ميدان الأدب المقارن دولى يربط أدبين مختلفين أو أكثر .

ومهما أعرنا من أهمية للموازنات الداخلية لأدب واحد ، فإنهـــا أقل خصبا وأضيق مجالا وأهون فائدة من الدراسات المقارنة ، وذلك لأنها لاتشرح إلا نمو الاستعداد والمواهب للكاتب فى علاقاته مع سابقيه من أبناء أمته . وكثيرا ماتسير على وتيرة واحـــدة وفى حدود ضيقة ، كدراستنا للحريرى أو لبديع الزمان الهمذانى ، أو لدراستنا للشعراء اللاحقين وتقليدهم الجاهليين فى الأدب العربى ، أو دراســة العلاقة بين فولتير وراسين ، أو بين تين Taine وجيزو Guizot فى الأدب الفرنسى مثلا . أين هـــذا مما لو وضعنا نصب أعيننا أن ندرس نوع المقامات ونشأتها فى الأدب العربى وتطورها فيه ، ثم انتقالها للأدب الفارسى وحظها منه ، أو ندرس موضوعا كموضوع (مجنون ليلى) فى الأدب العربى وكيف تطور فى الأدب الفارسى وبعد عن ميدان الحب والغزل العذرى إلى ميدان التصوف والرمزية فى الأدب الثانى ، أو أن ندرس تأثير

الأدب القديم اليونانى أو اللاتينى على أدب أوربى بعينه ، أو نبين ديون روسو Rousseau وفولتير Valta're وديدرو Diderot نحو الأدب الانجليزى أو تأثير شكسبير على المذهب الرومانتيكى فى فرنسا ؟

مثل هذه الدراسات تعد من صميم الأدب المقارن بينما تعد الموازنات الأولى من نطاق الأدب القومى البحت ويدلنا مجرد سرد الأمثلة السابقة على فضل الدراسات المقارنة على الموازنات بصفة عامة [١]

يبقى علينا أن ننبه إلى أن الأدب المقارن فى ميدانه الذى شرحناه — وهو الصلات الدولية بين مختلف الآداب — لا يقتصر على دراسة الاستعارات الصريحة وانتقال الأفكار والموضوعات والنماذج الأدبية للأشخاص من أدب إلى آخر ، بل يشمل أيضا دراسة نوع التأثر الذى اصطبغ به الكاتب فى لغته التى يكتب بها بعد أن استفاد من أدب آخر . وهو ما نستطيع أن نطلق عليه « تأويل الكاتب » لما قرأه من آداب أخرى . وقد يبعد هذا التأويل كثيرا أو قليلا من الحقيقة ، ويتضح ذلك إذا علمنا أن كارليل Carlyle حين عرف الانجليز بالكاتب الألمانى جوته Goethe قد أهمل من الأخير جوانب السخرية والالحاد واليأس

---

(١) سنتناول بالدراسة بعض هذه الموضوعات بالتفصيل فى كتب على حدة فيما بعد .

والجحود، ولم ير فيه داعية إلى الاستمتاع والجرى وراء الملذات ؛ وإنما رأى ما يتفق وتربيته الدينية الخلقية، ورأى فيه حكيما يدعو إلى التدين والاحترام والخضوع لما يفرضه الخلق القويم ، وداعية إلى العيش فى ظلال الدعة والواجب اليومى . فيقول عنه فى مقدمة كتابه عن رحلاته سنة ١٨٢٧ ، وقد سموا جوته فولتير ألمانيا ولكنها تسمية خاطئة تصمه بما ليس فيه . وحتى لو ضربنا صفحا عن مكانته وعن خلقه القويم كرجل ، فإنه فى تفكيره وكتابته ينتمى إلى قائمة من طراز أعلى من « ذلك الطفل المدلل فى عالم أفسده وفسد به (يقصد فولتير) فليس جوته بالشاك ولا بالمجدف ، ولكنه المعلم الذى يحترم الحق ، إنه ليس هداما بل ، بناء وليس رجل فكر فحسب ولكنه حكيم » (١)

ومن التأثر أيضا ما نستطيع أن نطلق عليه التأثر العكسى Influence à rebours كأن يقاوم الأديب أثر أديب آخر من أمة أخرى فينتج من هذه المقاومة أثرها فى تأليفه ، ولنأخذ لذلك مثلا فولتير فى مهاجمته لشكسبير ، ومع تلك المهاجمة ، ومع مقاومته لتأثيره بعض المقاومة ، فانه تأثر به بعض التأثر . على أن تعريف فولتير

---

(١) راجع : J. Marie — Carré : Goethe en Angleterre Paris, 1920, P. 124 — 129

للفرنسيين بشكسبير كان له أثر كبير فى الأدب الفرنسى بصفة عامة (١)

« ١ » ومثل ذلك التأثر ما نراه باللغة الفارسية فى تاريخ البيهقى الذى امتنع عن مدح نفسه متخذا له طريقا مضادا لما فعل الصولى فى كتابه « الأوراق » وإليكم ترجمة ما يقوله أبو الفضل البيهقى عن الفارسية : « وكان أستاذى أبو الفضل الزوزنى رجلا عظيما ، ولن أتحدث عنه بكلام لا يليق ، إذ لاجدوى لشرح هذه الأحوال فى التاريخ . ولأنى إذا تحدثت عن هؤلاء الأصدقاء والكبراء مادحا لهم فسيجرنى هذا إلى الحديث عن نفسى ، ولذا أربأ عن الخوض فيه ، حتى لايقال إن أبا الفضل يحاكى الصولى فى مدحه لنفسه . لأن الصولى ألف فى أخبار العباسيين رضى الله عنهم ، وسمى كتابه « الأوراق » وقد أجهد فيه نفسه ليثبت أنه رجل فاضل ، وأنه وحيد عصره فى اللغة والأدب والنحو . وفى الحق إنه كان يندر وجود مثله فى عصره — ولكنه ثابر على أطراء نفسه ومدح شعره وأورد كثيرا من قصائده . وقد ضج من ذلك الناس وأنزلوه لهذا منزلة دون منزلته . ومن ذلك أنه كان يعقب مادحا نفسه على كل قصيدة من قصائده ، وإليك مثلا ما عقب به على أحدها ، عندما قرأتها على الوزير الحسن على بن الفرات قلت : لو طلب الوزير من الشاعر البحترى قصيدة على هذا الروى والوزن لتراجع ولم يستطع ، فضحك الوزير وقال : هذا صحيح ، وقد ضحك كثيرا من ذلك

وعلى الأدب المقارن إذا تصدى لهذا اللون من البحث ، أن يشرح شرحا تاريخيا لماذا تعرض الكاتب فى أمة إلى هذا النوع من التأثر دون ذاك ، وما مبلغ شخصيته فيما تأثر به ، وما الألوان الخاصه والطابع القومى فى أدبه . ولماذا اختلف عن الأدب الأجنبى الذى أثر فيه .

هذا ولن يضير كاتبا مهما تكن عبقريته ، ومهما سما فنه أن يتأثر بإنتاج الآخرين ويستخلصه لنفسه ، ليخرج منه إنتاجا منطبعا بطابعه ، متسما بمواهبه . فلكل فكرة ذات قيمة فى العالم المتمدين جذورها فى تاريخ الفكر الانسانى الذى هو ميراث الناس عامة ، وتراث ذوى المواهب منهم بصفة خاصة . ويقول بول فاليرى Paul Valery فى كتابه choses Vues (لاشىء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين ، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة)

وعلى هذا فالأدب المقارن لايقتصر فى ميدان بحثه الذى

معاصر والصولى ، والآن سيضحك كذلك منه القراء . وحين وقفت على هذه الحال امتنعت أنا أبا الفضل البيهقى أن أسلك طريق الصولى ، ولم أشأ أن أمدح نفسى » .

راجع الكتاب الفارسى تاريخ بيهقى طبعة طهران ١٣٥٤ (١٩٤٥) ص ٦٠٢ .

شرحناه على عرض الحقائق ، بل يشرحها شرحا تاريخيا مدعما بالبراهين وبالنصوص من الآداب التي يدرسها . والأدب المقارن يتناول الصلات العامة بين الآداب ، ولكن لاغنى له من النفوذ إلى جوانب كل أدب ليتبين فيها ما هو قومى وما هو دخيل ، وليبين أهمية اللقاح الأجنبى فى إخصاب الأدب القومى وتكثير ثمراته .

إذن فالأدب المقارن يرسم سير الآداب فى علاقاتها بعضها ببعض ، ويشرح خطة ذلك السير ، ويساعد على إذكاء الحيوية بينها ، ويهدى إلى تفاهم الشعوب وتقاربها فى تراثها الفكرى ـ ثم ـ هو بعد كل هذا يساعد على خروج الآداب القومية من عزلتها كى ينظر لها كأجزاء من بناء عام هو ذلك التراث الأدبى العالمى [1] مجتمعا ، وبهذا المعنى لا يكون الأدب المقارن مكملا

---

(١) وبهذا يقضى على الغرور القومى الذى يدفع كل شعب إلى الاعتداد بأدبه واحتقار ماعداه. ومن أمثلة ذلك الغرور مانراه فى كلام البحاثة اللغوى الفرنسى بوهور Bouhours (١٦٢٨ — ١٧٠٢) إذ يقول « إن نطقنا نحن الفرنسيين هو النطق الطبيعى ، فلغة الصينيين والآسيويين غناء ، وكلام الألمان صخب وضوضاء ، وحديث الأسبان موقع ، ومنطق الايطاليين زفير ، ولغة الانجليز صفير . والفرنسيون وحدهم هم الذين يتكلمون » أنظر : Hallam : Introdnction to The Literature of Europe, London, 1872 Vol. 4 P. 302.

لتاريخ الأدب ولا أساسا جديدا أقوم لدراسات النقد فحسب ، بل هو مع كل ذلك عامل هام فى دراسة المجتمعات وتفهمها ، ودفعها إلى التعاون لخير الانسانية جمعاء .

ولكن الأدب المقارن الذى يزيد تاريخه قليلا عن نصف قرن ، لم يفهم منذ نشأته على نحو ما شرحناه الآن، بل فهم فهما خاطئا حينا وناقصا أحيانا . وقبل أن يستقل بوجوده كعلم ، كان يختلط فى كتابة الكتاب بغيره من فروع الأدب . لهذا وجب أن نتتبع ـ بصفة عامة إجمالية ـ نشأته فى أوربا ، ومراحل نموه فيها لنبين كيف استقر على ماهو عليه الآن علما مستقلا ذا فروع كثيرة .

الفصل الثانى

تاريخ الأدب المقارن

منذ أواخر القرن التاسع عشر أصبح الأدب المقارن علما كامل النمو ، متشعب الأطراف ، ولكن إذا بحثنا فى تاريخ الآداب الأوربية وجدنا أثارات متفرقة من هذا العلم ، مهدت لوجوده وهيأت لاستقلاله . ولبيانها نسجل هنا ما يهمنا من حقائق بعضها يتعلق بتاريخ النقد ، والبعض الآخر يتعلق بتاريخ الأدب ، كى نتبين كيف اختلط الأدب المقارن فى نشأته بهذين الفرعين من فروع علوم الأدب ثم استقل عنهما بعد ذلك .

قد تعرض نقاد الأدب منذ القدم لشرح علاقة الأدب الرومانى بالأدب اليونانى وكيف تأثر الاول بالثانى ولكن إشاراتهم لم تعد الاجمال الذى يعوزه الدقة والتحليل العلميان[1]

وفى العصور الوسطى خضعت الآداب الأوروبية المختلفة إلى

---

(1) أنظر P. Van Tieghem : La Litterature Comparée P. 20

عوامل مشتركة وحدت بعض اتجاهاتها ، ووثقت علاقاتها بعضها ببعض ، وكانت هذه العوامل فى جملتها ذات مظهر دينى وتقليدى أساسه الفروسية والمروءة ، وبهذا وجد أول مظهر من مظاهر عالمية الأدب فى أوربا ، ولكن هذه العوامل وما أثمرته من إنتاج أدبى لم تكن موضع دراسة لنقاد تلك العصور ، بل تأخر بتلك الدراسة الزمن حتى العصور الحديثة حين نهض تاريخ الأدب والنقد الأدبى (١)

وفى عصر النهضة (٢) اتجهت الآداب الأوربية وجهة الآداب القديمة اليونانية واللاتينية تستوحيها وتقلدها ، وتأثرت بذلك أبعد التأثر فى إنتاجها الأدبى وفى نقدها . فالأدباء فى تلك الحقبة كانوا يستعيرون موضوعاتهم من كتاب تلك الآداب القديمة ويأخذون عنهم غير قليل من الأفكار ، ثم يقلدونهم فى الأنواع الأدبية التى عالجوها .

وفى القرن السابع عشر اتجه النقد بدوره اتجاه التقنين للأدب

« ١ » أنظر المرجع السابق ص ٢٢ وقد غزا الآداب الأوروبية فى العصور الوسطى أدب شرقى هو الأدب العربى عن طريق أسبانيا والحروب الصليبية وسنعالج ذلك فى كتب على حدة .

« ٢ » القرن الخامس عشر والسادس عشر .

متخذا من الآداب القديمة مثالا يحتذى . فكانت مهمة الناقد أن يضع قواعد لمختلف الأنواع الأدبية ، وأن يدعو الكتاب للسير عليها ، وأن يحكم على قيمة انتاجهم بمبلغ اتباعهم لتلك القواعد. وبالرغم من تأثر ذلك الأدب بالآداب القديمة إنتاجا ونقدا ، كانت مهمة النقاد أبعد ما تكون عن الاتجاه التاريخي، وعن البحث عن المنابع التي استقى منها الكاتب . إذ كانت غايتهم فنية عملية هي الإرشاد والدعوة إلى الإنتاج على حسب قواعد جرت مجرى العقائد (١) .

وحين تأثر الأدب الفرنسي بآداب أخرى غير الآداب القديمة ، كالأدب الإيطالي وكالأدب الأسباني مثلا تعرض بعض النقاد لدراسة تلك الصلات الأدبية الدولية ، كما فعلت مدام دى سكوديرى Me. de Scudery حين لامت الشاعر كورنى Corneille على

---

(١) ولهذا يدعى هذا النوع من النقد : Critique dogmatique
ومثاله في فرنسا فن الشعر تأليف بوالو : Boileau: L'art Poétique
ومثاله في أسبانيا كتاب الفن الجديد في عمل المسرحيات تأليف لوب دى فيجا : Lope de Vega : El-arte Noevo de Acer Comedies ومثاله في ألمانيا مؤلفات جوتشيد Gottsched ومؤلفات بودمر Bodmer في عمل الشعر والمسرحيات.
أنظر : Revue de Synfhése, 1920, P. 1—2

سرقته مسرحيته المسماة « السيد » Le cide من الأدب الأسباني .
ولكن تلك الدراسات لم تعد أن تكون كشفا عن سرقة للتقريع عليها ، أو مجرد حكم على كتاب يراد نقده ، من غير تعرض للصلات التاريخية وبدون تفكير فى تحليل تلك الصلات وتقويمها .

وفى القرن الثامن عشر جد من العوامل ما كان حريا أن يجعل من المقارنات العلم الأدبى المنشود ، ولكن تلك العوامل لم تثمر ثمرتها . ففى ذلك القرن توثقت الصلات بين الآداب الأوربية أكثر مما كانت عليه فى القرن السابق ، واشتد شوق الباحثين إلى التعرف بآداب أخرى لم تكن معروفة ، كآداب أهل شمال أوربا وكالأدب الانجليزى و الألمانى فى فرنسا . وتعددت الرحلات وكثرت التراجم . واتجه الأدب اتجاها إنسانيا من شأنه أن يخرج به عن حدود القومية إلى أفق أوسع وغاية أسمى[١] .

ولكن كل هذه العوامل لم تثمر الثمرة المرجوة ، لافى خلق تاريخ الأدب على ما هو عليه اليوم ولا فى نشأة الدراسات فى الادب المقارن[٢] : وذلك أن أكثر مؤرخى الأدب حتى نهاية القرن الثامن عشر لم يتجاوزوا حدود سرد حياة المؤلفين

« ١ » هذا مايفصله بول هازار فى كتابه القيم :
Paul Hazard : La Pensée Européenne au XVIII es.

« ٢ » أنظر P. Van Tieghem : La Litt. Comp. P. 22

وعرض نصوص من مؤلفاتهم ، فإذا تعرضوا بعد ذلك للشرح فلا يعدو شرحهم أصول الكلمات اللغوية وبعض المعانى البلاغية .(١) فادا انسع أفق ناقد مثل فولتير إلى تحليل نص أدبى لبيان قيمته ، فإنه لايتجاوز غالبا ميدان التاريخ ، مع تعليق هين القيمة فى الحكم على النص .

وبمناسبة تعرضنا لفولتير ، نقول إنه وآخرين(٢) مثله قد اتسعت آفاقهم فى نقدهم الأدبى،فعرضوا لآداب أمم أخرى بالنقدوالموازنة .(٣) ولكن نقدهم لم يقصد إلى بيان أصول الأنواع الأدبية من الناحية التاريخية ،ولم يرم إلى شرح التأثير والتأثر من الوجهة العلمية ، ولم يعبأ بدراسات البيئات والعوامل المختلفة بما هو من صميم الأدب المقارن. فلم يكن نقدهم إلا للحكم على مؤلف أو على عمله حكما مبنيا على القواعد الأدبية التى سنها أسلافهم فى القرن السابع عشر ، وعلى اعتبارات مستقاة من ذوق العصر الذى عاشوا فيه .

كان على الأدب المقارن أن ينتظر إذا حتى القرن التاسع عشر

« ١ » أنظر Revue de Synthése, 1920 P. 2

« ٢ » مثل النقادة الفرنسيين : Freron, Laharpe, Marmontel

« ٣ » راجع مثلا الرسالة الثامنة عشرة من كتاب فولتير :
ettres Philosophiq.ue c

فى أثنائه استحدثت من العوامل المختلفة ما خرجت به إلى حيز الوجود، وسنجمل القول فى بيان هذه العوامل، مقتصدين جهد الطاقة فى ذكر أسماء النقاد والكتاب حتى لا نثقل على ذواكر القارئين .

* * *

كان القرن التاسع عشر فى أوروبا عهد تقدم ملحوظ فى الناحية الاجتماعية وفى الأبحاث العلمية . وتبع هذا التقدم شدة رغبة فى استيعاب نواحى البحث فى العلوم الأدبية من جهة وفى تعرف الشعوب بعضها لبعض من جهة أخرى فكثرت الأسفار وتعددت التراجم للآثار الأدبية لمختلف الدول ، وعكف العلماء والكتاب على درس مختلف الظواهر الاجتماعية والأدبية ، متعمقين فى أبحاثهم محاولين رجع كل ظاهرة إلى أسبابها ، ونشأ عن كل ذلك اتجاهان عامان أثرا فى نشأة الأدب المقارن وفى نموه عن طريقين مختلفين . هذان الاتجاهان هما : —

(١) الحركة الرومانتيكية (٢) النهضة العلمية .

(١) الحركة الرومانتيكية فى القرن التاسع عشر

بدأت الحركة الرومانتيكية فى أوروبا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وكان أول ظهورها فى انجلترا ثم فى ألمانيا ثم فى فرنسا وايطاليا وأسبانيا . وقد سئم الرومانتيكيون ما سنه لهم أسلافهم الكلاسيكيون من قواعد ورأوا فيها مساسا بحرية الفن، واعتداء على المواهب ،

ومجافاة لروح الأدب وصلته بالحياة ، فثاروا عليها، ودعوا إلى التعبير عن الأحساسات الفردية والانفعالات الخاصة . فبعد أن كان هم الكلاسيكين الأول هو البحث في الانسان وحالاته النفسية ، وفي المجتمع وتقاليده ، رائدهم في ذلك العقل . وأفقهم محدود بوصف الحالات العامة ، لجأ الرومانتيكيون إلى وصف مشاعرهم وإحساساتهم الخاصة ، عمادهم في ذلك قلوبهم وعواطفهم التي جعلوا منها هاديا لهم في أدبهم وفي سلوكهم . فقويت الصلة بين الأدب والحياة ، وتناول الشعراء أحوال مجتمعهم بالنقد فسخروا من قوانينه الظالمة ، ورأوا أن المجتمعات الفطرية أقرب إلى الفضيلة ، فكثر حديثهم عن تلك المجتمعات وأطالوا في وصفها . واشتدت رغبتهم في معرفة ماهو بعيد عنهم زمانا ومكانا ،فأخذوا في بعث ماضيهم الوطني ، وتصوير التاريخ الانساني، وأكثروا من الرحلات إلى الأمم الأخرى .

واعتنوا في أدبهم بالتحدث عن الشعب ، وعن ذوى الحقوق المهضومة فيه (كالخدم واللقطاء) ،وكان من نتيجة استيحائهم لعواطفهم وقلوبهم ، أن عبروا عن مشاعرهم حيال الطبيعة فأفاضوا في وصفها . وأبدعوا في تصوير جمالهـا ، في أدب رائع لا نظير له في العصر الكلاسيكي ، فقد اتجهوا إلى تمجيد الطبيعة والصلاة بأفكارهم في محاريبها . فكانوا كرهابنة معبدهم جميعا واحد سقفه السماء وساحته الكون كله ولم يرهب الرومانتيكيون الخوض في أسرار الطبيعة والدين وفي

الكون وخالقه . فكانوا يواجهون هذه المشكلات، ويعترفون بصغار الأنسان وهوان شأنه أمام عظمة الكون وجلال مظاهره .
ونشأ عن استسلامهم لعواطفهم، ومن شعورهم بهوان الحياة وآلامها، أن غشيهم من الحزن والقلق والضيق مالا يجدون له علاجا وهذا هو مايسمونه داء العصر Le mal du Siécle ولزمتهم تلك الحالة النفسية وصارت خاصة من خصائصهم .

ولما ضاقوا ذرعا بمشكلات المجتمع، على ماهم عليه من إحساس مرهف وشعور فياض، قضوا همهم فى الحلم بحياة خير من حياتهم وبمجتمع خير من مجتمعهم ، وأخذوا يشيدون فى أدبهم بعالم مثالى لا وجود له إلا فى أوهامهم . وصرف ذلك أكثرهم عن الدعوة إلى الجد والعمل إلى الاستسلام للخيال والأحلام . ولكن مذهبهم فى جملته كان ذا أثر طيب فى الثورة على النظم الاجتماعية السائدة ، وفى الاتجاه بالأدب اتجاها إنسانيا عاما ، وفى نشأة الحركات الوطنية المختلفة(١).

---

(١) رجعنا فى تلخيص هذه الأفكار عن الرومانتيكية إلى مراجع أهمها:

James R. Foster : History of The Preromantic Novel In England, New York 1949 Chap. I —

V. Hugo : Preface de CromWell—P. Van Tieghem Le Mouvement Romantique, Paris 1940.

Diccionario de Literatura Espanola, Madrid 1949 etc...

ثم كان من أثره أن اتجهت دراسة الأدب اتجاها جديدا ، وقد حاول الباحثون إرجاع الأدب إلى عناصر فردية من إحساس وانفعال ، وما ينتاب المرء من شعور إزاء مظاهر الطبيعة وألوان الحياة . وتبع ذلك دراسة الكاتب فى بيئته ودراسة الحياة الاجتماعية فى الأمة ، فاتسع أفق الكتاب فى دراساتهم لأدبهم ، وشعروا بحاجتهم لمعرفة آداب الأمم الأخرى ، تعذية لنهمهم بكل جديد غريب من الآداب المعروفة . وقد سهل ذلك لهم اتساع ميادين العلم وتوثق صلات الأمم وآدابها بعضها ببعض . ونشأ عن كل ذلك أن انحرف كثير من النقاد عن تأسيس النقد على قواعد من الأجناس الأدبية وأنواعها ، على مثال ما كان فى الآداب القديمة وعند الكلاسيكيين ، إلى دراسة المؤلفات الأدبية فى ذاتها وصلتها بمنتجها من كاتب أو شاعر ، مع بيان أثر الأمة التى نشأت فيها ، والمجتمع الذى كتبت له .

وبهذا وجد النقد الأدبى الحديث لأول مرة فى التاريخ وبهذا أيضا مهد لدراسة تاريخ الأدب بمعناه الذى نفهمه اليوم بعد أن كان لا يعدو سرد حياة المؤلف مع بعض دراسات لغوية من نحو وصرف وبلاغة[1] . وترجع بذور تلك النهضة إلى الكاتب الألمانى هردر

---

(١) التاريخ والنقد الأدبى بمعناهما الحديث من خلق القرن التاسع عشرة انظر :
Tiʰaudet : Phisiologie de La critique.
P — 18, -- Revue de Synthése, 1920, P' 4 — 5

Herder ، والكاتب الايطالى فيكو Vico من كتاب أواخر القرن الثامن عشر ، ولكنها أنتجت خير ثمراتها على يد الكاتبين الفرنسيين تين Taine ومدام دى ستال ، ولنقتصر فى كلامنا هنا عليهما لنبين أثرهما فيما نحن بصدده من نشأة الأدب المقارن .

مدام دى ستال : (١) Mme. de Stael (١٧٦٦ — ١٨١٧)

قد هيأ لها ذكاؤها الوقاد أن تصف فى دقة مايفيض به شعورها المرهف الفياض ، وأن تصوغه صورا وأفكارا غذتها بمعرفتها الواسعة من الآداب المختلفة ، وبنظراتها الدقيقة التى اكتسبتها فى أسفارها الكثيرة . وقد كرست كل جهودها إلى دراسة الأدب فى مناحيه النفسية والاجتماعية ، ومع أنها قد اعتبرت الأدب ذا طابع فردى إذ هو ثمرة تفكير الكاتب ووليد قريحته ، قد اعتبرته فى الوقت نفسه

---

(١) سويسرية الأصل ولكنها فرنسية المولد ، قضت أكثر حياتها فى فرنسا . واضطهدها نابليون لنزعاتها الحرة فى مؤلفاتها ، فنفاها من باريس ثم من فرنسا ، تزوجت أول مرة من سفير السويد فى باريس وحملت اسمه ، ثم ما لبثت أن طلقت منه ، وتزوجت قبل وفاتها بست سنوات من ضابط سويسرى صغير السن ، وكان لكثرة أسفارها آثار طيبة ذات قيمة كبيرة فى مؤلفاتها .

خاضعا للنظم الاجتماعية التى تخضع لها الأمة . من أشكال الحكم ، ومن الدين والعادات ، وما يتبع ذلك من ألوان الحياة التى تؤثر فى الفكر والإحساس والذوق . وإليكم بعض سطور من مقدمة كتابها الذى سمته « الأدب وعلاقاته بالنظم الاجتماعية » . « سأحاول أن أشرح تأثير كل شكل من أشكال الحكومات على الأدب . وأن أبين الاتجاهات الخلقية التى تتولد فى الفكر الانسانى نتيجة للعقائد الدينية ، وكيف ينمو الخيال نتيجة لسرعة سريان بعض الأساطير ، وأن أصور الجمال الشعرى الذى هو من وحى البيئة ، وأن أتحدث عن الدرجة المثلى للمدنية التى هى أقوى دوافع الأدب وأقوم عوامل استكماله ، وأخيرا سأشرح كيف تسير الأنسانية قدما فى طريق التقدم والنور كلما تتابع بها الزمن(١) »

فمدام دى ستال تقصد فى اتجاهاتها إلى ربط الإنتاج الأدبى بالمظاهر الاجتماعية ، ثم إلى بيان تقدم العقل البشرى على مر العصور . وهذان الاتجاهان ليسا من صميم الأدب المقارن ، على نحو ما شرحناه سابقا ، ولكنهما مع ذلك ساعدا على نموه والنهوض به . لأن مدام

---

(١) راجع : Mme de Stael : De La Litterature Considérée Dans Ses Rapports Avec Les Institutons Sociales, Paris, 1887, P. 3?

دى ستال فى دراساتها النقدية كانت تلجأ إلى ضرب الأمثال بالآداب الأخرى ، وإلى تحليل بعض مظاهرها ، والأشارة إلى وجوه التشابه بينها ، تشابها يوجه العقول إلى دراستها ، ولم يخل كل ذلك أحيانا من الأشارة إلى نشأة بعض الأنواع الأدبية وأصولها فى الامم الأخرى ، ولكن هذا لم يعد مجرد الأشارة(١) .

وقد حملت مدام دى ستال على من لا يعيرون دراسة الآداب الأخرى اهتماما ، وعلى من يحتقرونها . ودعت إلى دراسة الآداب فى لغاتها الأصلية(٢) وكان لها الفضل الأول فى تعريف الفرنسيين بالأدب الألمانى ، مع عنايتها عناية خاصة ببيان وجوه الشبه والخلاف بينه وبين الأدب الفرنسى ، مما كان له خير أثر على الأدب الفرنسى وعلى الحركة الرومانتيكية بوجه خاص (٣) . فكانت مدام دى ستال بسعة أفقها

« ١ » الكتاب السابق ص ٤ — ٥ ، وفى مواضع متفرقة منه ، والمؤلفة نفسها فى كتاب De L'Allemagne فى فصـــول متفرقة منه كالفصل التاسع والعاشر من الجزء الأول وراجع أيضا :

F' Baldensperger : La Critique et L' Histoire Litteraire en France au Xixes' P. 13.

« ٢ » المرجع السابق ص ٣٣ — ٣٤

« ٣ » كانت مدام دى ستال أول من سمى الحركة التى تدعو إليها

فى النقد ، وكثرة اطلاعها على الآداب الأجنبية ، وشغفها بدراسة مظاهر الفكر الأنسانى فى مختلف اللغات ، ودعوتها إلى تلك الدراسة وضربها الأمثال فيها ، كانت بكل ذلك داعية ذات أثر كبير فى الدعوة إلى الخروج من نطاق الأدب الواحد فى النقد والتحليل. (١) ولكنها — على مالها من فضل فى هذا الباب — لم تعن بدراسة صلات الأدب بعضها ببعض فى نطاق نفوذها وتأثيرها وتأثرها على نحو ماهو مفهوم

فى فرنسا بالحركة الرومانتيكية :

راجع : Crouzet : Histoire Illustrée de La Littérature Francaise, P. 450

(١) إليك مثلا بعض جمل من كتابها « الأدب وعلاقاته بالنظم الاجتماعية » : « الجزء الأول من هذا الكتاب يحتوى على تحليل خلقى وفلسفى للأدب اليونانى والأدب اللاتينى ، وعلى بعض آراء فى النتائج التى تعرض لها الفكر الانسانى إثر غزوات شعوب الشمال ، وبعد استقرار الدين المسيحى ، وعقب عصر النهضة . ويحتوى كذلك على لمحة سريعة فيما يعن الأدب الحديث وعلى نظرات مفصلة فى عيون المؤلفات فى الآداب الانجليزية والايطالية والألمانية والفرنسية ، فى حدود ما رسمت من منهج لهذا الكتاب ، أى على حسب العلاقات بين الحالة السياسة للبلد وبين العقلية الأدبية المنتجة » أنظر :

Mme. Destael : De La Littérature P., 32

من الدراسات الحقة للآداب المقارنة

ولم يتجاوز نطاق هذه الحدود تأثير الناقد الفيلسوف تين على نحو ماسنعرض له الآن .

تين Taine : (١٨٢٨ - ١٨٩٣)

وقد نحى تين منحى مدام دى ستال فى أنه اتجه إلى التحليل النفسى الاجتماعية للأنتاج الأدبى ، ولكنه خالفها فى أن حبه للتجميع كان أقوى من ميله إلى التحليل ، فوضع قانونا اشتهر به ، أرجع إليه كل أسباب الاختلاف بين الآداب .

يرى تين أن فى كل ماينتج العقل البشرى خصائص بعضها لا مرجع له سوى شخصية الكاتب نفسه ، باعتباره فردا يحس ويفكر ويعمل ، وبعضها مرده إلى صفات مشتركة بين الكاتب وبين بنى جنسه أو بنى عصره . ولقد ضرب تين صفحا عن البحث عن أسباب الخصائص

---

(١) هيوليت تين Hipplyte Taine ولد فى فوزييه Vouziers فى شمال شرق فرنسا ، ومع ثقافته الواسعة وذكائه المتوقد كان ولوعا بإرجاع المعلومات إلى قواعد عامة على شكل تركيبى ولكنه كان يكسوه من فصاحته مايضمن له الرواج . ومن كتبه فلسفة الفن ، تاريخ الأدب الانجليزى ، فرنسا المعاصرة . أنظر

F. Baldensperger :La Critique et L' Histoire... P. 134 —135

الأولى ، لأنها فردية محضة وتحديدها فوق طاقة الباحثين ، ولكنه انصرف إلى بحث الأسباب التي وحدت الخصائص المشتركة بين بني الجنس الواحد أو بني العصر الواحد فأرجعها في نظريته المشهورة إلى ثلاثة أسباب « ١ » الجنس « ٢ » البيئة « ٣ » قوة تأثير الماضي على الحاضر .وسنعرض باختصار لشرح كل من هذه العوامل :

(١) الجنس La Race يقصد بالجنس مجموع الاستعدادات الفطرية التي تحدرت مع أفراد الجنس وفي دمهم ، وهي مرتبطة طبعا بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وفي تكوين جسمه . فإذا أخذنا جنسا ما لندرسه ، وجدنا له خصائص تميزه في آثاره العقلية من فلسفة وأدب مهما تفرقت بأبنائه البيئات ، ومهما توزعتهم نظم الحكم المختلفة ، ومهما اختلفت بهم درجة المدنية . ويرى تين أن هذا هو أقوى العوامل الثلاثة في اختلاف الإنتاج الفكري . وذلك أن كل جنس من الأجناس البشرية خضع لعوامل واحدة من البيئة ونظم الحكم والعادات الاجتماعية ، وأن هذا الخضوع امتد إلى ماقبل التاريخ مدى أجيال سحيقة لاسبيل إلى إحصائها ولا إلى دراستها ، وتحت تأثير هذه العوامل اكتسب الجنس صفات مشتركة نزلت منه منزلة الغرائز الفطرية التي لاسبيل إلى محوها(١)

---

(١) راجع نفس المرجع السابق ص ١٣٦ — ١٣٧

ويقصد تين بكلمة الجنس الجنس التاريخى والوطنى الذى توحده مظاهر وجود عامة ، وتميزه فى الوقت نفسه عما يحيط به من الشعوب. والمقصود إذا هو روح هذا الجنس وتفكيره وميوله وما وهب من اتجاهات فطرية فى تقاليده ونظمه وأدبه وفنه . « وعلى سبيل المثال نلحظ فى الأشعار الانجلو سكسونية بعض مظاهر القوة فى الخيال ، وميلا ضعيفا إلى الحلم بحياة آخرة وشيئا من فيض الاحساس أمام الطبيعة ، ونلحظ فيها فى الوقت نفسه دلائل قوة الارادة والاتجاه العملى ... ومما يذكر أن الشعب الانجليزى نزاع من قديم الزمان إلى حب الاستقلال والمشروعات الفردية »

(٢) البيئة : Le milieu

كما أن العامل السابق يؤثر فى الجنس تأثيرا داخليا ، يؤثر عامل الوسط فيه تأثيرا خارجيا ، ويقصد بالوسط مجموع الأحوال التى يخضع لها شعب ما . ومن هذه الأحوال ما هو دائم باقى الأثر مثل حالة الأقليم الذى يقطنه الجنس : ومنها ما هو متغير ولكنه يصبغ الشعب بصبغته فيجعله ذا طباع تلائم تلك الظروف وتتغير بتغيرها . مثال ذلك حركة التفكير والاختراعات التى سبقت وعاصرت النهضة الأوروبية ، ومثاله أيضا مجموعة الاختراعات فى

---

(١) راجع : A.Chevrillon : Taine, P. 339

الوقت الحاضر ، فقد عدلت من نظرة الأنسان إلى الطبيعة ، ومثاله أخيرا حالة فرنسا قبل الثورة وفى أثنائها وما كان لذلك من تأثير على الآداب . والكتاب مرآة لعصرهم مهما اختلفت ألوانهم وتنوعت ثمرات قرائحهم [١] .

« إن بوالو Boileau وراسين ، وبوسويه Bossuet ، على احتلافهم عند الموازنة بينهم . وعلى تميز كل منهم عن الآخر ، ليتفقون فى خصائص تبين عن طابعهم الفرنسى . وهى خصائص عصر تركز كل ما فيه حول ملكية مطلقة ، جمعت حولها النبلاء ، وسنت لهم فى حياة مرفهة سننا من التقاليد ، فبلغ سلطان العادة والخضوع للتقاليد الاجتماعية أوجهما يجاريهما فى ذلك عقل خطابي ، وتحفظ خلقى، مشوب بنزعات أرستقراطية، وميل إلى مظاهر الفروسية.(٢)»

٣ — يضاف إلى العاملين السابقين عامل ثالث أقل منهما أثرا يدعوه « تين » « مسائل الساعة »(٣) ويجب أن يفهم أنها القوة الدافعة إلى الأمام أو « تأثير الماضى على الحاضر ومناصرته له » أو « تأثير

---

(١) المرجع ص ٣٢٥ — ٣٢٦

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٣٢٧

(٣) يسمى تين هذا العامل Moment وهذه الكلمة مأخوذة هنا بمعناها الاشتقاق عن اللاتينية momentum أى القوة الموجهة

العهود السابقة على العصر الحالى ، أو بعبارة أخرى « ما وصل إليه شعب ما فى تطوره(١)» ولندع « تين » نفسه يوضح ذلك بأمثلة : « خذ لك مثلا فترتين من أدب أوفن كفترتى المسرحية الفرنسية فى عصر كورنى Corneille وفى عصر فولتير أو فترتى الفن الايطالى أيام ليوبارد دى فتنشى Leopard de Vinci وأيام لوجيد Le Guide ، لاشك أن الادراك العام فى كل منها لم يتغير ففيها كلها على اختلافها يقصد دائما إلى تقديم النموذج البشرى أو رسمه ، فقالب الشعر وبناء المسرحية وشكل الاجسام لم ينلها من تغير ، ولكن يجب أن يلاحظ فيها هذا الفرق وهو أن أحد الفنانين سابق والآخر لاحق، وأن الأول ليس له نموذج يحتذيه وأن الثانى له ذلك النموذج ، وأن الأول يرى الأشياء وجها لوجه ، والثانى يراها بوساطة الأول . وإنما مثل الشعب فى ذلك كمثل شجرة من النبات يتولد فيها بالغذاء الواحد ، وفى الجو الواحد ، وعلى أرض واحدة ، أشكال متنوعة على حسب درجات نموها المختلفة ، فن براعم إلى زهور ثم إلى ثمار وحبوب ، بحيث تستتبع كل مرحلة سابقتها وتحيا بموتها »(٢)

« ١ » المرجع السابق ص ٤٢٦

« ٢ » راجع :

Taine : hist. de La Litt. Angl. Intntroduction, P. 28 — 29

ويتضح من شرحنا السابق لهذه النظرية ، شرحا أطلنا فيه بعض الشيء بغية إيضاحها ، أن تين لم يساعد على إنهاض الأدب المقارن إلا بقدر خروجه عن حدود أدب قومى إلى حدود الآداب بصفة عامة ، والنظر إليها جميعا كأنتاج له أسبابه التى تحدد ألوانه وتصبغه بصبغات مختلفة ، مما ساعد على توسيع أفق النقاد وتجاوزهم نطاق أدبهم القومى . وقد ضرب تين نفسه لهم المثل فى تاريخه للأدب الانجليزى ، حيث عقد أنواعا من الموازنات بينه وبين الأدب الفرنسى فى مواضع متفرقة من كتابه[1]

ولكن نظريته بعد ذلك ليست من الأدب المقارن فى شىء ، إذ أن إرجاع الإنتاج الأدبى إلى عوامل من الجنس والوسط ومسائل الساعة ، هو فى الواقع حصر لعوامل ذلك الإنتاج فى نطاق داخلى للأدب الواحد ، وإنكار للتبادل الدائم بين الآداب المختلفة الذى هو روح الأدب المقارن . فالنظرية كما ترون حرب على الأدب المقارن ، ونكسة إلى الوراء فى تاريخه .

والنظرية ، على الرغم من سرعة ذيوعها ومن قوة سلطانها فى حينها — لم تعد بعد ذات اعتبار . إذ أنها تغفل الجانب الفردى فى

---

(١) مثل موازنته بين شكسبير وراسين وبين الفريدى موسيه وتنسيون راجع
F. Ba Ldens perger : Revne de Litt. Comp., 1921, P. 19

إنتاج الكاتب كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، ثم تعمم تعميما لا دقة فيه ، فتحصر أسباب اختلاف الإنتاج فى العوامل السابقة ، مع أن التأثر بأدب أجنبي قد يطوى على الطابع القومى للأدب المتأثر ، ويكون من أقوى العوامل فى صبغ الإنتاج الأدبى بصبغته .

وإليك ما يقوله أحد الكتاب الذين نقدوا تلك النظرية حين تحدثوا عن تأثير الأدب الفرنسى الكلاسيكى فى الروح الانجليزية : « وحين تغير الزمن ، واستقر العصر الكلاسيكى ، وأتى من فرنسا شعاع العقل الهادىء الصافى ليغمر المناطق العالية من المجتمع الانجليزى ، انطمست الروح الانجليزية حتى كأنها قد اختفت »(١)

فأوجه النقص فى هذه النظرية تكاد تذهب بقيمتها ، وإنما شرحناها لننقدها ونبين مدى تجافيها لروح الأدب المقارن ، وقد كان الأولى لتين أن يدرك نظريته على الوجه الآتى : « هناك أجناس معنوية وفكرية منبثة على وجه السواء فى الأمم المختلفة ، وهناك أوساط أدبية دولية ، وهناك عصور يطبعها طابع السيطرة لبعض حالات الفكر ، فتتلاقى فيها أنواع من التأثر بمختلف الآداب »(٢).

---

(١) راجع : A. Chevrillon : Taine... P 336

(٢) راجع : P. Van Tieghem : La Litt. Comp., p. 29
ونختم كلامنا عن هذه النظرية بهذه الكلمة للناقد الفرنسى تيبوديه Thibaudet إذ يقول « إن قصوراً أفكار بين لم يصبها التهدم حسب، =

(٢) النهضة العلمية فى القرن التاسع عشر :

لم تكن الحركة الرومانتيكة التى تحدثنا عن آثارها فى النقد إلا عاملا يسير الأثر فى التهيئه لوجود الأدب المقارن، إذا قيست بالنهضة العلمية التى نحن بسبيل التحدث عنها ؛ فقد آتت هذه النهضة خير الثمرات لخلق الأدب المقارن كما نفهمه اليوم ، وإن كان هذا الخلق لم يأت طفرة نتيجة لتلك النهضة ، وعلينا الآن أن نتبع تدرجه فى ذلك إلى حين اكتماله .

لقد وسعت تلك النهضة آفاق الباحثين ، وصار من المألوف التنقيب عن أصول الأشياء فى دول أو فى أجناس أخرى ، وإن نظرية دارون فى التطور وفى توالد الإنسان من الحيوان ، قد ساعدت على أن يقول الفيلسوف رينان Renan كلمته : « يمكن أن يعتبر الوعى الإنسانى نتيجة لآلاف أخرى من الوعى ترمى كلها منسجمة إلى غاية واحدة .. [١] » وقد شجعت مثل هذه الأقوال النقاد على البحث عن الاستعارات الأدبية فى ثنايا الآداب الأخرى .

= بل أصابها ماهو شر من ذلك ، فهى الآن حجرات خاليه لا أثاث بها ، خاوية لاتكاد تصلح لسكنى » راجع : F. Baldensperger : La Critique et l'Hist. Litt. p. 135 .

(١) راجع Revue de Litt. Comp., 1921, p. 17 .

ويظهر أثر ذلك فى أبحاث الكاتب الإنجليزى بوسنيت Posnett فقد درس عام ١٨٨١ فى كتابه المسمى « الأدب المقارن » Comparative literature ظاهرة الأدب على أنها فى جميع الأمم تتأثر أول ما تتأثر بتطور المجتمعات من حالة قبلية إلى مدنية ، ومن مجتمع إقطاعى إلى مجتمع وطى [1] .

وهناك ظاهرة أخرى علمية فى القرن التاسع عشر ، هى اتجاه العلماء إلى المقارنات لاستنباط الحقائق والتوسع فى الدرس . فنشأ علم الحياة المقارن Biologie Comparée وعلم اللغة المقارن Linguistique Comparée وعـــلم الميثولوجيا المقــارن Mythologie Comparée وعلم التشريع المقارن Législation Comparée فلا بدع أن يحذو تاريخ الأدب حدوها فى اتجاهه نحو الأدب المقارن [2] .

وحين عرض على إدجار كينيه E. Quinet كرسى الأدب

---

(١) لقد حدا حدو بوسنت فى هذا الكاتب الفرنسى ليتورنو Letourneau فى كتابه المسمى « L'Evolution litteraire dans les Diverses Races Humaines, 1894 ومثل هذا الإدراك المقارن بدائى لاقيمة له فى الدراسات المقارنة الآن .

(٢) أنظر : J. Marie - Carré : Annales du Centre Universitaire Méditerranéen, 1948-1950, p. 70

الحديث فى جامعة ليون Lyon أجاب بخطاب عام ١٨٣٨ يقول فيه : « إنى لأميل إلى تفضيل اسم آخر أعم من الأدب الحديث ، لئلا نبتعد نهائياً عن القديم .. لقد قالوا « تشريح مقارن » ألا يمكن أن يقال « أدب مقارن » أو شيء آخر يدخل فى هذه السبيل؟ » [١]

وانصرف كينيه وكثير من معاصريه [٢] إلى دراسة الآداب الأوربية وشرح بعض الاتجاهات العامة فى الصلة بين الآداب . ولكن واحداً منهم لم يتوجه إلى دراسة الآثار الأدبية فى تأثيرها وتأثرها بالآداب الأخرى على نحو مايدرس اليوم . وخير من يمثل التأثر بهذا المنهج العلمى المقارن ناقدان فرنسيان من نقاد أواخر

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٧١ :

(٢) كما فعل فيلارت شال Philarète Chasles فى كتابه المسمى رسالة وجيزة فى التاريخ العام والتأثرات الأدبية : Esquisse d'une Hist. Géner. des Influences litteraires . ودراساته فى هذا الكتاب لا عمق فيها ، ولا تخرج عن أن تكون ملحوظات على الآداب المختلفة ، فأولى بها أن تدخل فى باب الأدب العام لافى باب الأدب المقارن . ولكن مما يستحق الذكر من كتابه السابق قوله « سيكون تاريخ ذيوع الأفكار وانتشارها أهم موضوعات البحث الأدبى » ومثل هذه الأقوال شجعت كثيراً على تقدم بحوث الأدب المقارن أنظر : Revue de Synthèse 1920, p. 13 .

القرن التاسع عشر ، كل منهما يمثل اتجاها فى ذاته ، ولكن كلا الاتجاهين — وإن لم يكن من صميم الأدب المقارن — يعتبر من طلائعه والمبشر الحق به . وهذان الناقدان هما :

(١) جاستون پارى Gaston Paris .

(٢) برونتيير : Brunetière .

(١) جاستون پارى[1] Gaston Paris (١٨٣٩ — ١٩٠٣)

يمثل الاتجاه الذى استغل الميثولوجيا ودراسة الأقاصيص الشعبية Folklore فى دراساته للتطورات الأدبية . وهى دراسات

(١) لم تتح له الفرصة أن يسجل كل ما أنتجته قريحته فى مؤلفات . فقد كان كل اهتمامه بتوجيه تلاميذه ، وإعداد دروسه ، وقد أخلص فى ذلك إخلاصاً كان ضحيته ، ولم يترك لنا كثيراً عن طريقته العلمية وعن بحوثه المتعددة ، ولكن كان له أعمق الأثر فى توجيه تلاميذه ، وتوفرت له كل صفات المؤرخ الكبير ، مع ذاكرة عجيبة وصبر على العمل وإدراك لا يخطىء فى النقد . وكان يصبغ كل دروسه ومحاضراته صبغة جديدة فتبدو وكأنه خلقها خلقاً . وكان له مع ذلك خيال شاعر وإحساس مرهف بالجمال الفنى ومن مؤلفاته «الشعر فى العصور الوسطى» «والأدب الفرنسى فى العصور الوسطى» .. أنظر : Mornet : Hist. de la litt Franç. Contemp., Paris, 1927, p. 237.
وانظر كذلك : Clouard : Hist. de la litt. Franç Paris, 1949, p. 541

كانت قد نضجت وخطت خطوات سريعة فى عصره . وقد حاول أن يرجع مختلف الموضوعات فى مختلف الآداب إلى عناصر مبسطة توارثتها هذه الآداب خلفاً عن سلف ، دون تجديد كبير فى عناصرها الجوهرية ، وبدون تغيير ، إلا ما يكون من تركيب بعضها مع بعض تركيبا لا تفتأ معه أن تتغير بساطة عناصرها فى معناها الأول ، وتبقى مع ذلك محتفظة بمبدئها كفن غُـذِّىَ منذ نشأته فى بساطته الأولى بروح اجتماعية من الشعب [١] » .

وتطبيقاً لهذه القاعدة طلع بنظريته فى إرجاع الأقصوصة الشعرية الصغيرة وهى النوع الأدبى المسمى : Fabliaux إلى أصل شرقى وفى هذا يقول جاستون :

« النوع الأدبى الأكثر شعبية ، والأقرب فى ظاهره إلى الطبيعة ، والذى يحمل دون ريب الطابع الفرنسى فى معناه وفى صياغته ؛ وهو نوع الأقصوصة الصغيرة فى العصور الوسطى (Fabliaux) ، له جذوره الأولى الضاربة فى القدم زماناً ومكاناً حيث نشأ وازدهر ، فقد أتى لنا من الشرق ، ويحتمل أن يكون من الهند ماراً ببيزنطة » [٢] .

وتعوزنا وسائل البحث فى إرجاع كل أقصوصة من ذلك

---

(١) أنظر : Revue de litt. Comp., 1921, p. 20

(٢) انظر المرجع السابق .

النوع إلى أصل شرقى ، لأن بعضها يرجع قطعاً إلى أصل فرنسى وهذا ما يجعل نظرية جاستون پارى على إطلاقها أقرب ماتكون إلى الاستنباط السريع . وقد انبرى للرد عليه تلميذه جوزيف بيديه J. Bédier فدرس فى جزأين ضخمين صلة ذلك النوع الأدبى بالآداب الشرقية . وبالغ فأنكر كل صلة بينهما [١]. ومع ذلك فنظرية جاستون پارى صحيحة فى جملتها ، وقد انبرى للدفاع الأستاذان جوستاف كوهين G. Cohen وهنرى ماسيه H. Massé فى كثير من كتبهما .[٢] وكفى أن نشير هنا إلى أهميتها فى توسيع أفق الباحثين فى الأدب المقارن .

(٢) الناقد الفرنسى برنتيير[٣] : Brunetière (١٨٤٩-١٩٠٦) :

كانت أبحاثه فى النقد أجدى على الأدب المقارن من أبحاث

---

(١) راجع : J Bédier . les Fabliaux, p. 245 - 250

وراجع أيضاً F. Baldensperger : la Critique...p.210

(٢) لنا إلى هذا الموضوع عودة فى بحث على حدة .

(٣) كان فى مدرسة المعلمين العليا أستاذاً بباريس ومديراً لمجلة العالمين الفرنسية. ثار ضد النقد المبنى على الشعور الفردى . وله الفضل فى تأسيس النقد على حقائق من التاريخ وعلى تأثير البيئة والوسط الاجتماعى . وله مع تلك النزعة الخطابية تبحر العلماء وصدق النظرة التاريخية راجع :

Mornet op. cit. p. 44-45

سابقه ، فقد حاول أن يدرس الأجناس الأدبية من ملحمة ومسرحية وقصة ، كما تدرس الفصائل الحيوانية نشأة وتطوراً . وواضح أنه تأثر فى ذلك بداروَن فى دراساته البيولوجية ، وعنده أن الحدود الدولية لا تقف فى سبيل سير الآداب ، وفى سبيل اتصالها بعضها ببعض اتصالا تنتج عنه نشأة الأجناس الأدبية ونموها واستكمالها شروط البقاء ثم موتها على نحو ما يحدث تماما فى الفصائل الحيوانية .

وقد قصد إلى دراسة العلاقات بين مختلف الأجناس الأدبية من علاقات تاريخية وفنية وعلمية . ويقصد برونتيير ببيانه للعلاقات التاريخية للأجناس الأدبية بيان ما إذا كان ظهورها إلى الوجود بعضها بعد البعض الآخر نتيجة الصدفة ، أو نتيجة لتوالدها بعضها من بعض كما تتوالد الأجناس الحيوانية . ويقصد بالعلاقات الفنية الصلات بين الصور الفنية لهذه الأجناس وبيان فضل الأجناس السابقة منها على اللاحقة . فيرى مثلا أن المسرحية أرقى نوعا من الملحمة ، وأن القصة بمعناها الحديث أرقى من الحكايات الشعبية . وأخيرا يريد بالعلاقات العلمية القوانين التى تتحكم فى علاقات هذه الأجناس بعضها مع بعض ، ثم القوانين التى تتحكم فى كل منها على حدة وجوداً ونمواً وتطوراً ثم موتاً واندثاراً [1] . ويقول برونتيير

(١) أنظر الطبعة العاشرة من كتاب: Brunetière : l'Évolution des Genres dans l' Hist · de la litt., 1892,p.19

فى منهجه لهذا النوع من الدراسة ، مبيناً الأسئلة التى يجب التعرض للإجابة عليها فى طريقته : « كيف تتولد الأجناس الأدبية ؟ ما الظروف الزمانية والمكانية التى تمهد لوجودها ؟ وكيف تتميز وتختلف فيما بينها ؟ وكيف تنمو على نحو ما تنمو به الكائنات الحية ؟ وكيف يتم لها من القوى ما به تقصى عنها كل ما يضر بجوهرها وتجتذب إليها كل ما منه تستفيد فتتغذى به ؟ ثم كيف تموت ؟ وماذا يعتريها من عوارض الانحلال ؟ ثم كيف تصير بقاياها أصولا وعناصر لنوع جديد ؟ هــــذه هى الأسئلة التى تعالج فى الطريقة التطورية . . . » [١] .

وتطبيقاً لهذه النظرية يجب أن يتجاوز الباحث حدود لغته إلى لغات أخرى يبحث فى آدابها عن أصول الجنس الأدبى الذى يعالجه، فدراسة القصة التاريخية فى فرنسا تكتب كأنها فصل فى تاريخ تأثير الأدب الانجليزى على الأدب الفرنسى مثلا [٢] .

وأهمية النظرية تنحصر فى فرضها دراسة الآداب الأخرى استكمالا لتاريخ كل أدب قومى . [٣]

---

(١) راجع : R,de litt. Comp,1921,p·19

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) كتب برونتيير سنة ١٨٩٨ مقالا يقول فيه « نشاهد كل يوم فى جامعاتنا وفى خارجها ، كالكوليج دى فرانس ، خلق كراسى كثيرة =

وقد وجهت إلى طريقة دراسته للأجناس اعتراضات كثيرة نكتفى هنا بالإشارة إلى بعضها ، فمنها أن ليس للأنواع الأدبية وجود مستقل حتى تخضع لتطور حتمى كالفصائل الحيوانية ، ومنها أن برونيتير أعار دراسة الأنواع فى ذاتها كل اهتمامه، مع أنه يجب أن نهتم بدراسة الشعوب وتطورها، وما تفرضه مجتمعاتها على الأدب من تقاليد ، وما تتطلبه منه من أغراض ... [١]

ونتيجة لجهود من ذكرنا من الباحثين ، ذاعت فكرة الأدب المقارن ، وروج لها فى أوربا ، وبخاصة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فظهرت فيه أبحاث كثيرة . منها ما نشره العالم السويسرى مارك مونييه Marc Monnier فى دراساته لتاريخ النهضة من دانت Dante إلى لوتر Luther ومن لوتر إلى شكبير ، ومنها ما نشره الكاتب الدانمركى جورج براندس Georges Brandes فى كتابه « التيارات العامة للأدب الأوربى

= للدراسة تكاد تكون غير ذات جدوى ، وتبقى بعد ذلك جامعاتنا وحدها تقريبا فى العالم كله بدون كراسى للأدب المقارن أنظر :

F . Baldensperger:La Critique et l' Hist. litt,p. 164

(١) راجع المرجع السابق ص ١٦٣ وكذا :

Thibaudet: Phisiologie de la Critique p.24,etpp, 97 — 99

فى القرن التاسع عشر ، وكذا ما نشره العالم الانجليزى سانتس بيرى Saints Bury فى كتابه « عصور الأدب فى أوربا »
Periods of European literature

ويؤخذ على كل هذه الأبحاث أنها فى جوهرها لا تعدو مجرد عرض للآداب والعصور بعضها بجانب بعض، دون التعرض كثيراً لمظاهر علاقاتها وتأثيرها وتأثرها .

وقد وفيت كل وجوه النقص واكتمل بحق معنى الأدب المقارن على يد البحاثة الفرنسى جوزيف تكست : J. Texte الذى يعتبر أبا للأدب المقارن الحديث . وقد وجه لذلك خير توجيه على يد أستاذه برونتيير فى مدرسة المعلمين العليا بباريس ، فانصرف لدراسة الصلات بين الآداب الأوربية [1] . وتمتاز دراسته بالأفق الواسع والنظرة الشاملة فى بيان تطور الأفكار واختلافها على حسب تطور الشعوب واختلاف أحوالها الاجتماعية. ولذلك لم يغفل فى دراساته جانب الصحف والمجلات وجانب الفن، فليست دراسة النصوص وحدها دون ربطها بالحياة الاجتماعية

---

(١) من المسائل التى بحثها : تأثير القدماء على كتاب النهضة ، تأثير الآداب الجرمانية على الأدب الفرنسى فى عصر النهضة ، تأثير مونتينى Montaigne على الأدب الإنجليزى ، روسو والأصول الأولى لعالمية الأدب .

إلا دراسة مبتورة . وبهذا عولجت مسائل كثيرة من مسائل الأدب المقارن ووضحت معالمه [١] .

وتبعه في هذا الطريق فرديناند بالدنسبيرجيه F.Baldensperger الذى لايزال يغذى بنشاطه دور العلم ويوجه فيها الباحثين وكذا المرحوم فان تيجم Van Tieghem ، الذى كان مثال الصبر في معالجة كثير من المسائل المستعصية في الأدب المقارن . وكذا أستاذى جون مارى كاريه J. Marie-Carré الذى يحمل الآن لواء هذا العلم وهو مدير معهد الأدب المقارن للآداب الأوربية الحديثة في السربون ورئيس تحرير مجلة الأدب المقارن .

قد رأينا إذن كيف تمت نشأة الأدب المقارن وكيف استقل عن النقد الأدبي وعن تاريخ الأدب . ولكنه بقى مع ذلك مكملا لهما وجزءا جوهرياً في دراستهما ، فلم يعد النقد مؤسساً على قواعد

---

(١) من كلام تكست في الدعاية لأدب عام أو روبى قوله «في اليوم الذى يتكون فيه ذلك الأدب الأوربى سيصبح بالطبع كل نقد أدبى عالمياً وحينذاك ستمتد بحق من فوق الحدود الدولية — إذا كانت ستبقى بعد تلك الحدود — أواصر الصلات العقلية ثابتة متأصلة ، وتربط برباطها المعنوى الشعوب إلى الشعوب وتخلق لأوربا كلها روحا اجتماعية كما كان في العصور الوسطى » راجع : J. Texte : Etudes de litt.Eurorécenne, paris, 1898, p. 13

الأجناس والأنواع Critique dogmatique ، ولا على الانفعال الجمالى الفردى Critiqne Impressionniste ، بل لجأ مع الاستعانة بعض الشيء بكل ذلك إلى ماهو أهم منه ، إلى النقد التاريخى المبنى على الصلات الوثيقة بين الآداب ، وكيف ارتوى منها الكاتب ليخرج للناس إنتاجه المطبوع مع ذلك بطابعه وطابع أمته . ومن الخطأ التوجه فى دراسة الأدب المقارن إلى التقنين أو التعميم دون أن يسبقهما ويمهد لهما دراسات تحليلية مفصلة تعتمد على حقائق التاريخ وعلى نصوص مختلفة من الآداب .

إن الأدب المقارن يدرس الآثار الأدبية كما هى فى جوانبها الفنية والفكرية ، وفى كيفية تكوينها ، وفى ظروفها التاريخيـــة والاجتماعية . وهو مع دراسته للأذواق وتطورها ، وللحياة الاجتماعية وأحوالها ، وللشعوب وميولها ، لا يفعل ذلك إلا ليستوعب دراسة المظاهر المختلفة للمواهب الفردية . واهتمامه الأول إنما هو إلى تحليل مظاهر النشاط الأدبية ، وأصولها ونتائجها بصفة عامة . « وله من المكانة ما للاقتصاد السياسى والتاريخ . فهو يدرس مثلهما العلاقات الخارجية ، والمشروعات التى تبدأ بها دولة ما ، وأنواع النفوذ التى تخضع لها ، وما تتعرض له إن طوعا وإن كرها من وراء حدودها . وكل هذا مما تتوثق به نواحى النشاط الإنسانى وتتنوع مظاهره » (١)

---

(١) أنظر Revue de litt Comp. ,1921، p. 28

الفصل الثالث

الوضع الحالى لدراسات الأدب المقارن

رأينا فيما سبق كيف اجتاز هذا العلم مرحلة النشوء والطفولة ، وكيف اكتملت له عوامل البقاء والنهوض . ولكنه مع ذلك لم يزل فتيا لم يستكمل بعد مرحلة الشباب . ومع أنه موضع عناية فى أكثر جامعات العالم ، فلا يزال له فيها اتجاهات مختلفة ، فبعض الجامعات الأوربية تعنى بدراسة بعض فروعه أكثر من عنايتها بدراسة البعض الآخر ، فمثلا كانت جامعات ألمانيا قبل العهد الهتلرى تهتم أولا بدراسة الموضوعات الأدبية stoffgəschichte بينما تضع جامعات فرنسا هذا النوع من البحث فى المرتبة الثانية بالنسبة لبحوثها فى تأثير مؤلف ما على أدب آخر، وبالنسبة لبحوثها فى أدب الرحالة ، وفى الصورة التى رسموها للبلاد التى كتبوا عنها. وسننبه إلى اختلاف هذه الاتجاهات وأسبابها عندما نبين فروع الأدب المقارن فيما بعد . وإنما نكتفى هنا ببيان الأسس المشتركة لدراسة الأدب المقارن فى مختلف الجامعات الأجنبية ، لأن هذه الأسس يمكن أن تنير أمامنا الطريق لوضع منهج لدراساتنا المقارنة فى الجامعات المصرية .

قد درجت الجامعات الأوربية فى رسمها لمنهج الأدب المقارن

على جعل أدبها القومى مركزاً تدور دراساتها المقارنة حوله . فتتنوع الدراسات على حسب طبيعة علاقات أدبها بالآداب العالمية تأثيراً وتأثراً . ولا تغفل تلك الجامعات مع ذلك دراسة أدب الرحالة من مواطنيهم فى البلاد الأخرى، كما لا تغفل دراسة الرحالة من الأجانب الذين قدموا إلى وطنهم وكتبوا عنه ، ومالكل ذلك من أثر على الأدباء وعلى إنتاجهم الأدبى، ثم على المجتمع وصلاته بغيره من المجتمعات والشعوب .

وتعنى أكثر الجامعات فى أوربا وأمريكا بهذه الدراسات . وعلى الأخص جامعات فرنسا وإيطاليا وسويسرا وجامعات الولايات المتحدة . [١] وشهادة الأدب المقارن فى فرنسا جزء من ليسانس الدولة للتعليم الحديث . [٢]

---

(١) مما يحسن التنبيه إليه أنه ليس فى جامعات انجلترا كراسى للأدب المقارن وإن كانت هناك بحوث قيمة فردية لأساتذتها فى هذا العلم الذى لا يكمل بدونه تاريخ الأدب القومى كما أسلفنا . وفى جامعات أمريكا كراسى للأدب المقارن ، كما فيها كذلك كراسى للأدب العام الذى سنقول عنه كلمة فيما بعد فى هذا الكتاب ، والأخير غير معتنى بدراسته فى أوربا . ولأجل أن تعرف مكانة الأدب المقارن فى أمريكا راجع : W.p. Friederich Comparativé literatrre in the United states, p. 45—55 dans : Cong. Inter. d'Hist.Litt. paris'1948

(٢) راجع : Cuyard : La Litt. Comp. p. 51

وتفسح فرنسا مجالا لدراسة هذا العلم فى المدارس الثانوية ، فيعطى الطلبة فيها مبادىء للآداب الأجنبية فى صلاتها بالأدب الفرنسى ، ويقبل التلاميذ فيها بشغف على هذا النوع من الدراسة . ويدرس الأدب المقارن كذلك فى المعاهد الفرنسية التى تخرج مدرسين للمدارس الابتدائية .

هذا عدا ما يقوم به طلبة الدبلومات العالية والدكتوراه ، من فرنسيين وأجانب ، من بحوث فى رسالات كثيرة كان لها أثر كبير فى تكوين الأدب المقارن كعلم مستقل . (١)

ولا تزال جامعاتنا فى حاجة إلى المزيد من هذا العلم ، بل إن الدراسة المنظمة له لما تبدأ فيها بعد . فمع قلة دروسه فيها ليس له منهج منظم ، كما أن الطلبة غير مهيئين لدراسته لحاجتهم إلى التزود من الآداب الأخرى .

وليس هنا طبعا مجال الإفاضة فى تفصيل منهج لدراسة الأدب المقارن ، ولكنى أنبه إلى ضرورة العناية به . فما أحوج دارس الأدب العربى إلى توسيع أفقه بدراسة الصلات العالمية للأدب ، وكيف تأثر بها أدبنا القديم والحديث ، وما يتبع ذلك من التحليق فى أجواء الآداب العالمية والتزود من ثمرات القرائح الأجنبية ،

---

(١) P. Van Tieghem : La Litt. Comp. P. 49 — 54

وياحبذا لو مهد لتلك الدراسات بدراسة النظريات العامة للآداب كفن ، وبتعريف الطالب بالأجناس الأدبية المختلفة من مسرحية وقصة وملحمة ... وبالمذاهب الأدبيـــة كذلك مثل الكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية ... وبتاريخها ملخصاً ، فيتمكن بذلك طالب الأدب العربي من فهم ما يدرس له بعدها من صلات بين أدبه وبين الآداب الأخرى .

وبعد هذا التمهيد يدرس الطلبة مدخلا للأدب المقارن على نحو ما فعلت فى هذا الكتاب ، كى يفهموا فهما صحيحاً هذا العلم ، ويلموا بفروعه المختلفة ، وكيفية الدراسة فيها ، مع أمثلة من الأدب القومى ومن الآداب المختلفة كذلك .

وتكون الدراسات السابقة لجميع الطلبة على السواء ، ينتقل بعدها إلى شيء من التخصص، فيوضع لكل قسم من الأقسام منهج لدراسات مقارنة تتلاءم وثقافة الطلبة فيه ، وتتفق كذلك ومنهجهم الأدبي الذى يدرسونه . فمثلا يدرس فى قسم اللغة الفارسية صلات الأدب العربي بالأدب الفارسى القديم تأثيراً وتأثراً ، ويدرس القسم العربي الصلات بين الأدب العربي وبين آداب اللغات التى يعرفها هؤلاء الطلبة ، ويوفق فى منهج الدراسة بين هذه الصلات وبين المنهج العربي المفروض عليهم دراسته ، فمثلا حين يدرسون العصر الأندلسى تدرس دراسة مقارنة الصلات بين الشعر العربي والشعر الأوربى، تلك الصلات التى أثر بها الأدب العربي على آداب أوروبا

عن طريق العرب فى الأندلس . وهى دراسات طويلة يجب أن تخصص لها محاضرات مستقلة عن الدراسات المخصصة للأدب العربى . وحين يدرس العصر العباسى تشرح كذلك الصلات بين الأدب الإيرانى والأدب العربى ...

بل إنى لأدعو إلى أكثر من ذلك ، إلى ضرورة دراسة شىء من الأدب المقارن فيما يخص أدبنا القومى ، لمن يتخصصون لتدريس اللغات الأجنبية . فيدرس فى القسم الفرنسى والقسم الإنجليزى مثلا العلاقات المختلفة بين أدبنا العربى وتلك الآداب ، سواء من ناحية التأثير أو من ناحية التأثر . وما أخصب البحث فى هذه النواحى ، وما أحوج طلاب تلك الأقسام إليه .

وإنه لمن المعيب حقا أن تظل الدراسات فى هذه الأقسام مقفلة على نفسها وغريبة عن الأدب القومى ، على حين أنه لو أدخلت تلك الدراسات المقارنة لوجدت منافذ يطل منها الدارسون على النواحى الخصبة فى أدبهم القومى ويتعرفون إليها . وبهذا توجد أمامهم فرصة للإنتاج ولإفادة أدبهم القومى من معين ثقافاتهم الغربية ، هذا فضلا عن تغذية عناصر قوميتهم وتكميل دراساتهم تكميلا صحيحاً .

وليعلم القوم هنا أن فرنسا تحتم على كل من يتخصص لتدريس لغة أجنبية أن تكون شهادة الأدب الفرنسى من بين شهادات الليسانس الذى يحصل عليه . فمن يدرس الأدب الألمانى

أو الانجليزى مثلا يحتم عليه أن يحصل فى الليسانس على شهادة الأدب الفرنسى من الجامعة ، شأنه فى ذلك شأن مدرس اللغة الفرنسية تماما. وما ذلك إلا لتوثيق الصلة بين مختلف الثقافات وبين الأدب القومى، لئلا يصير غريبا عنه من يتخصص فى لغة أجنبية مهما تكن .

ونحن هنا فى مصر بعيدون عن هذا كل البعد ، بل إنا لنرى من بين المختصّين فى الآداب الأجنبية من يجهلون كثيراً مما يتصل بأدبنا . والعيب هو عيب المناهج التى درسوا عليها. وأقل ما يجب عمله لتلافى هذا النقص أن تعمم الدراسات المقارنة الخاصة بأدبنا فى كل الأقسام الأخرى على نحو ما أشرت إليه .

وسيكون هذا كله وسيلة للتوسع [1] فيما بعد فى دراسه هذا العلم فى قسم الماجستير والدكتوراه . إذ يكون أفق الطالب قد اتسع وتهيأت الأسباب للإفاضة فى هذه الدراسات .

ولم يعد بعد من خلاف فى أكثر الدول الراقية على ضرورة الدراسات المقارنة للآداب . وفى الحق ألا مجال للشك فى أهميتها وإن كانت لا تزال هناك اعتراضات على بعض فروعه

(١) قد سبقت جامعة إبراهيم الجامعات المصرية الأخرى فى رغبتها فى تلافى هـذا النقص ، فاهتمت بدراسة اللغات الشرقية اهتمامها بدراسة الغربية ، وأنشأت كرسيا للأدب المقارن رغبة فى التوسع فى دراسته فى المستقبل . والأمل كبير فى أن يستقر بها هـذا العلم الحديث على نحو ما أدعو إليه .

وطريقة البحث فيها ولكنها اعتراضات لا وزن لها [١] .

الفصل الرابع

عدة الباحث فى الأدب المقارن

إن الباحث فى الأدب المقارن يقف عند منطقة الحدود المشتركة للآداب المختلفة ، يتأمل حركتها فى تبادل صلاتها بعضها مع بعض ، ويكشف التيارات العامة لتلك الصلات ، وآثار ذلك على رجال الأدب ، وعلى الكتب والموضوعات ، وعلى الإحساس والتفكير . ولهذا يجب أن يكون واسع الأفق ، قادراً على دراسة مايتصدى لبحثه دراسة علمية. ومع أن لكل مسألة من مسائل الأدب المقارن ملابساتها التى تفرض توجيهات خاصة لا يمكن الإحاطة

---

(١) من أعداء الأدب المقارن فى فرنسا لويس كازاميان Louis Oazamian الذى ينكر قيمة تأثر الأدب الانجليزى بآداب أجنبية. وقد فتنت آراؤه بعض المعتدين بخلفهم البريطانى من الانجليزى راجع :
Annales du Centre universitaire Mediterraneén, 1948-1950 P,70-71 ومن كتب كازاميان كتابه المسمى نفسية الأدب الإنجليزى Lapsycholologie de la Littérature Anglaise وفيه يرجع كل تطور فى الأدب الانجليزى إلى عوامل داخلية . ولسنا فى حاجة إلى بيان خطئه فى إدراكه ، فبحوث الانجليز أنفسهم فى تأثر أدبهم بغيرهم لا حصر لها، والامر من الوضوح بحيث يعد الجدل فيه من المكابرة.

بها جميعاً ، نرى من المفيد أن نشير إلى الشروط الأساسية التى يجب توافرها فيمن يتصدى لهذه البحوث :

١ — لابد أن يكون الباحث فى الأدب المقارن على علم بالحقائق التاريخية للعصر الذى يدرسه ، كى يستطيع إحلال الإنتاج الأدبى محله من الحوادث التاريخية التى تؤثر فى توجيهه ومجراه . فلدراسة نشأة الأدب الفارسى بعد الفتح العربى مثلا لابد أن تدرس ألوان النزاع السياسى والجنسى بين الشعبين والصلات بين الدويلات فى إيران وبين الخلفاء العباسيين فى أواخر القرن العاشر وأوائل الحادى عشر ، وهو الوقت الذى وصل إلينا منه ما ألف من نثر فارسى. ويجب كذلك أن يدرس ما مهد لهذا الإنتاج من حركة الشعوبية ، ومن تاريخ الحركة العقلية بين إيران وبين العرب ، فمعرفة التاريخ إذن شرط جوهرى للدراسات المقارنة .

٢ — ومن الواضح أن الدارس للأدب المقارن يجب أن يعرف معرفة دقيقة تاريخ الآداب المختلفة التى هو بسبيل البحث فيها، إن لم يكن فى كل عصورها ، فعلى الأقل فى العصر الذى هو موضع دراسته، ومايتصل به مما يمكن أن يكون قد أثر فى إنتاجه الأدبى .

٣ — وتستلزم دراسة الأدب المقارن أن يستطيع الدارس قراءة النصوص المختلفة بلغاتها الأصلية . أما الاعتماد على الترجمة فما هو إلا طريقة ناقصة لا يصح أن يلجأ إليها إذا أريد تقويم التأثير والتأثر الأدبيين على وجههما الصحيح . إذ أن لكل لغة

خصائص وروحاً لاتفهم إلا فيها ولا تتذوق إلا بقراءة نصوصها .

على أن من ألزم ما تجب دراسته مقارنة التراجم بين اللغات المختلفة التي قامت بينها صلات أدبية ؛ وهذه التراجم تختلف فيما بينها، فتارة تكون دقيقة أمينة ، وتارة يتصرف فيها . ولكى يستطاع الحكم على تأثير كاتب على لغة أخرى وتحديد هذا التأثير ، يجب أن نقارن تلك التراجم بأصولها فى لغتها التى ألفت بها على نحو ما تتطلبه الدراسة العلمية الدقيقة .

ويساعد المدرس الطلاب فى ترجمة الأصل وفى القيام بتلك المقارنة ، على أن ترجمته لاتتعدى أن تكون وسيلة تسهل للطالب الرجوع للأصل وقراءته وفهمه . ولهذا يحتم على طلبة الأدب المقارن فى فرنسا أن يكونوا ملمين بلغتين أجنبيتين غير اللغة الفرنسية ليكونوا فى مستوى يسمح لهم بالقيام بمقارنة علمية .

٤ — يجب أن يكون الطالب ذا إلمام بالمراجع العامة ، عالما بطريقة البحث فى المسائل ، وبمظان مواضعها من الكتب التى يدرسها . فعلى من يدرس الصلات الأدبية العربية الفارسية أن يبحث فيما يخص اللغة العربية ونصوصها فى كتب الأدباء والمؤرخين الذين كتبوا بالعربية وهم من أصل فارس كالطبرى وحمزة الأصفهانى وابن المقفع وابن قتيبة وما أكثرهم . وفيما يخص الفارسية يجب أن يرجع إلى النصوص الأدبية التى ترجمت عن العربيه ، ثم إلى النصوص التى قلد فيها أصل عربى أو تأثرت به ،

وذلك كترجمة كليلة ودمنة ، وكترجمة كتاب «اليمينى» وكالمقامات الفارسية . ولا غنى فى مثل هذه البحوث عن الاسترشاد بآراء المدرسين والمتخصصين والاستعانة بهم ، وذلك لجدة هذه البحوث وتشعبها. وقد خطا الباحثون الأوروبيون والأمريكيون خطوات فسيحة فى تزويد مكاتبهم بمراجع تسهل البحث لدى طلاب الأدب المقارن . نذكر من هذه المراجع على سبيل المثال كتاب بول فان تيجم الذى يقدم فهرساً مفصلا لكل ما ألف فى أوروبا منذ اختراع الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر (١٤٥٥ — ١٩٠٠) والكتب مرتبة فيه ترتيباً زمنياً سنة فسنة . وهذا ما يساعد الباحثين مساعدة كبيرة ويوحى إليهم بمجرد الإطلاع عليه بآراء نافعة[١]..

وتخصص مجلة الأدب المقارن الفرنسية فى كل عدد من أعدادها قسما لما استجد من مراجع للأدب المقارن فى أوربا وأمريكا . وأحدث هذه المراجع وأهمها الكتاب الذى نشره سنة ١٩٥٠ الباحثان بالدنسبرجيه الفرنسى Baldensperger وفريدريك الأمريكى W. P. Friederich وعنوان الكتاب : مراجع للأدب المقارن Bibliography of Comparative Literature وقد طبع فى أمريكا وبه ثلاثة وثلاثون ألف مرجع منظمة تنظيما يسهل

(١) اسم هذا الكتاب الفهرس التاريخى للآداب الحديثة .

Le Repertoire Chronologique des Littératures Modernes .

الانتفاع بها فى مختلف [1] الموضوعات فتى نرى فى المكتبة العربية مثل هذه البحوث التى لاغنى للأدب المقارن عنها فيما يخص الأدب العربى [2]

الفصل الخامس

ميدان البحث فى الأدب المقارن

يجمل بنا قبل الإفاضة فى كل فرع من فروع الأدب المقارن، أن نجمل القول فى هذه الفروع على حسب الاعتبارات التى يرمى إليها . فقد سبق أن وضحنا أن موضوع الأدب المقارن على العموم هو تبادل الاستعارات الأدبية بين آداب اللغات بالمعنى الواسع لكلمة الاستعارات من أجناس أدبية وصور فنية وموضوعات وأساطير ونماذج لأشخاص بشرية . . .

وقد ينظر فى كل ذلك إلى ظروف عبور هذه الاستعارات من أدب لغة إلى أدب لغة أخرى ومن بلد إلى بلد ، وقد ينظر

---

(١) من هذه المراجع الهامة للآداب المقارن ما تنشره جمعية The Modern Language Association فى الولايات المتحدة وModern Humanitics Research Association فى انجلترا.

(٢) للمزيد من معرفة ما يجب على باحث الأدب المقارن راجع :

P. V. Tieghem : La Litt. Comp., p. 53-56 .

M. F. Guyard : La Litt. Comp. p. 21-41 .

إلى المسائل المتبادلة نفسها ، وكيف تغيرت فزيد فيها أو نقص منها حين انتقلت من اللغة التى أثرت إلى اللغة التى تأثرت . ففى الحالة الأولى ندرس عوامل الانتقال وملابساته . وفى الحالة الثانية تدرس المسائل نفسها من الموضوعات والأجناس الأدبية ، ومن المصادر والتيارات الفكرية الخ . . . ومن كل ذلك يتبين تنوع فروع الأدب المقارن التى سنجمل القول فيها إجمالا تمهيدا للتفصيل فيما بعد .

أولا : انتقال الأدب من لغة الى لغة

ولذلك الانتقال عاملان :

(١) الكتب   (٢) المؤلفون

(١) الكتب : للكتب تأثير كبير على الصلات الأدبية بين مختلف اللغات . فهى التى تلقى ضوءاً قويا أو ضعيفاً على علاقات بلد ما بمؤلف أو بمجتمع أو بإنتاج أدبى فى بلد آخر . والأدب المقارن يهتم أولا بإثبات الصلة بين الوسط المؤثر والوسط المتأثر. ويستعان فى ذلك بما أدلى به المؤلف من تصريحات عن نوع ثقافته وتأثره بكاتب ما أو بثقافة بلد ما . وقد يكون المؤلف نفسه قد كتب بعض مؤلفاته بلغة أجنبية فتكون لتلك المؤلفات دلالتها التى لا تنكر على تأثره بأدب اللغة التى كتب بها ، كالكاتب الانجليزى أسكار وايلد Oscar Wilde الذى ألف بالفرنسية

قصة سالومية Salomé وكقولتير فى رسائله الانجليزية ، وكالجر باذفانى الفارسى ونظمه مدائح باللغة العربية . ومما يدخل فى هذا الباب دراسة التراجم من لغة إلى لغة ولم راجت فى الأمم التى ترجمت إليها . ولكى يستطاع الحكم على الترجمة يجب أن يرجع إلى الأصل ، ويقارن بينه وبين مختلف ترجماته إلى اللغة المنقول إليها ، ثم يشار إلى أنواع التصرف فى تلك التراجم ودلالته . . .

ومما لاغنى عن دراسته فى هذا الباب كتب النقد والصحف التى تتحدث عن الكتاب والشعراء الأجانب . فمثلا إذا تتبعنا المجلات الفرنسية فى القرن التاسع عشر كمجلة العالمين R.,des Deux Mondes وكالمجلة الجديدة Nouvelle Revue Française وجدنا أنها تتحدث عن كثير من الكتاب غير الفرنسيين وتقدمهم لقرائها وتنقدهم فتلقى بذلك ضوءا على منزلتهم لدى الجمهور الفرنسى فى ذلك العصر . وهذا مالا يصح أن يفوت الباحث فى الأدب المقارن الاطلاع عليه .

ومن هذا النوع من الدراسات أدب الرحلات وما له من تأثير فى تعريف الشعوب بعضها ببعض وصلة ذلك بآدابهم .

ومما يعين الباحث فى هذه السبيل تحديده لمدى رواج الكتب فى البلد الذى يدرس تأثيرها فيه . فيرى مثلا كم طبعة لترجمة كتب جوته فى فرنسا ، وكذا لروسو فى انجلترا . ويستعان فى ذلك

بفهارس الكتب فى دور الكتب وبإحصاءات دور الطبع الخ .

(٢) المؤلفون : إنا نعتبر الكتب وحدها غالبا لكى نحدد العلاقات الأدبية بين الأمم المختلفة ، ضاربين فى ذلك صفحا عن المؤلفين والمترجمين ، لأن الكتب هى وسيلة تعرف تلك العلاقات. ولكننا إذا كنا بصدد كتب مؤلف مشهور ، فإننا لا نستطيع أن نهمل دراسته هو فى صلاته بالبلاد الأخرى ، وكيف عرفها وعرفها لبلاده فى أدبه . فمثلا إذا أخذنا شاتوبريان وتأثره بانجلترا فلا بد من دراسة حياته فيها ، والأوساط التى كان يخالطها ، وصدى الثقافة الانجليزية فى مؤلفاته ، وكذا فولتير فى حياته فى انجلترا وكيف كان تفسيره لخلق أهلها ولآدابهم ، ومدى ماأفاد من ذلك لنفسه ، وأى قيمة أدبية انعكست من ذلك لدى معاصريه من بنى قومه . ويدخل فى هذا الباب دراسة ابن المقفع فيما نقل إلى العربية من روائع لغته ، فلكى ينظر إلى إنتاجه كصلة بين الأدب الإيرانى وبين الأدب العربى يجب أن تدرس حياته نفسه ، وأن يتعرف إلى ثقافته وميوله الفارسية ، وما يمكن أن يكون لكل ذلك من صدى فى مجهوده الأدبى فى الترجمةالتى قام بها . فلكى نستطيع تقدير كاتب أو رحالة أو مترجم يجب أن نعرف من أدب لغته ومن حياته وأحوال بلاده ما يمكننا من صدق الحكم عليه .

ثانياً : دراسة الأجناس الأدبية

فى الفرع السابق من فروع الأدب المقارن أشرنا إلى الدراسات الخاصة بكتب التراجم والرحلات والنقد التى من شأنها أن تعرف بلداً ببلد آخر أو بأدبه ، وإلى دراسة ما قد يكون لمؤلفيها من شأن ، إذا كانوا ذوى مكانة أدبية تحتم دراستهم . وليس كل ذلك إلا وسيلة لدراسة الصلات الأدبية الدولية ، فإذا تجاوزنا هذه الوسائل إلى موضوعات من صميم الأدب المقارن ، فإننا يجب أن ندرس فيما ندرس حظ الأجناس الأدبية فى مختلف الآداب وانتشارها فيها .

ويراد بالأجناس الأدبية القوالب الفنية الخاصة التى تفرض بطبيعتها على المؤلف اتباع طريقة معينة . فمثلا يتبع المؤلف طريقة خاصة حين يعالج فى شكل تمثيلى نفس الموضوع الذى قد يعالجه آخر فى قالب خطابى . وتستخدم هذه الأجناس فى تقسيم الإنتاج الأدبى إلى فروع ، وهذا التقسيم لا غنى لنا عنه فى دراساتنا المقارنة [1] .

---

(١) قد يعترى الأجناس المختلفة تغير فى قوالبها وفى قواعدها . فمثلا : كانت الملحمة قصراً على الشعر فصارت تعالج فى الشعر وفى النثر على السواء ، وكان المسرح فى نشأته شعراً فصار قسمة بين الشعر والنثر ، والمسرحية الرومانتيكية خليط من المأساة والمهزلة ومن الملحمة ومن الشعر الوجدانى =

فمثلا كيف نشأت قصة الرعاة ومسرحية الرعاة فى الأدب الأوربى؟ ولماذا راجت الأخيرة فى القرن السادس عشر فى فرنسا؟ ولماذا انصرف المؤلفون عنها فى أوائل القرن السابع عشر؟ ولماذا انتشرت القصة التاريخية فى كل أوربا فى أوائل القرن التاسع عشر؟ وما أسباب الانصراف عنها فى حوالى منتصف ذلك القرن ؟ وكيف نشأت القصة المسرحية فى الأدب العربى الحديث ؟ وما الأسباب التى تحكمت فى خلق هذين الجنسين وفى تطورهما ؟ .

ويدخل فى هذا الباب أيضا دراسة الأجناس الأدبية القديمة ، كدراسة الخرافة على ألسنة الحيوان ، وكيف أدخل ابن المقفع هذا النوع فى الأدب العربى مثلا ،وإلى أى مدى تأثر به الأدب العربى ؛ ثم كيف أثر الأدب العربى بدوره من هذه الناحية فى الأدب الفارسى الحديث . . .

والدراسة فى هذا الباب دراسة تاريخية ، تستمد أصولها من تتبع كل نوع من هذه الأنواع وتطوره فى لغتين أو أكثر ، والعوامل التى أثرت فيه فى كل الآداب التى يراد درسها . وهذه الدراسات — مع أنها تاريخية فى جوهرها — ذات قيمة فى الدراسات المعاصرة، وبخاصة فى أدبنا الحديث الذى يستمد

ــــويهمنا فى الأدب المقارن دراسة هذه التغيرات إذا جاءت نتيجة لتدخل أجنبى . انظر: J. Suberville : Théories de L' art et des Genres Li tteraires, p. 222-223

فى كثير من أجناسه من الآداب الأوربية ، ويبتعد بذلك كثيرا أو قليلا عن مصادره فى الأدب العربى القديم .

وقد يرمى الباحث إلى درس جنسى أدبى فى أدبين فقط ، كدراسة القصة التاريخية فى الأدبين الانجليزى والفرنسى [١] ، وقد يرمى إلى دراسة جنس أدبى فى أكثر من أدبين كدراسة الحركة الرومانتيكية فى الآداب [٢] الأوربية ، وفى كل هذه الحالات يجب على الباحث فى الأدب المقارن أن يراعى ما يأتى :

١ — أن يحدد الجنس الأدبى الذى يدرسه ، ويسهل تحديد هذا الجنس إذا كان ذا قواعد فنية واضحة (القصة التاريخية ، المسرحية الكلاسيكية ، والمسرحية الرومانتيكية ، القصة الريفية) . ويصعب تحديده كلما قلت قواعده الفنية ، وكان ذا صبغة تتصل بالأسلوب أو بلون من ألوان العاطفة ، مثل ألوان التشاؤم فى شعر القبور الذى مهد للحركة الرومانتيكية . [٣]

---

(١) كما فعل ميجرون فى كتابه « القصة التاريخية فى فرنسا »
L. Maigron: Le Roman Historiqne en France

(٢) مثل كتاب بول فان تيجم فى ذلك راجع :
P.V. Tieghem: Le Romantisme dans La Iittérature Européenne
ولنا إلى هذا الموضوع عودة فى بحث آخر .

(٣) أنظر :
P. V. Tieghem : le Préromantsme Vol II .
ولنا إلى هذا الموضوع عودة فيما بعد .

٢ — أن يقيم الباحث الأدلة على تأثر الكاتب أو الكتاب بالجنس الأدبي الذى هو موضع الدراسة ، وقد يسهل عليه التدليل فيما إذا صرح الكاتب نفسه بذلك ، كما فعل الشاعر هوجو Hugo فى تصريحه بتقليد شكسبير . وقد يصعب التدليل كما فى حالة تقليد الشاعر الفريد دى فينى A. de Vigny للكاتب الانجليزى ولتر سكوت W. Scott .

٣ — أن يحدد مدى تأثر الكاتب بالجنس الأدبي المراد درسه ، وعوامل هذا التأثر ، فيبين ما إذا كان الكاتب خاضعاً لمذهب أدبى بعينه ، أو ما إذا كان حر الاختيار ، وما مدى تصرفه فى قواعد المدرسة التى يتبعها ، وما الأسباب التى جعلته يبعد كثيراً أو قليلا عن النموذج الذى أراد اتباعه . ولأجل النفوذ إلى هذه الأسباب يجب أن تدرس حياة الشاعر ، والمجتمع الذى نشأ فيه ، وثقافته الخاصة .

فهذه الدراسات إذا تتطلب تحليلا دقيقاً للمؤلفات التى يراد درسها ، وإلماما بالحالة الاجتماعية والأدبية فى عصرها ، ثم بالحالة النفسية للكاتب الذى هو موضع الدراسة . وهنا يتشعب الأدب المقارن إلى دراسات أدبية ونفسية واجتماعية .

ثالثا : دراسة الموضوعات الأدبية

يهتم كثير من الباحثين بهذا النوع من الدراسة وبخاصة الألمان ، ويسمونه تاريخ الموضوعات Stoffgeschichte وذلك كأن يدرس فاوست Faust فى الأدب الألمانى والفرنسى مثلا ، أو مجنون ليلى فى الأدبين العربى والفارسى ، أو دون جوان Don Jouan فى الأدبين الأسبانى والفرنسى . .

واهتمام الإيطاليين والفرنسيين بدراسة الموضوعات أقل من اهتمام الألمان بها ، وذلك لضعف الرابطة فى هذا النوع من البحث ، ولأن المجهود فيه يتطلب سعة فى العلم لا تتصل كثيراً بالأدب البحت . ومع ذلك لاتخفى أهمية تلك البحوث فى معرفة خصائص الشعوب ونفسيتها وفى دراسة الكاتب الذى يتخذ من هذه الموضوعات منفذا للتصريح بآرائه وفلسفته . وقيمة هذه الدراسات تتوقف على اختيار الموضوع اختياراً له قيمته الأدبية . وعلى براعة الباحث فى التحليل والمقارنة والاستنباط .

رابعا : تأثير كاتب ما على أدب أمة أخرى

هذا النوع من الأدب المقارن هو أكثر فروعه انتشاراً لدى الباحثين من الفرنسيين . وذلك لوضوح منهج البحث فيه وللوثوق من الوصول فيه إلى نتائج تتفق وما يبذله الباحث من جهـــد .

وهو يتطلب مع ذلك سعة اطلاع ودقة فى التحليل ، وصبراً فى البحث ، وذكاء فى فهم النصوص ، كما يتبين ذلك من معرفة الأسس الآتية التى يجب اتباعها فيه :

١ — يجب تحديد نقطة البدء فى التأثير من مؤلفات كاتب ما ، أو كتابٌ واحد من بينها ، أو من شخصية ذلك الكاتب باعتباره وحدة لا تتجزأ مع مؤلفاته . ومثال ذلك على الترتيب : تأثير مسرحيات شكسبير ، وتأثير هملت منها ، ثم تأثير جوته .

٢ — يجب تحديد الوسط المتأثر بلدا كان أم مجموعة مؤلفين أم مؤلفاً فقط . مثال ذلك تأثير الكاتب الفرنسى جى دى موپاسان على القصة المصرية الصغيرة ، أوعلى مؤلفى القصة الصغيرة فى القرن العشرين ، أو على تيمور فقط .

٣ — ويجب التميز بين حظ الكاتب فى ذيوعه وانتشار مؤلفاته وبين حظه فى تقليده والتأثر به ، فقد يكون الكاتب ذا حظ عظيم فى ذيوع مؤلفاته وترجمتها ، ولكنه مع ذلك ذو حظ أقل من جهة تقليده والتأثر به . ثم إن هناك أنواعاً كثيرة من التأثير : فهناك التأثير الشخصى كتأثير روسو ، والتأثير الفنى كتأثير مسرحيات شكسبير على أصحاب المذهب الرومانتيكى من الفرنسيين ، والتأثير الفكرى كتأثير فولتير على أوربا ، والتأثير الموضوعى

كتأثير الأدب الأسبانى على الأدب الفرنسى فى القرن السابع عشر مثلا [١] .

خامساً : دراسة مصادر الكاتب

إذا اعتبرنا كاتباً ما موضعاً للدراسة المقارنة ، وبحثنا عن مصادره التى استقى منها أدبه فى لغة أو فى لغات أخرى ، فإننا بذلك نكون فى منطقة من مناطق الأدب المقارن . ومظاهر تأثر الكاتب فى هذه الناحية متعدد النواحى ، فمن ذلك تأثره بمناظر البلاد الأخرى وعاداتها ، وهو ما يتطلب دراسة للبلاد المؤثرة من تلك الناحية ، ومن ذلك محادثاته مع رجالها وهذا ما يصعب الوقوف عليه أحيانا ، ومن ذلك قراءاته المختلفة فى اللغة الأخرى ، تلك القراءات التى يمكن الاطلاع عليها متى تيسرت أسباب ذلك الاطلاع . ويجب ألا يفوت الباحث التفريق بين التأثر وبين مجرد توارد الخواطر وتلاقى الأفكار ، وكثيراً ما ينتهى البحث فى هذا الميدان إلى شرح المصادر دون استطاعة استيفاء شرح آثارها فى مؤلفات الكاتب .

---

(١) انظر : Guyard : La Litt. Comp. p. 21-22

سادساً : دراسة التيارات الفكرية

نقصد بذلك دراسة التيارات الفكرية التى تسود عصراً ما أو حركة معينة من حركات الأدب ، كالتيارات الفكرية فى القرن الثامن عشر فى أوربا ، وكالحركة الهيلينية فى أدب القرن التاسع عشر [١] .

ومثل هذه الدراسات تتطلب اطلاعا واسعا . ولا بد من دراستها فى أكثر من أدبين ، حتى يستطاع تمييز الأفكار العامة التى سادت عصراً بعينه أو بلاداً بذاتها . وهنا كثيراً ما يشتبه التأثر بتوارد الخواطر ، وبالأفكار الفردية التى تتشابه لأنها وليدة حوادث متشابهة . وكل ذلك مما قد يدق دقة تضل معها أفكار الباحثين ، مع أن مجرد التمييز بين ما هو وليد حوادث متشابهة وما هو وليد التأثير الأدبى ، أمر هام لدراسة الأدب بصفة عامة ، ولدراسة الأدب المقارن كذلك .

---

(١) سنعود إلى ذلك بالتفصيل فيما بعد .

سابعاً : دراسة بلد ما كما يصوره أدب أمة أخرى (١)

لكل شعب من الشعوب رأيه فى الشعوب الأخرى ، ولهذا الرأى صدى فى أدبه الذى هو سجل شعور الأمة وصورة صادقة لما عليه علاقتها بغيرها من الأمم . ولمعرفة هذا يتحتم علينا أن ندرس أدب الرحلات ، والقصص والمسارح ، ومابها من أشخاص وألوان أجنبية . وهذا الفرع من فروع الأدب المقارن كثير الرواج فى فرنسا، ويجب أن يكون موضع عناية خاصة فى مصر أيضا .

وهو يشمل :

(١) دراسة بلد ما كما يصوره أدب آخر .

(٢) دراسة بلد كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى .

(١) دراسة بلد ما كما يصوره أدب آخر : مثال ذلك انجلترا فى الأدب الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، وكذا أسبانيا فى الأدب العربى منذ الفتح الإسلامى . ولمثل هذه الدراسات يجب أن يدرس تاريخ الأدباء الذين رحلوا إلى ذلك البلد المراد درس صورته ، وأن يشرح إلى أى حد كانت الصور التى رسموها صادقة ، وأن يدرس كذلك المؤلفون الذين كتبوا عن ذلك البلد دون أن يروه ،

---

(١) وهو ما يسمى بالفرنسية :

L' Interprétation d'un pays par un autre

وكيف صور هؤلاء وأولئك مختلف الأماكن لذلك البلد .

مثل هذه الدراسات تساعد على فهم الشعوب بعضها لبعض ، وعلى إدراك كل منها للآخر إدراكا يقوم على أسس صحيحة ، مما يؤدى إلى حسن التفاهم بين الشعوب، وتأصير صلتها بعضها ببعض .

(٢) دراسة بلد كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى : ومثال ذلك صورة أسبانيا فى شعر شوقى ، وكذا صورة مصر فى مؤلفات جيرار دى نرفال G. De Nerval وفى هذه الحالة تدرس حياة الكاتب ، ومدى صلته بالبلد المقصود ، ثم يبين كيف استقى معلوماته أو كيف رأى البلد رأى العين ، وإلى أى حد كانت الصورة التى رسمها لذلك البلد صادقة أو كاملة .

هذا مجمل أوردناه لفروع الأدب المقارن ، ولننتقل الآن الآن إلى دراستها بالتفصيل كل على حدة مبينين طرق دراستها وموضحين كل ذلك بأمثلة .

القسم الثانى

فروع البحث فى الأدب المقارن

الفصـــل الأول

عوامل عالمية الأدب

نقصد بعالمية الأدب خروجه من نطاق الأمة التى نشأ فيها إلى بلد أو أكثر من البلاد الأخرى، ورواجه فى تلك البلاد . وبفضل تلك العالمية تتجدد الأفكار، وترتقى معارف الإنسان، وتلتقى مظاهر المدنية . ولن نعمد الآن إلى دراسة مختلف عوامل ذيوع الأدب، ولا إلى بيان سهولة ذلك الذيوع فى العصور الحديثة وأسباب تلك السهولة ، لأن هذه كلها دراسات عامة لا أهمية لها هنا . وإنما نقتصر هنا على شرح عاملين يجب أن يكونا فى حساب دارس الأدب المقارن ، لاتصالهما المباشر بتلك الدراسات وهذان العاملان هما :

أولا : الكتب   ثانياً : رجال الأدب

أولا : الكتب : لدراسة الكتب هنا أهمية كبيرة تظهر فى النواحى الآتية :

١ ــ الإلمام بالمعارف اللغوية التى تعرفها أمة من لغة أمة أخرى ، ويجب أن تكون نقطة البدء فى دراسة التأثير والتأثر اللغويين ، لأنها أولى مظاهر الاحتكاك بين لغتين أو بين أدبين ، ولها مع ذلك دلائل مختلفة اجتماعية ونفسية فيما يخص العلاقات

الأدبية الدولية[1] ، فمثلا كلمة hâbler بالفرنسية ومعناها يثرثر، مستعارة من الأسبانية hablar ومعناها يتكلم ، ولكنها انتقلت بهذا المعنى إلى الفرنسية لأنها استعيرت فى وقت كانت فيه العلاقات متوترة بين الدولتين . وفى دراسة ما استعاره العرب من الفرس مثلا من الكلمات قبل الإسلام دلالته على درجة مدنية الفرس ، ومبلغ ما استفاد منهم العرب من تلك الناحية ، وبرهان على صلات الشعبين التجارية والسياسية والإدارية، مثل وزير،خراج ، ديوان، بريد ، خزينة ، صولجان .. والكلمات التى تدل على مظاهر المدنية فى اللباس والطعام مثل الكوز، الطست ، الخوان ، الخز ، الديباج، السندس ، الياقوت .. [2] وبهذا فضلا عن معرفة العلاقات بين شعبين أو أدبين ، يستطاع الحكم على مدى معرفة شعب ما لأدب أمة أخرى على ضوء معارفه اللغوية من ذلك الأدب . وهو مقصد هام من مقاصد الأدب المقارن .

---

(١) مثلا قد درس الباحث الانجليزى Fraser Mackenzie العلاقات بين انجلترا وفرنسا على حسب الألفاظ المستعارة بين اللغتين الانجليزية والفرنسية انظر: Guyard: La Litt Comp. p. 27-28

(٢) راجع فقه اللغة للثعالبى الباب التاسع والعشرين ص ٤٥٢ — ٤٥٥ وراجع محمد تقى بهار فى كتابه الفارسى سبك شناسى ج ١ ص ٢٥٤-٢٥٦ وسنتناول على حدة هذه الاستعارات بالبحث فى دراستنا للصلات بين الأدبين الفارسى والعربى .

٢ — دراسة التراجم : لدراسة التراجم أهمية خاصة لدى الباحثين فى الأدب المقارن ، إذ هى أساس لمعرفة ما لاقى الأدباء من نجاح لدى الشعوب التى ترجمت لها كتبهم ، وبها يعرف مدى تأثر الأدباء الآخرين بهم فى تلك الشعوب . وقد بلغ من شهرة بعض الكتاب أن لاقوا نجاحا فى غير لغتهم أكثر مما لاقوا لدى أبناء أدبهم من معاصريهم . فمثلا ظهر فى ألمانيا كتاب ديدرو Diderot المسمى أحاديث رامو Le Neveu de Rameau الذى ترجمه جوته إلى الألمانية عام ١٨٠٤ ، بينما ظهر الأصل الفرنسى فى باريس عام ١٨٢٣ [1] . وكذا قصة روسو Rousseau المسماة هلويز الجديدة La Nouvelle Héloise ظهرت الطبعة الأولى منها فى هولاندة فى نوفمبر عام ١٧٦٠ . وفى أبريل عام ١٧٦١ كان قد ظهر من الترجمة الانجليزية لها طبعتان فى انجلترا [2] . وفى هذا دليل على مقدار ما لاقى هذان الكاتبان الفرنسيان من نجاح ، وما كان لهما من تأثير لدى الألمان والانجليز .

ولدراسة التراجم أهمية أخرى فى دراسة أذواق كل عصر وبيان اتجاهاته العامة . فقد لوحظ مثلا أن شكسبير لم يلق نجاحاً لدى معاصريه من الأوربيين . ولا لدى من جاء بعدهم ، بقدر ما لاقى

---

(١) راجع: Diderot : Oeuvres, éd. de la pleiade, p. 1437.

(٢) راجع: H. Roddier: J.-J. Rousseau en Angleterre, p. 64 66

فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر بعد أن اكتشفه فولتير .

وقد تكون التراجم سبباً فى نشر أذواق أدبية خاصة من لغة إلى لغة . فقد لعبت الترجمة من العربية للفارسية الحديثة دوراً كبيراً فى تطور النثر الفارسى . فكانت ترجمة تاريخ الطبرى على يد الوزير السامانى أبى على محمد بن محمد البلعمى أقدم ماوصل إلينا من نثر تلك اللغة . وكانت مثالا يحتذى فى سهولتها وسلاسة أسلوبها . وبدأ النثر الفارسى الفنى بترجمة كتاب كليلة ودمنة من العربية إلى الفارسية الحديثة ، ترجمه إليها أبو المعالى نصر الله بن محمد [1] .

ويجب الانتباه إلى الاختلاف بين الأصل والترجمة ، فلهذا الاختلاف معناه وسببه من اختلاف ذوق العصر أو ذوق الأمة التى ترجم لها ومن اختلاف أغراض المترجمين الاجتماعية أو الفردية . فيلاحظ مثلا الاختلاف الكبير بين كليلة ودمنة لابن المقفع ، وبين ترجمته إلى الفارسية الحديثة على يد أبى المعالى نصرالله. ففى الثانية إطناب وسجع، وصبغ للكتاب بصبغة إسلامية واضحة ، مع الإكثار من الاستشهاد بالشعر وبالحكم العربية ، ومع كثرة الاستعارات وتصنع الأسلوب . وهذا الفرق يميز

---

(١) قد أوضحت كل هذا فى الجزء الأول من رسالتى : تأثير النثر العربى على النثر الفارسى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين.

عصرين مختلفين من بهما النثر العربى ثم النثر الفارسى تحت تأثير الأدب العربى [١] .

وقد يكشف الاختلاف بين الترجمة والأصل عن اختلاف فى الذوق بين الشعوب، فمثلاحين ترجمت مسرحية عطيل Othello لشكسبير إلى اللغة الفرنسية استبدل منديل ديسديمونا Desdemona الذى ساقه الضابط ياجو Iago دليلا على خيانتها ، استبدل بأسورة ثم بشال ، ثم بعصابة ، ثم بخصلة من شعر ، قبل أن يعود أخيراً فى ترجمة الفريد دى فينى منديلا كما هو فى الأصل . وذلك لأن التقاليد الاجتماعية لم تكن لتسمح للفرنسيين بعرض منديل امرأة على مسرح [٢] .

٣ — كتب النقد والمجلات والصحف : بدون استيعابها لا يمكن أن يكمل بحث ما فى صلات الآداب ببعضها ببعض، فيجب تحليل ما بها من آراء ، وفهم ما تحتوى عليه من إشارات ، وتحديد ما ترسم من اتجاهات .

وقد لا نجد فى كتبنا ومجلاتنا ما له صلة مباشرة بالأدب المقارن ، إذ مثل هذه البحوث لم ينضج بعد عندنا حتى اليوم . ولكنها مع ذلك ضرورية فى تحديد اتجاهات العصر وما قد يسودها

---

(١) المرجع السابق .

(٢) انظر: Margaret Gilmann : Othello in Frensh
— Guyard : la litt. comp. p. 28

من تيارات أجنبية ، وفى بيان مدى تذوق القوم لتلك التيارات وأسبابه الاجتماعية والثقافية .

وفى البلاد الأجنبية مجلات خاصة بالبحث فى الآداب الأجنبية وصلاتها بالأدب القومى مثل المجلة الانجليزية English Revew من عام (١٨٢٥ — ١٨٤٠) [1]

وقد قام فان تيجم بدراسة أعداد المجلة الهولاندية المسماة « السنة الأدبية » l'année litteraire من عام ١٧٥٤ إلى عام ١٧٩٠ دراسة طويلة مقارنة فى كتاب له صدر سنة ١٩١٧ . [2]

وعلى من يريد أن يدرس تأثير الآداب الأوربية فى عصرنا الحديث أن يرجع إلى المجلات والصحف كأساس هام لدراساته .

٤ — أدب الرحلات : يفسح الأدب المقارن مجالا واسعاً لدراسة أدب الرحلات ، لأنها المعين الذى يستق منه أهل الأمة معلوماتهم عن الأمم الأخرى . والصورة التى يرسمها أدب الرحلات لأى أمة — صحيحة كانت تلك الصورة أو مشوهة — هى التى تنعكس فى قصص الكتاب وفى مسرحيات المؤلفين ، بل وفى

---

(١) كانت هذه المجلة موضوعاً لدراسات : Kathelein Jones
راجع : Guyard : la littt. Comp., p. 30-31

(٢) المرجع السابق ، وقد سبق أن ذكرنا بعض مراكز أدبية خاصة بالبحوث المقارنة ، أنظر هذا الكتاب ص ٥٥ — ٥٦

عقلية الساسة والمفكرين . وما كتبه الرحالة من الأدباء الفرنسيين من مصر كان موضوع دراسة أستاذنا جون مارى كاريه [١] J. Marie-Carré وقد بين فى كتابه كيف صور هؤلاء الرحالة مصر، وكيف تنوعت صورهم لها على حسب ميولهم وثقافاتهم، كما بين ما كان لهم من تأثير على الإنتاج الأدبى لغيرهم من معاصريهم.

ومن هنا ندرك كيف تفيدنا هذه الدراسات فى مكانتنا لدى الشعوب الأخرى ، وفى معرفة مدى تأثيرنا على آدابهم ، بعاداتنا ونظمنا وتاريخنا ومناظر بلادنا . وكل هذا يعود علينا بالخير فى فهمنا لأنفسنا وفى صلاتنا بغيرنا . وقد يقصد إلى دراسة بلد ما كما هو فى أدب الرحالة الذين قصدوا إليه أو فى الإنتاج الأدبى لأى أمة أخرى ، وسنتكلم عن هذا النوع من الدراسات فى الفصل الأخير من هذا الكتاب .

ثانياً : رجال الأدب من مترجمين ووسطاء .

١ — المترجمون : تكلمنا من قبلُ عن دراسة التراجمَ فى ذاتها ، وعنينا بذلك التراجم التى ليس لمؤلفيها شهرة خاصة تستوجب دراستهم أنفسهم . فإذا كان المترجم ذا مكانة أدبية تستوجب

(١) الكتاب فى جزأين ويسمى الرحالة والكتاب الفرنسيون فى مصر:
Les Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte

دراسته ، وجب أن نقوم بتلك الدراسة لنبين تأثيره هو بالإضافة إلى تأثير ما ترجم .

فيجب مثلا أن ندرس أبا المعالى نصر الله وعصره ، لأن ترجمته الفارسية لكليلة ودمنة تختلف كثيراً عن الأصل العربى لابن المقفع ، وكان لهذا الاختلاف تأثير كبير على الأدب الفارسى الحديث . ولم يأت هذا التأثير من الأصل العربى مباشرة ، ولكنه صدر عن ثقافة واسعة للمترجم استطاع بها أن يستهوى قومه بأسلوبه فى الترجمة وأن يحملهم على تقليده . وإن كانت ثقافته هى الأخرى ذات طابع عربى واضح .

ومثل ذلك ليتورنور (١٧٣٦ — ١٧٨٨) Letourneur فقد بدل فى ترجمته الفرنسية لشكسبير ، وللشاعر الإنجليزى يانج Young ، حتى ظهرت شخصيته فى ترجمته واضحة ، وحتى بعدت ليالى يانج عن أصلها فكأنها خلقت خلقاً جديداً . فلابد من دراسته ، ودراسة التقاليد الاجتماعية والذوق الأدبى فى عصره ، لأنها هى التى حملته على إلباس ترجمته الثوب الفرنسى [١]

٢ — الوسطاء فى الأدب : قد يقيض لأدب من الآداب رجل أجنبي عنه ، يعرف به أهل أمته ، ويكون داعية له فيهم .

---

(١) أنظر : P. Van Tieghem : La Litt. Comp., P. 160-161,

وكثيراً ما تهيء ظروف الهجرة والسفر لذلك الداعية الوسيط القيام برسالته فى تعريف قومه بالأدب الذى يدعو إليه . ولا بد أن يكون ذلك الداعية ذا ثقافة واسعة وأسلوب قوى ليترك أثراً فى قومه . ولسنا نعنى بالدعاية أن يكيل له المدح ، بل نعنى بها أن يذيعه وينبه لأهميته ، وإن لم يخل كلامه فيه من نقد قد يكون لاذعا .

ولقد بين فرديناں بلدنسبر جيه فى كتابه « الحركة الفكرية فى الهجرات الفرنسية » (١) كيف غذى المهاجرون من الكتاب الفرنسيين الفكر والأدب فى فرنسا، فقد أدى اكتشاف المسرحية الألمانية إلى زلزلة العقلية الكلاسيكية التى كانت سائدة فى فرنسا قبل الهجرة . وبفضل هذه الهجرات وجد كتاب مدام دى ستال الذى كان إنجيل الرومانتيكيين ، وكان من ثمراتها كذلك كتاب « عبقرية المسيحية » وبعض صفحات « مذكرات ما وراء القبر » لشاتوبريان . وتبع الهجرات السابقة تجدد فى الروح الفكرية والسياسية كان مقدمة لما ساد القرن التاسع عشر (٢) من حركات .

وخير من يمثل الوسطاء الكاتبان الفرنسيان فولتير مكتشف

---

(١) F. Baldensperger : Le Mouvement des Idées dansL' Emigrarion Fransaise de 1789 à 1815 .

(٢) انظر : Guyard : la litt. Comp. p. 36 - 39 .

شكسبير ، ومدام دى ستال التى عرفت الفرنسيين بالأدب الألمانى وسنخص هنا كلا منهما بكلمة :

فولتير : من المعلوم أن فولتير أقام فى العاصمة الانجليزية وضواحيها قرابة عامين من ١٧٢٦ — ١٧٢٨ . وقد حاول فيهما درس اللغة الانجليزية ، وشاهد بعض مسرحيات شكسبير ، ولكنه مع ذلك قد تأثر أول ما تأثر بمحادثته مع النقاد الانجليز عن شكسبير[١] . وقد اعجب بشكسبير ، ولكنه نقده نقداً مرا . فأخذ جهله وأنه لا يعرف اللاتينية ، كما أخذ عليه فى مسرحياته بعدم عن قواعد الذوق ، وعن وحدة الزمن والمكان ، وعرضه على النظارة مناظر وحشية . وهاك على سبيل المثل بضعة أسطر عن شكسبير من رسائل فولتير الفلسفية .

« شكسبير ذو عبقرية تفيض قوة وخصوبة ، وذو مواهب طبعية بالغة السمو ، ولكنه ليس عنده مثقال ذرة من الذوق . وهو جاهل كل الجهل بالقواعد ... وقد آن لأفكار ذلك المؤلف العظيم أن تكتسب بعد قرنين حقها فى أن يعترف لها بالسمو والإبداع[٢] .. وتعلمون أن فى مسرحية عطيل يغتال زوج امرأته

(١) راجع :

P.Van Tieghem: Le Préromantisme,vol. 3,p. 20

(٢) رسائل فولتير الفلسفية ، الرسالة الثامنة عشرة :

Lettres Philosophiques.

على المسرح ، وتصييح المسكينة حين تهوى صريعة أنها اغتيلت ظلما . وتعلمون كذلك أن حفارى القبور فى رواية هملت Hamlet يحفرون وهم يشربون ويغنون لاهين برءوس الموتى ، فى سخرية ليست بغريبة من مثلهم فى مهنتهم . » [١]

ولم يتعمق فولتير فى دراسته لشكسبير ، ولم يقصد إلا إلى آراء يبديها ليظهر بها فضله فى الاطلاع والنقد ، وتبحره فى الأدب . ولكن آراءه كانت ذات أثر عميق فى اكتشاف شكسبير فى القارة الأوربية جمعاء ، لمكانته ككاتب ومفكر ، ولمنزلة اللغة الفرنسية فى عصره . فقد كانت لغة أوربا الثقافية وذات المكانة الأولى فيها . [٢]

مدام دى ستال :

فى كتابها عن ألمانيا عام ١٨١٤ نشرت كثيراً من الأفكار الجديدة على قومها ، وكان مصدرها فيها هو الأدب الألمانى ، وكان لهذه الأفكار تأثير أى تأثير على نشأة المذهب الرومانتيكى وعلى الأدب الفرنسى . ولنذكر لك بعضها على سبيل المثال : « الفرنسيون أمهر الناس فى ترتيب المعلومات وطريقة التأليف ، ولكن الكتب

---

(١) المرجع السابق ، وهذه الرسائل تم تأليفها عام ١٧٣٤ .
(٢) راجع :
P. Van Tieghem: Le Preromantisme, vol.3, chap.I

الأقل ترتيبا توحى بالمشاعر القوية ، « يجب أن نضرب عن الوحدات الثلاث صفحا ، [1] إذ أنها عائق فى سبيل المسرحية التاريخية والوطنية ، وأحد الموانع التى تضحى بالجوهر فى سبيل الإبقاء على العرض . » « المسرحيات التى ترمى إلى قوة الإحساس واحتدام العواطف خير من تلك التى ترمى إلى دراسة الطبائع وتحليلها » ولا تدعو مدام دى ستال فى كل ذلك إلى تقليد المسرحيات الألمانية تقليدا ، ولكنها ترى أن لقاحا جديدا من تلك المسرحيات كفيل بأن ينفث فى المسرح الفرنسى روحا جديدة[2] .

٣ — الأوساط الأدبية (المجتمعات والنوادى) :

هذه الأوساط من مجتمعات ونواد خير منفذ للتيـــارات الأجنبية ، وخير ممهد لها ومشجع على التأثر بها . وقديماً قام فى إيران ما يشبه هذه النوادى ، فقد كان بلاط الحكام فيها ملتقى العلماء والأدباء ممن يعرفون اللغتين العربة والفارسية ، فكانوا يناقشون فيها المسائل الأدبية التى تمس آداب هاتين اللغتين . وكانوا ولوعين برؤية عيون المؤلفات العربية مترجمة إلى الفارسية . فكان فى ذلك تشجيع للمترجمين . وقد ذكر أبو المعالى نصر الله مترجم

(١) سنشرح الوحديات الثلاث فى الفصل التالى .

(٢) كل هذه الأفكار مأخوذة عن كتاب مدام دى ستال عن ألمانيا الجزء الثانى ، الفصل الخامس عشر :
Mme. de stael: De l' Allemagne, livres,chap.15.

كليلة ودمنة من العربية عن ابن المقفع إلى الفارسية ، أنه تم له ذلك بفضل التشجيع والنصائح التى ظفر بها فى تلك المجتمعات [١] . ومن مظاهر ولوع كبار الأدباء فى ذلك العهد بالترجمة من كل من هاتين اللغتين إلى الأخرى — ولوعا كان ذا قيمة كبيرة فى توثيق الصلات بين الأدبين — ما جرى بين الصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذانى . فقد أراد البديع أن يلتحق بخدمة الصاحب ، وكان البديع على حداثة سنه يجيد قرض الشعر بالعربية ، وله فيه طبع فياض . فسأله الصاحب أن يترجم شعراً إلى العربية ثلاثة أبيات فارسية من نظم الشاعر الفارسى المنطقى هى :

يك موى بد زديدم ازدوزلفت
جون زلف زدى أى صنم بشانه

جونانش بسختى همى كشيدم
جون موركه كندم كشد بخانه

باموى بخانه شدم ، يدر كفت
منصور كدامست أزين دوكانه ؟ [٢]

---

(١) راجع مقدمة نصر الله لكتابه كليلة ودمنة، طبعة طهران عام ١٩٢٨ ص ٧ وما يليها . ولأجل هذه الاجتماعات فى خراسان راجع يتيمة الدهر للثعالبى طبعة بيروت ج ٤ ص ٣٧

(٢) إليك الترجمة النثرية لهذه الأبيات ، كى تقدر مدى براعة البديع =

فسأله البديع : أى قافية تريد فى ترجمتها إلى العربية ؟ فعيّن له الصاحب قافية الطاء ، فسأله عن البحر الذى يريد نظمها فيه ، فأجابه: أسرع يابديع فى البحر السريع . وهنا بدأ البديع الترجمة مرتجلا فقال :

سرقت من طرته شعرة   حين غدا يمشطها بالمشاط

ثم تدلحت بها مثقلا   تدلح النمل بحب الحناط

قال أبى : من ولدى منكما   كلا كما يدخل سم الخياط (١)

وفى البيت الأخير كناية عن نحافة المنصور من الحب ، فقد بلغت درجة لم يستطع والده معها أن يميزه من الشعرة. وهى مبالغة كانت مستملحة فى وقتها .

وفى فرنسا مثلا نرى أن أقدم النوادى وهو نادى رامبوييه Salon de L'Hotel de Rambouillet الذى ازدهر من

=فى ترجمته الشعرية لها . «سرقت شعرة من طرتيك حين كنت تمشطهما يامعبودى ، وجررتها هكذا فى جهد كما تجر النملة حبة بر إلى بيتها . وحين وصلت إلى المنزل قال أبى : أيكما منصور ؟» أى أنه لم يستطيع تمييزه من الشعرة لنحافته .

(١) راجع الكتاب الفارسى (لباب الألباب) لمحمد عوفى طبعة لندن ١٩٠٣ الجزء الثانى ص ١٧ .

عام ١٦٢٤ إلى عام ١٦٤٨ — قد سهل نفوذ الآداب الإيطالية والأسبانية إلى فرنسا [١]

وفى القرن الثامن عشر روجت النوادى الأدبية فى فرنسا للنفوذ الأدبى الأجنبى وبخاصة للأدب الانجليزى وقد مهد ذلك لحركة الرومانتيكيين [٢] .

ولا يصح أن نغفل هنا ذكر أهم هذه النوادى فى فرنسا، وهو نادى مدام دى ستال فى قصر كوبيه Chateau de Coppet ما بين سنة ١٧٩٥ وسنة ١٨١١ وقد سبق أن ذكرنا بعض أفكارها وأهمية هذه الأفكار الأدبية [٣] .

هذه هى أهم عوامل انتشار الأدب بين الشعوب، وهى وإن لم تكن مقصودة بالدراسة لذاتها إلا أن أهميتها تحتم دراستها دراسة دقيقة تمهيداً لدراسة الفروع الأخرى التى هى من صميم الأدب المقارن والتى سنبدأ بدراستها الآن .

---

(١) راجع مثلا. R. Ricard: les salons litt., chap. 1-4

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٠ — ٢٥٤ وكذا : P. V. Tieghem
la litt. comp., p. 155-157 .

(٣) راجع هذا الكتاب ص ٢٣ — ٢٧ و ص ٨٢ — ٨٣

الفصل الثانى

دراسة الأجناس الأدبية ، والصور الفنية ، والأسلوب

موضوع الفصل دراسة القوالب الفنية التى يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويصب فيها إنتاج قريحته ، وما يتبع ذلك من تعبيرات خاصة بالأسلوب والصياغة . وقد سبق أن أشرنا إلى أن للأدب أجناسا تتحكم فى الكاتب بقواعدها العامة التى ترجع إلى التقاليد الخاصة للأمة وآدابها ، كأنواع المسرح والقصة والحوار والرسائل والخطب وأنواع الشعر . . الخ وقد تكون هذه التقاليد فى الأمة موروثة تصرف فيها بالتغيير والزيادة أو النقص ، لتأثرها بأدب أمة أخرى ، وقد تكون كلها مستعارة من أمة أو أمم أخرى ، بل قد تكون من خلق الكاتب نفسه معتمداً على بعض أثارات من تقاليد مختلفة قد توصل إلى صبغها بما وهب من نبوغ وعبقرية .

فمن قواعد المسرح الكلاسيكى الفرنسى القاعدة المشهورة بالوحدات الثلاث : وحدة الزمان ، ووحدة المكان ، ووحدة الحدث .[1] وقد ورث الأدب الفرنسى تلك القاعدة عن الأدب

---

(١) قد يكون من المفيد للقارىء العربى أن نقول كلمة عن هذه القاعدة الكلاسيكية التى سجلها بوالو فى دستوره للكلاسيكيين :

Qu' en un lieu, qu'en un jour un seul Fait accompli
Tienne jusqu'a la fin le théatre rempli =

اليونانى ، وقد انحرف عنها مع ذلك كثير من الشعراء الفرنسيين أنفسهم ، حتى أتى المذهب الرومانتيكى فتحلل نهائياً من تلك القاعدة ولم يحتفظ إلا بوحدة الحدث ، وكان ذلك التحلل نتيجة للتأثر بالأدب الألمانى والإنجليزى . فدراسة الكاتب وتصرفه فى قواعد الجنس الأدبى الذى يعالجه تبين كثيراً من نفسيته ، وتكشف عن بعض مواهبه . وقد توجهه عوامل أجنبية أو اجتماعية إلى إهمال

= فوحدة الحدث هي العقدة التى تدور حوادث المسرحية حولها وهى التى تكون جوهرها التمثيلى ، ولهذا يجب أن يكون فى كل مسرحية شخصية أساسية يدور عليها محور الرواية ، وأن تبقى تلك الشخصية فى مركزها الذى بدأت به فى الرواية؛ فاذا كانت فى خطر ما فانتقلت إلى خطر من نوع آخر كان ذلك عيباً فى الرواية الكلاسيكية ولهذا انتقدوا الشاعر كورنى Corneille فى مسرحيته المسماة هوراس Horace لأن البطل فيها انتقل من خطر الحرب فى سبيل الوطن إلى خطر إدانته فى قتل أخته كاميل Camille . ووحدة المكان هى أن تجرى جميع وقائع المسرحية فى مكان واحد . منزل أو معسكر أو مدينة واحدة ، وجميع ما يصدر من الأشخاص خارج هذا المكان يستعان على إخبار الجمهور به بوساطة حكايته على لسان أشخاص المسرحية . ووحدة الزمان هى أن تجرى حوادث المسرحية فى يوم أو فى ست وثلاثين ساعة على الأكثر ، وذلك للمحافظة على ظاهرية إمكان حدوث المسرحية فى الواقع Vraisemblance . ولم يخضع لهذه القاعدة المسرح الإنجليزى ولا الأسبانى ولا الألمانى .

قاعدة من القواعد التقليدية أو التصرف فيها .

ودراسة الأجناس الأدبية فى ذاتها ، من غير علاقاتها بمؤلفيها، لها أهمية أخرى : هى أنها تكشف عن حاجات العقل البشرى ، وتاريخ المواهب الإنسانية ، وخواص الشعوب المختلفة ، وعن تعاونها فى تغذية بعضها بعضاً بثمرات قرائحها . فالقصة الطويلة والقصيرة فى أدبنا الحديث تأثرت بالأدب الغربى فى وجودها وفى نواحيها الفنية ، والقصة فى الأدب الغربى ترجع فى أصلها إلى قصص الملاحم الشعرية التى تحكى معجزات الأبطال الأسطوريين ، ومن آبائها الأوائل هو ميروس وفرجيل [١] . وسندرس أولا الأجناس الأدبية ثم نثنى بدراسة الصور الفنية ثم الأسلوب .

أولا : الأجناس الأدبية

الجنس الأدبى فى أمة ما وليد أمرين : عبقرية أديب أو مجموعة من الأدباء ، والحاجة الاجتماعية التى تتطلب تغذيتها من ذوى القرائح فى ذلك المجتمع . وقد يستعين الأديب أو جماعة الأدباء فى مدهم المجتمع بحاجاته بما انتهى إلى علمهم من آداب

---

(١) راجع : P. Van Tieghem : La Litt. Comp., p. 72-73 .

وراجع أيضاً : J. Subervill : Théories de l'Atr et des Genres Litteraires, p. 421-426 .

الأمم الأخرى فى تقاليدها ، وبمثل هذا تنشأ الاتجاهات الجديدة فى الآداب . ولنضرب لذلك مثلا بحركة الرومانتيسم فى فرنسا فى القرن التاسع عشر . فإنها اقتدت بما وصل إليها من الأدب الألمانى بوساطة مدام دى ستال وبما انتهى إليها من مسرحيات شكسبير [١] .

وقد كان اهتمام الباحثين من الفرنسيين بدراسة الأجناس الأدبية عظيما فى أوائل هذا القرن ، ثم قل اتجاههم نحوها وأصبح أكثر روادها من الأجانب . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن أكثر أدبائهم فى العصر الحديث لايهتمون بالأدب كأجناس لها قواعد ، وقد اتبع نقادهم طريقة أدبائهم فى ذلك ، هذا إلى أن طريقة برونيتيير فى نظريته فى تطور الأجنـــاس كرهت إلى الفرنســيين مثل هذه البحوث ، خوف أن يتورطوا فى مثل أخطائه [٢] .

---

(١) لا أدل على ذلك من أن فيكتور هوجو فى مسرحيتـــه المسماة كرمويل التى هى دستور الرومانتيكين يشيد بشكسبير ، وبأنه الوحيد الذى فهم المسرحية وعلا بها إلى مكانة لايمكن تقليده فيها . راجع مقدمة كرمويل فى أول رواية Ruy Blas لفيكتور هوجو : باريس سنة ١٩٤٥

(٢) قد شرحنا من قبل هذه النظرية ونقدناها أنظر هذا الكتاب ص ٣٩ — ٤٢ وأنظر أيضاً .

P. Van Tieghem : La Litt. Comp , p. 17

وبالرغم من ذلك ليست أهمية هذه البحوث موضع شك ، وهى أكثر فائدة لدارسى الأدب العربى ، فهى تفقهم على النواحى الفنية فى الأدب ، وعلى تحكم العوامل الاجتماعية فى هذه النواحى، وتفتح أمامهم ميادين جديدة للنقد والتفكير ، ثم للاقتداء والخلق، على ضوء معارفهم وعلى هدى قرائحهم .

ولنتتبع الآن أهم الأنواع الأدبية ضاربين أمثلة على دراستها :

١ — المسرحية : يدين العالم كله بالمسرحية بمعناها الحديث لأثينا فى عصرها الذهبى (عصر بيركليس Périclès) ٥٠٠-٤٢٩ ق.م. ولكن المسرحية نفسها تطورت منذ ذلك الزمن السحيق حتى اليوم تطوراً متنوع الاتجاهات والمظاهر . وتعددت أغراضها بتعدد حاجات كل عصر ، ثمن أنواعها القديمة من هزلية ومأساة إلى المسرحية الكلاسيكية والرومانتيكية والواقعية .. [١]

وقد تعرض كل نوع من هذه الأنواع إلى تغييرات ورثها عن الآداب الأخرى . وقد تكون هذه التغيرات استجابة لمذهب أدبي لاحق يعتمد فى اتجاهه على أدب سابق ، كما استند المذهب

---

(١) راجع : J. Suberville op. Cit · 423
وهناك مقال مركز على الموضوع بالأسبانية :
Diccionario de Literatura Espanola, Articulo Teatro .

الرومانتيكي على تقاليد استقاها من مسرحيات شكسبير . وكما تأثرت المسرحية الكلاسيكية بالمسرحية اليونانية . .

إن تاريخ المسرحية يحدد في وضوح كيف تأثر هذا النوع في كل بلد بالاتجاهات المختلفة للآداب في البلاد الأخرى ، وكيف تغيرت أنواع المسرحيات المقتبسة من هذه الآداب تبعاً لاستعداد المؤلفين ، ونزولا على حاجات المجتمع ، ثم وقوفا منهم عند الحدود الفنية التي ترتضيها شعوبهم. فإذا أخذنا مثلا مسرحيـــة الرعاة[1] وجدنا أن هذا الجنس الأدبي قد نشأ في فرنسا متأثراً بالأدب الإيطالي وبخاصة بالشاعر تاسو Tasso (١٥٤٤ — ١٥٩٥) في مسرحيته أمينتا Aminta (١٥٧٣) [2] ولكنه لم يزدهر إلا قرابة ثلث قرن في فرنسا (في أوائل القرن السابع عشر) وذلك

---

(١) يسمى Les Bergeries ou Pastorales ومسرحية الرعاة مجال للمؤلف يفصى فيها بعواطفه وخواطره على لسان الرعاة والراعيات في الحقول ، وخلف القطعان ، وعلى ضفاف الأنهار . ويشغل وصف المناظر الطبعية جزءا كبيراً من هذه المسرحيات ، كما يغلب فيها وصف العواطف الصادقة القوية والحب الفطري العنيف . وكان لهذه المسرحيات رواج في إيطاليا وأسانيا أكثر منه في فرنسا .

راجع : J- Suberville: Théories de l' Art. P.,802—303

(٢) N. Ségur .Hist. de.la litt. Européenne vol. 2‘chap.6

أنه لم يتمشَّ مع تقاليد المسرح الفرنسى فى ذلك الوقت مثل قاعدة الوحدات الثلاث ، مع مجافاته لفروض ذوق العصر التى كان لها السلطان الأعلى فى المجتمع ، لما كان فيه من عواطف ريفية ، ومن ابتذال لهذه العواطف فى الحقول والغابات ، ثم لطول العقدة المسرحية فيه وتشعبها .

ولأهمية البحوث المقارنة فى المسرحيـــات تناولها الكتاب الغربيون بحثاً وتمحيصاً ، ونخص بالذكر أن هذه البحوث كانت غزيرة فى ناحيتين هما : بيـان تأثير المسرحية الحرة الأسبانية (١) وتأثير مسرحية شكسبير على الأدب الأوربى . (٢)

فإذا انتقلنا إلى الأدب العربى وجد أن الميدان لم يطرق بعد ، فالمسرحيات فيه مقتبسة من الآداب الأجنبية ، ويجب أن تدرس لتبين مصادرها من تلك الآداب .

فمثلا إذا أردنا دراسة شوقى فى كليوباترة ، وجب أن ندرس المسرحيات الفرنسية المختلفة عن كليوباترة ، ثم مسرحية شكسبير عنها ،

---

(١) مثل كتاب برتراند J.J.Bertrand فى تأثر الشاعر الألمانى تيك Tieck بالمسرح الأسبانى، ومثل كتاب مارتينش E.Martinench فى تأثير الأدب الأسبانى على المسرحيات الرمانتيكة فى فرنسا .

(٢) كما فعل الكاتب الألمانى جودلف Gudolf فى كتابه فى تأثير شكسبير على العقلية الألمانية .

راجع . P.Van Tieghem: la litt.Comp.p.81

ونرى إلى أى حد كان شوقى متأثراً فى النوع المسرحى بالأدب الغربى ، ثم ننظر فى تفاصـــيل مسرحيته وفى أشخاصها لنرى ما استفاده عن يقين من تلك الآداب .

وننبه هنا إلى أن المسرح كان فى نشأته قصراً على الشعر حتى القرن الثامن عشر ، ولكنه الآن قسمة بين الشعر والنثر . ونظيره فى ذلك أدب الملاحم الذى سنتكلم عنه الآن .

(٢) الملاحم :

الملحمة قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التى تبوئهم منزلة الخلود بين بنى وطنهم ، ويلعب الخيال فيها دوراً واسعاً ، إذ يقص على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال ومابه سموا عن الناس . وعنصر القصة واضح فى الملحمة ، فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التى يستلزمها تسلسل الحوادث. والملاحم، بالرغم من أن الخيال أو التصور يلعبان دوراً هاماً فيها ، من خلق المجتمع قبل أن تكون من خلق الشاعر ، إذ أن لكل قصة في الملحمة أصلا تاريخياً انحدرت عنه بعد أن حرف تحريفاً يتفق وجو الخيال فى الملحمة ، مما يسيغ أن تحدث خوارق العادة على يد الأبطال ، وأن يتراءى الإنس والجن أو الملائكة ، وأن يتعامل الآلهة مع الناس . فواقعة طروادة صحيحة تاريخياً وكانت موضوع ملحمة هومير فى إلياذته . وكذا هزيمة مؤخرة جيش شرلمان

على يد المسلمين من الأسبان صحيحة تاريخية وكانت موضوع أغنية رولان[١]. وبدهى أن الملحمة بهذا المعنى لا تزدهر إلا فى الشعوب الفطرية التى يلذ لها أن تستمع إلى الأساطير فى أسلوب جميل، وتتخذ ما يمكن من ذلك عن سير أبطالها نبراساً تسير على ضوئه ومنهاجا يوحد بين أفرادها. ومن الواضح كذلك أن زمن هذه الملاحم قد انتهى. ومع هذا لا يزال تأثير الملاحم ظاهراً فى الأدب الحديث فقد أوحى هوميروس لكثير من الأدباء الفرنسيين بموضوعات لمسرحياتهم أو لقصصهم، ويكفى أن نشير هنا إلى قصص ومسرحيات جيرودو Giraudoux، وكذا كان الفردوسى فى شاهنامته مصدر كثير من الشعراء الغربيين فى موضوعاتهم، كالشاعر الانجليزى ماتيو أرنولد Mattew Arnold [٢]. ومن الملاحم الجديدة نسبياً ملحمة تاسو Tasso وعنوانها تحرير أورشليم، [٣] وكان لها تأثير على أدب أوربا كله [٤].

وإذا كان الأدب العربى لم يعن بالملاحم بمعناها الذى ذكرنا،

---

(١) تسمى la Chanson de Roland

راجع J Suberville : Thèories de l' Art... p.238-239

(٢) سنعود إلى هذا بشىء من التفصيل فى الفصل التالى.

(٣) Jerusalemme Liberata

(٤) راجع P. van Tieghem : la lilt. Comp. p. 44

فإن فيه الملاحم الغرامية ، وموضوعها أعاجيب قصص الغرام في الشعر : كقصص ليلى والمجنون ، وقيس ولبنى . ومن المباحث الشائقة دراسة مثل هذه الموضوعات في تأثيرها وتأثرها بين الأدبين العربي والفارسي مثلا .

٣ — الخرافات أو القصص على ألسنة الحيوان :

نخص بالذكر هذا النوع من بين الأنواع الأدبية التعليمية ؛ لما له من أهمية خاصة في بحوث الأدب المقارن . وقد كان هذا النوع وقفاً على الشعر في الآداب الغربية ، بينما عولج غالبا في النثر في الآداب الشرقية ، ويقصد به نوع القصة الصغيرة الرمزية التي تحتوي على درس خلقي ، وكثيراً ما تكون على لسان الحيوان ، ولكن قد تحكى أيضا على ألسنة النبات أو أشخاص رمزيين من الناس . وعلى أي حال ليست الحيوانات أو غيرها إلا رموزاً لأشخاص واقعيين رغبة أن تكون الدروس الخلقية أنفذ إلى القلب. لأنها تسلك إليه عن طريق غير مباشر .

وعلى المؤلف في هذا النوع أن يراعي النسبة بين الرموز كالحيوانات وغيرها، وبين ما ترمز إليه من أشخاص حقيقيين ، بحيث يكون القناع الذي تستتر وراءه هذه الأشخاص غير كثيف، حتى لا تنطمس الغاية الرمزية من الأقصوصة . ومن أجل هذا يجب ألا يغيب عن ذهن الكاتب الأشخاص المقصودون حين

يتكلم عن أشخاصه المستعارين ، بحيث تكون أكثر الصفات التى يذكرها يمكن أن ينطبق على كليهما فى وقت معا . ولا يصح مع هذا أن يستغرق فى وصف الأشخاص المرموز إليهم بحيث ينسى الأشخاص المستعارين . والطريق القصد بين هذين دقيق ، وهو مقياس البراعة فى هذا الجنس الأدبى .

وهذا الجنس ينشأ شعبياً فى كل الأمم ، وينتشر على ألسنة العامة من غير حاجة إلى استعارة من آداب أخرى ، إلا أنه حين يرقى إلى المرتبة الأدبية قد يتعرض للتأثر بالآداب الأجنبية فى صورة لا مجال للشك فيها (١) .

فنى الأدب العربى يرجع الفضل فى وجود هذا الجنس الأدبى إلى الأدب الإيرانى . فقد كان أول كتاب ظهر فيه هو كتاب عبدالله ابن المقفع « كليلة ودمنة » الذى ترجمه عن اللغة الفهلوية ، وهو بدوره مترجم عن إحدى لغات الهند .

وقد كان لكليلة ودمنة تأثير قوى على آداب اللغة العربية فى العصر العباسى ، ويشهد بذلك أن جعفر بن خالد البرمكى كلف عبد الله ابن الأهوانى أن يترجمه له مرة ثانية ، ثم صاغه شعراً عبد الحميد بن عبد الرحمن اللاحق . وقلده فى ذلك شعراء غيره ، منهم على بن داوود ، وأبو المكارم أسعد بن خاطر ، وجلال الدين النقاش .

---

(١) راجع Suberville: Thèorie de l' Art... P.332-335

ولم يصلنا من كل ذلك إلا بعض أشعار لأبان بن عبد الحميد ابن لاحق .

ولم يقف الأمر عند حد الترجمة ، بل تجاوزه إلى التقليد ، فقد ألف سهل بن هارون كتاباً سماه (كتاب ثعلة وعفراء) قلد فيه كتاب كليلة ودمنة . وقد قلد على بن داود بدوره سهل بن هارون، ولكن لم يصلنا شيء من كل هذه الكتب . (١)

وفى القرن الخامس عشر ترجم بن عربشاه من الفارسية كتاب مرزبان نامه ، فى أسلوب مسجع متكلف . ثم قل بعد ذلك من شعراء العرب على مر العصور من عالجوا هذا الجنس الأدبى ، ومنهم فى العصر الحديث أحمد شوقى فى بعض مقطوعاته .

وقد ازدهر هذا الجنس فى الآداب الشرقية قبل الآداب الغربية فالتوراة والإنجيل بهما أمثلة كثيرة منه . وساعد على ازدهاره أيضاً فى بلاد شرقية أخرى وجود مذهب التناسخ ، وما تبعه من

---

(١) راجع الفهرست ص ١١٨ — ١١٩ ، ص ١٢٦ — ١٦٣ ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

والمسعودى : مروج الذهب، طبعة باريس ١٨٦١ حـ ١ ص ١٥٩ ثم .

Inostransev : Iranian Influence on Moslem literature, p.32 — 33

De Sacy : Notices sur les Manuscrits, Vol, 10, p. 168 — 170

وجوب معاملة الحيوانات برفق ، والنظرة إليها كمخلوقات لها مكانة تتساوى فيها مع البشر . ومما يلاحظ أن هذا الجنس فى الآداب الشرقية تغلب عليه الصبغة الأدبية ، بينما يغلب عليه الطابع التعليمى فى الآداب الغربية .

ومما لاشك فيه أن الآداب الشرقية أثرت على الآداب الغربية فى هذا الجنس الأدبى . ومن الصعب أن نعرف على وجه التحديد ماهو الأدب المؤثر منها أهو الأدب الهندى أم الفارسىأم العربى. ولكن الذى لا شبهة فيه أن هذا النوع من القصص انتشرأولا فى فى بلاد الشرق ، ثم سرى منها إلى الغرب . ولنأخذ لا فونتين La Fontaine مثلا للكتاب الغربيين الذين تأثروا بهذا النوع ، لأنه أكبر من عالجوه فىالأدبالفرنسى، فإنه يقول فى مقدمة الجزء الثالث من أقاصيصه (عام ١٦٧٨) » ليس من الضرورى فيما أعتقد أن أصرح بالمصادر التى استقيت منها هذه الموضوعات الأخيرة ، غير أنى أقول اعترافاً بالجميل ، إنى أخذت أكثرها عن بلباى Pilpay الحكيم الهندى ، وبلباى هو بيد با الذى يعزى إليه أنه واضع كليلة ودمنة . ونرجح أن يكون مصدر الشاعر الفرنسى عربياً أو فارسيا ولا يتسع المجال هنا للتفصيل أكثر من ذلك.[1]

---

(١) راجع : La Fontain: Fables, éd. des Belles- Lettres,1946,vol.2,p.6.

وراجع أيضا : G. Paris: la poésie du Moyen Age, p· 75 —108 · l' Ame de l' Iran,p.127·

ويلتحق بالأجناس الأدبية الشعرية السابقة ما امتاز به العصر الحديث، تبعاً لتأثير جوته فى مسرحيته فاوست Faust، فقد افتتح للشعراء باباً جديداً ساروا فيه وراءه، فألف الفريدى موسيه مثلا مسرحية الكأس والشفاه: La Coupe et les lèvres وألف شيلى Shelley ملحمة بروميثياس Prometheus وبيرون مسرحية قابيل Cain والشاعر الأسبانى اسبرونثيدا Espronceda مسرحية شيطان العالم El-Diablo Mundo وفى كل هذا الإنتاج يتمثل الإنسان الحديث فى قلقه واضطرابه، وتشاؤمه وحيرته أمام مسائل القدر والسعادة والعدالة، وهى المشكلات الخالدة التى عجز الإنسان عن حلها وحده، فأراد أن يطلق لنفسه العنان فى حرية التعبير عنها بطريق رمزى. [١]

* * *

بعد أن تكلمنا عن بعض الأجناس الأدبية التى تعالج أساساً فى الشعر، ننتقل الآن إلى طريقة دراسة الأجناس الأدبية التى يغلب أن تعالج فى النثر، ومن أهمها:

١ — القصة: وهى أوسع ميدان تبودل فيه التأثير والتأثر بين الآداب العالمية، ويرجع ذلك إلى أهمية القصة فى تلك الآداب، واحتلالها مكان الملحمة فى الآداب القديمة، ثم لتفرعها وتعدد.

(١) راجع: P.V.Tieghem: la litt.Comp.,p.78—79

أجناسها تعدداً يجعل المكان هنا ضيقاً عن إحصاء هذه الأجناس ولكن نذكر منها :

قصص المخاطرات : وموضوعها الرحلات المليئة بالمخاطرات التي تؤدى إلى اكتشاف كثير من الحقائق الاجتماعية والنفسية ، والمثل الذى اقتدى به فى هذا هو الكاتب الفرنسى لوساج Lesage (١٦٦٨ — ١٧٤٧) ويلتحق بهذا الجنس قصص المخاطرات العلمية مثل قصص ويلز H.G Welles

والقصة الواقعية والطبيعة : وكانت نشأة هذا النوع من القصة فى فرنسا فى القرن التاسع عشر ، وانتقلت منها إلى الآداب الغربية فأثرت فيها .[١]

والقصة السوداء أو المرهبة : Black Novel بقصورها العتيقة ، وسراديبها الأرضية ، وأبطالها وأشباحها . وقد أخذ الأدب الفرنسى هذا النوع من القصة عن الأدب الانجليزى والألمانى [٢] ، ثم عن بعض الكتاب الأمريكيين

---

(١) سنقول كلمة فى الفصل السادس عن المذهب الواقعي والطبعى فى الأدب .

(٢) أول من برع فى هذا النوع من القصة فى الأدب الانجليزى آن رادكليف Ann Radcliffe (١٧٦٤ — ١٨٢٣) وفى الأدب الألمانى هوفمان Hoffmann (١٧٧٦ — ١٨٢٢) راجع مثلا :
Foster: Hist. of the preromantic Novel, p.261-269

الذين تأثروا بهذين الأديبين . (١)

ومنها القصة الريفية : وهى قصة مسرحها القرية والحقول ، وأشخاصها الفلاحون وأهل القرية من صناع وأطباء ورجال دين. ويهتم مؤلفوها بدراسة الفلاح وأحواله ومشكلاته . ومن هذه المشكلات النزاع بين الأخوة أو بين الأب وابنه ، والنزاع بين الزوجين، وكوارس الإفلاس التى تنتاب المزارعين، ومنها أيضاً الحب غير المتكافىء بين غنى وفقير ، وكثيراً ما يتغلب الحب على ما يعترضه من عقبات ، والحب الريفى فطرى قوى صادق . ومؤلفو القصص الريفية يصفون الحقول ومناظرها ، والحياة الريفية ومظاهرها ، ولكنهم لا يسرفون غالباً فى الوصف (٢) ، ويراعون فيه الجانب الواقعى . وأول من ألف فى هذا النوع هو الكاتب السويسرى جوتهيلف Gotthelf ، إذ نشر فى سنة ١٨٤١ قصته Uli der Knecht (أولى الخادم)وفى أقل من عشرين عاماً انتشر نوع هذه القصة فى كل أوربا . فنشرت جورج ساند G. Sand عام١٨٤٨ قصتها فاديت الصغيرة La petite Fadette ونشرت جورج إليوت G. Eliot عام ١٨٥٩ قصتها آدم

---

(١) أنظر : P. - G. Castex: Le conte Fantastiaque en France, passim .

(٢) مثلا جورج ساند كانت تطيل فى وصفها لمناظر الريف .

بيـــديه Adam Bede . . . . (١)

ولعل من المفيد أن نذكر كلمة صغيرة عن نشأة القصة التاريخية ومن قواعدها الفنيـة فى الآداب الغربية . يعتبر والترسكوت W. Scott (١٧٧١ — ١٨٣٢) أبا القصة التاريخية فى أوربا ، وإليك أهم خصائصه الفنية التى أثرت فى هذا النوع .

لم يلجأ والترسكوت إلى الحوادث التاريخية المعاصرة ليجعلها مادة لقصصه ، بل اختار موضوعاته من عصور سحيقة وبخاصة العصور الوسطى . ولم يترك الشخصيات التاريخية تحتل المكان الأول فى قصصه . ذلك لأن قيود التاريخ تمنعه من التصرف الروائى، وتحرم مؤلفاته الحرية الفنية ، فكان يجعل لتلك الشخصيات التاريخية المحل الثانى . وأهم ما امتاز به أنه يهتم كثيراً بالحوادث التاريخية ، فيجمع منها كل العناصر التى تهب قصته القوة والحياة ، ليبعث من جديد صورة العصر الذى يتكلم عنه بكل خصائصه الزمنية والمكانية، مراعياً دقة الوصف فى لوحاته التاريخية التى يعرضها . ويختار لذلك أشخاص ذلك العصر، بحيث يمثل كل منهم طبقة من الطبقات الاجتماعية فيه . وبذا تحتل الحقائق التاريخية المكان الأول فى مؤلفات والترسكوت ، فلم يعد التاريخ جزءاً مملا فى الرواية يتعجل

(١) راجع : Rudolf Zellweger. Les Debuts du Roman Rustique, p.286 — 331.

بقراءته ليفرغ منه ، بل أصبح التاريخ الغاية المقصودة فى كل أجزاء القصه ، ومحورها الذى تدور حوادثها حوله . وأصبح العنصر الخيالى فى الرواية غير ذى بال ، بينما كان كل شيء فيها من قبل . والعقدة الغرامية فى قصص ولترسكوت ليست مقصودة لذاتها ، وإنما لربط حوادث القصة وأجزائها المختلفة ، ثم للفت نظر القارىء وإثارة انتباهه . وتختفى العواطف والمشـــاعر الفردية أو تكاد فى قصص ولترسكوت ، لتحل محلها الإحساسات العامة والمشكلات الاجتماعية ، فما شخصيات القصص إلا نماذج ترسم نفسية المجتمعات وما بها من مشكلات [١] . وبهذه الخصائص أثر ولترسكوت على كل مؤلفى القصص التاريخية فى الأدب الغربى .

٢ — من الأجناس الأدبية النثرية كذلك التاريخ حين يعالجه كبار الكتاب ، ويطول بنا القول إذا ذكرنا المدارس التاريخية وتأثيرها فى الآداب المختلفة [٢] . وقد يبعـــد بنا هذا قليلا عن ميدان الأدب .

ولكن هذا الجنس الأدبى تبودل فيه التأثير بين الأدبين العربى والفارسى . فقد نشأ فى الأدب العربى ذا خصائص معينة

---

(١) راجع : Maigron : le Roman Historique,hap.4

(٢) أنظر: J.Suberville:Théoris de l'Art.p.420 - 422:
R.Aron:Introd.à la Philosophie de l'Hist,p 19 - 48

يمثلها الطبرى مثلا فى كتابه « تاريخ الملوك » ، ثم تأثر بالأدب الفارسى فيما بعد ، فحذفت منه العنعنات الكثيرة ، ولم يعد يقصد فيه إلى التبحر وتتبع الروايات والاعتماد على الطريق الشفوى . وبذلك أصبح التاريخ سلسلة متتابعة محكمة الأخبار بدون تشتت واستطراد ، وميل إلى رواية خبر واحد بطرق كثيرة .

ولكن الأدب العربى أولى الأسلوب عناية كبرى فى الجنس التاريخى فيما بعد . فحين تطور النثر العربى وأصبح فنياً ، والتزم فيه ما التزم من السجع وكثرة الشواهد الشعرية ، ومن الاتجاه إلى كثير من ضروب الاستعارة وأنواع البيان ، تشبع كثير من مؤرخى العرب بنفس الروح . وبذا أصبح النثر التاريخى نوعاً من الشعر المنثور ، قد يقصـــد فيه مع بيان الحقيقة إلى نظم قلائد المدح للملوك [١] ، وإلى استخدام البلاغة فى شرح الوقائع التاريخية . وكان تأثير الأدب العربى فى هذا عميقاً على المؤرخين فى الأدب الفارسى. فحين ترجم الجرباذقانى إلى الفارسية كتاب (يمين الدولة) لأبى نصر العتبى ، نقل الجنس التاريخى بكل خصائصه الفنية إلى الأدب الفارسى ، ولم يقتصر تأثيره فيها على النثر الفنى ، بل

---

(١) يصرح محمد بن عبد الجبار العتبى فى مقدمة كتابه « يمين الدولة » أنه سلك فى كتابه مسلك الشعراء لتخليد مآثر محمود الغزنوى .

تجاوزه إلى التأثير على الجنس التاريخى بنوع خاص . [١]

ويلحق بالأجناس الأدبية النثرية فن الخطابة ، وكذا فن الحوار ، وفن الرسائل Essais [٢] ، ولكن مثل هذه الأجناس الأدبية ليست إلا إطاراً عاماً يضع فيه الكاتب أفكاره الخاصة ، فيجب ألا يتعدى بحثها فى الأدب المقارن هذا الاعتبار .

* * *

بعد أن بحثنا فى طريقة دراسة الأجناس الأدبية وشرحنا بعض الاتجاهات فى تلك الدراسة ، ننتقل الآن إلى الغرضين الآخرين من هذا الفصل ، وهما دراسة الأشكال والصور الفنية فى الشعر وفى النثر :

ثانياً : تأثير موازين الشعر أو التأثير الخاص بالعروض والقافية:

من المعروف أن موازين الشعر تتحكم فى التفكير ، فللبحر الذى يختاره الشاعر ، وكذ للقافية ، القول الفصل فى أن يكون

(١) قد شرحت هذا فى الفصل الثالث من القسم الأول من رسالتى: تأثير النثر العربى على النثر الفارسى .

(٢) كما فعل أستاذنا شارل ديديان فى كتابه تأثير مونتنى على الأدب الانجليزى :

Ch. Dédeyan: Montaigne chez ses Amis Anglo-Saxons, paris, 1948.

الشاعر أميل إلى القصد فى تكوين جمله فيكون موجزاً، أولا فيلجأ إلى الأطناب ، ولهما عليه كذلك تأثير فيما يصبغ به شعره من ألوان ، وفيما يسبق إلى ذهنه من أنواع المحسنات ، ووجوه الاستعارات . وتقل الاستعارة بين الآداب فى أوزان الشعر وقوافيه ، إذ هى فى جوهرها من خواص اللغات ومقوماتها التى يصعب انتقالها إلى اللغات الأخرى . وتفيد دراستها مع ذلك فى بيان مدى التأثير الأدبى ، وكيف تتحكم القوالب الشعرية فى الأفكار والصور التى تنصب فيها حين تنتقل إلى اللغة الأخرى .

ومعلوم أن اللغة الفارسية أخذت عن اللغة العربية بحور الشعر فيها بأسمائها العربية ، والتزمت فيما أخذته القواعد العربية من تقسيم الأبيات إلى تفاعيل على حسب البحور المختلفة . وهذا الاقتباس أظهر ما يكون فى نظام القصيدة ، فهى فى الفارسية صورة صادقة لنظيرتها فى العربية فى الوزن ، وفى التزام قافية واحدة فى آخر الأبيات الشعرية ، وفى موضوعها الذى تنظم فيه ، من مدح وغزل ، وبكاء على أطلال . . . ولكن بقى من أوزان الشعر الفارسى ما يرجع إلى أصل إيرانى قديم مثل المثنوى ، والرباعيات والهزج والمتقارب . وفى الملاحم - ذلك الجنس الأدبى الذى انفردت به الفارسية دون العربية - نرى شعراء الفرس يلتزمون بحر المتقارب الذى يرجع إلى أصل إيرانى كما فعل دقيق

والفردوس فى الشـــاهنامة . [1]

ويدخل فى هذا البيت دراسة أوزان الموشحات والأزجال فى اللغة العربية ، وازدهارها لدى شعراء العرب فى الأندلس ، ثم تأثيرها على شعراء التروبادور Troubadours فى العصور الوسطى. فإن وجوه الشبه بين هذه الموشحات والأزجال وبين شعر التروبادور لا يدع مجالا للشك فى تأثر هؤلاء بالشعر العربى. ففيهما كليهما نرى القصيدة مقسمة إلى أجزاء ، متوسط أبيات كل جزء منها ستة أبيات أو سبعة ، ويبدأ كل جزء بما يسمى المركز [2] ، ثم يأتى بعد ذلك ما يسمى بالأغصان [3] وهى ثلاثة أو أربعة أبيات ذات قافية واحدة ، ثم يتلوها السمط ، [4] وهو بيت أو بيتان يتفقان فى قافيتهما مع المركز . وأقدم من نعرف من شـــعراء التروبادور هو جيوم التاسع Cuillaume lx (١٠٧١ — ١١٦٠) الذى كان على صلة أكيدة بالعرب وشعرائهم فى أسبانيا ، وقد قلدهم فيما ألف من أشعار . على أن التشابه بين الشعر العربى وبين

---

(١) من المرجح كذلك أن يكون العرب قد استعاروا بعض الموازين الشعرية عن الفرس ، وسنبحث هذه المسائل بالتفصيل فى كتاب آخر . راجع مثلا A Christensen: les Gestees des Rois;p.46-59

(٢) هو ما يسمى بالفرنسية refrain والاسبانية estribillo

(٣) يقابلها الأسبانية mudanza (٤) يقابله بالأسبانية vuelta

شعراء التروبادور لم يقتصر على ناحية القالب الشعرى ووجوه الصياغة ، بل إنه لواضح كل الوضوح فى المعانى المصوغة فى ذلك القالب ، وفى نوع الحب المتغنى به فى كل منهما ، مما يحمل على الاعتقاد فى قيام صلات أدبية بينهما . ونكتفى هنا بهذا الأجمال مرجئين التفصيل إلى مقام آخر (١)

ومما لا شك فيه أن الشاعرين الايطاليين دانت Dante (١٢٦٥ — ١٣٢١) وبترارك Petrarque (١٣٠٤ — ١٣٧٤) قد تأثرا بشعراء التروبادور فيما نظما من المقطوعات المسماة سونيت Sonnet ، وهى فى الغالب مكونة من أربعة عشر بيتاً ، ومقسمة إلى أربعة أقسام اثنان منها رباعيان ، والآخران ثلاثيان ، وقد حاكاهما من أتى بعدهما من شعراء الآداب الأوربية جميعا . (٢)

ثالثاً : تأثير الأسلوب

يبدو لأول وهلة أن تبادل التأثير فى الأسلوب لا موضع له فى دراسات الأدب المقارن ، لأن الأسلوب أحد مقومات اللغة ، وخاصة من خصائصها التى تميزها من اللغات الأخرى ، وتجعلها وحدة

---

(١) راجع مثلا : R. M.pidal. poesià Arabe y poesià Europia, p.1 — 62.

وكذا : Nykl: Espano-Arabic poetry, p.371 — 390

(٢) راجع : Diccionario de Litt. Esp. articulo soneto

p.le Gentil: la poésie lyrique p.111—113, 180—182.

بذاتها . والأسلوب أهم ما يميز الكاتب من بين معاصريه ومن بين من سبقه من الكتاب . فهو فردى ، به يطبع كل كاتب الأفكار بطابعه الشخصى . وهو بهذا المعنى يقابل الأفكار التى هى ميراث مشترك للكتاب واللغات جميعاً .

ولكن علينا ، بالرغم من كل ذلك ، أن نعتبر الأسلوب هنا بمعنى أعم مما يحتوى عليه من خصائص لغوية ، لأنه بهذا المعنى يستلزم صورا فنية يعبر عنها بكلمات لها نظائرها فى اللغات الأخرى. وقد تتكافأ التعبيرات بما فيها من صور فنية فى لغات مختلفة ؛ فالأسلوب بهذا المعنى قابل للتأثير والتأثر، ويمكن أن يتناول بالبحث فى ميدان الأدب المقارن .

والكاتب فى أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبى الذى هو بسبيله . فإذا كان هذا الجنس قد اقتبس عن بلد أجنبى ، فلذلك تأثيره على الكاتب فى التصوير الفنى لما يتناول فى كتابته من بحوث، ولما يصور من عواطف. ويتأثر فيه تبعاً لذلك حين يختار الكلمات، وحين يبحث عن وجوه البيان ، وحين يجتهد فى صوغ أفكاره فى صور فنية. وهذا لا يمنع من أن تظهر فى كل ذلك شخصية الكاتب وطابعه الخاص ، كما لا يمنع من أن يخضع الكاتب فيما يكتب لقوانين لغته وتقاليد أمته .

ولنضرب لذلك مثلا بتأثير شعراء التروبادور Troubadours

على بترارك petrarque فى كل الصور التى من شأنها المبالغة فى تصوير الحب ولوعته ، وتشبيهه بالنار واللهب والحديد والقيود والسجن ، وفى صور الاستشهاد فى الحب وما إليها . (١)

ومثال ذلك أيضاً الصور التى تأثرت بها مسرحية الرعاة فى الأدب الفرنسى مقتدية فى ذلك بالأدب الأيطالى ، مثل التشبيهات والاستعارات التى مصدرها المناظر الريفية وحياة الرعاة فيها ، وما يستلزمه نمو الحب الساذج فى ظلال الغابات والكثبان وعلى ضفاف الأنهار. فالأديب الذى يقلد جنسا أدبياً يرى نفسه مسوقا لتقليد قوالبه وأفكاره العامة ، بل وصوره الفنية أيضاً (٢) .

فإذا انتقلنا إلى الأدب العربى والفارسى ، وجدنا التأثير فى الأسلوب أعمق وأبعد أثراً . ولنذكر هنا أمثلة من ذلك .

من المعلوم أن علوم البلاغة الفارسية قلدت نظيرتها فى العربية تقليداً كاملا. ومن ألف من العلماء فى البلاغة الفارسية لم يفعل غير ترجمة قواعد البلاغة العربية ، وذكر أمثلة لها من الفارسية .

وأقدم ما علمنا من تلك الكتب هو كتاب فروّخى معاصر

(١) راجع : R.Bray: Préciosité et précieux,p.27 et 59.
وراجع أيضاً P. V. Tieghem: la litt. comp.,p.86

(٢) لا نقصد بذلك إلا إلى ضرب أمثلة عامة ،أما الدراسة التفصيلية لهذه المسائل فسنتناولها بالبحث على حدة .

الفردوسى وقد ألف كتابه : « ترجمان البلاغة» ولم يصل إلينا [١].
ومنها أيضاً كتاب « حديقة السحر » لوطواط ويعترف دولتشاه
فى مذكرته أن للعرب الفصاحة والبلاغة ، وأن الفرس اتبعوهم
فى هذا الباب . [٢]

وقد تولد النثر الفنى الفارسى على نمط النثر الفنى العربى ، وكان
أول كتاب أدبى ظهر فيه ذاك النثر هو كتاب (كليلة ودمنة) لنصر
الله ، وكان ذلك فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى .

ولما انتقلت إلى اللغة الفارسية المقامات والرسائل ، انتقلتا
بأسلوبهما وعبارتهما العربية ، حتى ليخيل إلينا أحياناً أن الكاتب
الفارسى فى هذين النوعين يترجم ولا يؤلف . [٣] لهذا وغيره ،
نعتقد أن اللغة العربية أثرت فى اللغة الفارسية الحديثة من ناحية
الأسلوب تأثيراً أوسع من تأثير أسلوب أى لغة فى لغة أخرى .

وبهذا رأينا كيف نعالج مسائل التأثير فيما يخص الجنس وقوالبه
الأدبية، وفيما يخص الأسلوب ونواحيه الفنية . والدراسة فى هذه
الميادين مفيدة ، إذ هى تدرس فيما تدرس مطالب المجتمعات ،
واستعانة الكتاب فى تغذيتها بمختلف الثقافات ، هذا إلى مالها من
فضل فى دراسة النواحى النفسية، وفى دراسة الأفكار والمشاعر المختلفة،

(١) ورد ذكره فى كتاب التذكرة لدولتشاه ص٩، ٥٩ طبعة براون.
(٢) المرجع السابق ص ١٩
(٣) لايتسع المقام هنا للتفصيل فى هذا ، وسنتناوله بالدراسة فى بحث آخر

الفصل الثالث

المواقف الأدبية والموضوعات

لهذا النوع من الدراسات أهمية فى بحوث الأدب المقارن على شرط أن يحسن اختيار الموضوع ، وأن يعالج بحيث تظهر فيه العلاقة الأدبية والتبادل الفكرى بين الأدباء فى العصور والبلاد المختلفة . ويجب أن يهتم الباحث بشرح الاختلاف بين الكتاب فى نظرتهم إلى نفس الموضوع ، ويبين على ضوء هذا الاختلاف كيف تطور الموضوع واتسعت نواحيه وكيف تأثر بروح العصر واتجاهه ، وبتقاليد الأمة وميولها ،وكيف كان متنفسا لآراء الشاعر أو الكاتب ومنفذا يطل منه بآرائه على مجتمعه وعصره ،وبهذا المعنى تحتل هذه الدراسات مكاناً هاماً لدى من يعالجون مسائل الأدب المقارن . أما إذا اقتصر على دراسة الموضوعات فى ذاتها فى الأمم والآداب المختلفة ، فإن هذه الدراسات تفقد روحها ، ولا تؤدى خدمة كبيرة إلى البحوث المقارنة : لأن الموضوعات مادة للأدب ولا صلة لها فى ذاتها بالتاريخ الأدبى ولا بتطور الآداب. ولهذا نصح كثير من جلة الباحثين بإهمال هذا الباب من الأدب المقارن ، وتركه لمن يدرسون تاريخ الأفكار أو لمن يدرسون علم الأساطير الشعبية Folklore ، ومن بين هؤلاء الناقد الفرنسى بول هازار Paul

Hazard وسيتبين من حديثنا الآن عن أنواع الدراسة فى هذا الباب مدى أهميته فيما نحن بصدده من دراسات مقارنة . وإليك الآن أهم هذه الأنواع :

أولا : دراسة المواقف الأدبية

وتدرس هذه المواقف فى الملاحم والقصص والمسرحيات. ومنها المواقف الخلقية والعاطفية التى تدرس فى آداب مختلفة ، مثل دراسة « غيرة أم » و « الانتقام من القريب » و « التضحية فى الواجب » [1]

وتحتل المواقف الرمزية مركزاها ما فى هذا الباب ، ويتناولها بالبحث كثير من الكتاب فى مختلف الآداب ؛ مثل المتزوج بمن لا تحل له Incestueux ، والمجرم رغم أنفه ، وهو ما يرمز له فى الأدب اليونانى بشخصية أوديب Oedipe كما هى فى الأساطير اليونانية . وموجز ما فى هذه الأساطير عنه هو أنه ابن لايوس Laius ملك طيبة ، وقد أخبر الآلهة أباه أنه سيقتل على يد ابنه . فأمر أن يلقى بأوديب حين ولد على قمة جبل ليموت . ولكن أحد الرعاة التقطه وحمله ، إلى ملك كورنت Corinth ، حيث نشئ تنشئة الأمراء . وحين شب ، كان موضع سخرية للجهل بأصله .

---

(١) أنظر Guyard: la litt· Comp.,p.50
p. V. Tieghem: la litt Comp., p.92

فاستشار الكهنة ، فأشاروا عليه ألا يعود إلى وطنه ، لأنه سيقتل أباه ، وسيتزوج بأمه . وبما أنه لم يعرف له وطناً غير كُورِنْت ، فقد هاجر منه إلى طيبة . وفى الطريق التقى بلايوس فقتله بعد عراك بينهما . وكانت طيبة مهددة فى ذلك الوقت بوحش هو أبو الهول Sphinx ، يضع ألغازاً لكل من يلتقى به ، ويقتل من لم يجبه عليها . فوعد أهل طيبة العرش فيها لمن ينجيهم من ذلك الوحش . فالتقى به أوديب ، وحين سئل منه عن الحيوان الذى يمشى فى البكور على أربع ، وفى الظهر على اثنين ، وفى المساء على ثلاث ، أجاب أوديب أنه الإنسان الذى يحبو وهو طفل ، ثم يشب ، ثم يتكىء على عصا حين يهرم ، فقتل الوحش نفسه . وصار أوديب ملكا فتزوج بجوكاستا Jocasta وصار له منها أولاد . وحين اكتشف أمره وعلم أنه قتل أباه وتزوج بأمه ، فقأ عينيه ، وقتلت جوكاستا نفسها ، وحكم عليه بالنفى ، فخرج طريداً تقوده ابنته أنتيجون Antigone.

ولكن أوديب يدرس هنا كرمز لمن يفعل الشر بالرغم منه . وحينذاك تنتقل الأهمية من الموقف إلى الرمز . فتدرس المواقف المختلفة لتلك الشخصية كرمز ، على يد من كتبوا عنها من الأدباء فى مختلف اللغات والعصور . ويقاس عليها مواقف مماثلة لغير أوديب من الشخصيات التى تكون قد تأثرت به ، كما فى بعض مسرحيات جول رومان J. Remain مثلا . ومثلها فى ذلك

كل المواقف التى يتحكم فى أصحابها القدر ، بالرغم من كل الجهود التى يبذلونها للتخلص من شباكه .(١)

ثانياً : دراسة النماذج الإنسانية العامة

قد يقوم الكاتب بتقديم نموذج لإنسان تتمثل فيه مجموعة من الفضائل أو الرذائل أو من العواطف المختلفة التى كانت قبله فى عالم التجريد ، أو متفرقة فى أشخاص مختلفة . وينفث الكاتب فى نموذجه من فنه وأدبه ما يخلق منـــه مثالا حياً أغنى فى نواحيه النفسية ، وأجمل فى التصوير، وأوضح فى معالمه مما نرى فى الطبيعة . وهذا ما نقصد إليه حين نطلق كلمة النماذج الأدبية بصفة عامة سواء كانت تمثل شخصيات إنسانية عامة أم شخصيات دينية ووطنية .. إلخ .

وفى دراسة النماذج الإنسانية يتعرض الباحث لدراسة الوسائل الفنية التى استخدمها كتاب ينتمون إلى آداب مختلفة رغبة تقديمهم مثالا إنسانياً عاماً ، يقدمونه بصفاته كما هى ، وفى أدب وضعى لا دخل لأشخاصهم فيه . وذلك مثل « البخيل » و « والأب » و « الجندى » و « العانس » ، ومثل تقديم نماذج لأشخاص تمثل الطبقات الاجتماعية والمهنية ، مثـــل « المدرس » و « الطبيب » و « الفلاح » . . . ومثل هذه الأبحاث لا تفيد دراستها الأدب

(١) راجع . Guyard: la litt. Comp. q. 50
the Oxford Companion to Classical literture...

المقارن إلا إذا كان هناك تأثير واضح انتقل فى سلسلة هذه الموضوعات من السلف إلى الخلف ، وإلا كانت أدخل فى علم الأخلاق والاجتماع منها فى باب الأدب المقارن .

ومن الأمثلة الهامة فى ذلك دراسة الطفل فى الآداب الغربية ، وكيف صوره الأدباء فى مختلف العصور ، ثم كيف تطورت النظرة إليه من اعتباره رجلا صغيراً إلى اعتباره مخلوقاً مستقلا يحيا فى عالمه الخاص به ، وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ويساعد الباحث فى هذا الباب ما قام به كالفيه J. Calvet[١] فى كتابه « الطفل فى الأدب الفرنسى » وكذا تريجون J-De Trigon فى كتابه « أدب الطفل » . [٢]

ومن هذه الأمثلة كذلك مثل المرأة التى كفرت عن خطاياها بتضحيتها الإنسانية من أجل حبها ، فاستعاضت بذلك عما فقدته من جراء زلاتها ، واستعادت مكانتها فى المجتمع بين بنى قومها . كما فعلت غادة الكاميليا التى جعل منها الاسكندر دوما Alexandre Dumas مثالا إنسانياً عاما تسابق الكتاب فى النسج على منواله فيه فى أوروبا .

---

(١) يسمى كتابه L' Enfant dans la litt. Franç., paris, 1945.

(٢) يسمى كتابه Histoire de la litt. Enfantine, paris, 1950

ودراسة النماذج الإنسانية على هذا النحو فى مختلف الآداب تلق ضوءا على نفسية الشعوب ، وتساعد على فهمها بعضاً بعضا فى تبادلها لصلاتها العقلية وغيرها من الصلات (١) .

ثالثاً : نماذج إنسانية دينية وأسطورية

هنا نحس أكثر من ذى قبل أننا فى ميدان الأدب . وأننا نعالج موضوعات يغلب عليها اللون الأدبى أكثر من أى لون آخر، فطالما كانت هذه النماذج مصدر وحى الشعراء والكتاب فى مختلف العصور . ويشمل هذا القسم أنواع الدراسات الآتية :

١ — أشخاص مأخوذة عن مصدر دينى : وبهذه المناسبة نذكر أن كبار الكتاب فى الأدب العربى قلما يأخذون موضوعاتهم فى قصصهم ومسرحياتهم عن القرآن ، وربما كان سبب ذلك خوفهم من تحريف القول عن موضعه فى موضوعات قال فيها الدين كلمته ويخالفهم فى هذا بعض الخالفة كتاب الفرس. فقصة يوسف وزليخا مثلا ألف فيها اثنان من كبار الشعراء هما : الفردوس والجامى . ولا نقصد الآن إلا أن نشير إلى ذلك إشارة عابرة . فلسنا بصدد تفصيل الأسباب التى من أجلها كان تأثير القرآن الأدبى على كتابنا أقل من تأثير الكتب المقدسة الأخرى على الكتاب فى الآداب الأخرى.

ومن الواضح أن الأدب المقارن لا يتناول هذه الموضوعات

(١) راجع P V.Tieghem·la litt·Comp.p., 93—94

بالدرس إلا إذا عالجها كتاب من آداب مختلفة ، حتى يتبين تسلسل الموضوعات وصلاتها بعضها ببعض ، ثم صلاتها بأصلها الذى انحدرت عنه .

ويختلف مسلك الكتاب الغربيين عن مسلك الأدباء من العرب، فكثيرا ما يستعير الأولون شخصيات من التوراة أو الانجيل ، ويتصرفون فيها تصرفاً كبيراً يخرج بها عن معناها الدينى إلى معنى رمزى يرمى إليه الكاتب وقد يحيد فيه كثيراً أو قليلا عن المعنى الدينى . ومثل ذلك مسلك الشاعر الانجليزى ملتون Milton [1] فى أخذه الشيطان رمزاً للشر . وقد تبعه الشاعر الفرنسى هوجو V. Hugo فجعل الشيطان رمزاً لقوى الشر التى سوف تختنق آخر الأمر ، وينتصر الخير انتصارا تاماً ، وحينذاك يعفو الله عن الشيطان ولا تبقى له بعد ذلك رسالة [2] .

وإليك مثلا آخر هو شخصية قابيل أول قاتل على وجه الأرض. وأول من تناول هذه الشخصية بالتأليف بيرون Byron الانجليزى . وتبعه فيمن تبعه الشاعران الفرنسيان لوكنت دى ليل Leconte de lisle وبودلير Baudelaire وقد اعتبر هؤلاء

---

(١) راجع : L. Cazamian. Hist. de la litt Ang., P.571—576.

(٢) أنظر V.Hugo: la Fin de Satan, Paris, 1889, P.341

الكتاب قابيل رمزاً للإنسان فى تمرده وثورته على ما يحيط به من ظروف تقهره ولا يعرف لها كنها ، وعلى ما يضطرم بداخله من غرائز هو أسير لها . ، وبهذه المعانى تقترب شخصية قابيل من شخصية فاوست Faust عند جوته . ويعبر الشعراء بمثل هؤلاء الأشخاص عن مظاهر من تفكير الإنسان وحيرته حين تضل به السبل ، ويتخذ عقله وحده رائده . (١)

والأدب المقارن كما سبق أن أوضحناه يهتم بدراسة مثل هذه الموضوعات حين توجد صلات تاريخية وأدبية بين المفكرين فيها كما فى المثل الأخير .

٢ — شخصيات أسطورية مأخوذة عن الأدب القديم

وأغنى الآداب فى هذه الناحية هو الأدب اليونانى ، الذى ترك ميراثاً ضخما للآداب المختلفة . ولا تزال الشخصيات التى خلفها غنية فى معانيها ، حية فى رموزها ، مرنة بما تتسع له من آراء وخواطر فلسفية يعيرها إياها الكتاب . ومثل هذه الشخصيات شخصية أوديب Oepipe (٢) الذى كان رمز ضحايا الأقدار ، وبروميثيه Promethée رمز التضحية والإيثار ، وأوليس Ulysse رمز الحكيم الرزين . .

---

(١) أنظر : Guyard: la litt Comp., p.51

(٢) أنظر هذا الكتاب ص ١٠٠

وقد كانت هذه الشخصيات وغيرها معينا لا ينضب لشعراء الغرب فى مختلف العصور[١] .

رابعاً : شخصيات مصدرها تقاليد وطنية

والأدب المقارن لا يتناول مثل هذه الشخصيات إلا إذا ارتقت إلى رتبة أدبية ، بأن تناولها كبار الكتاب فى مختلف الآداب ، وإلا فإن الأدب المقارن يتخلى عنها للباحثين فى التقاليد الشعبية Foklore . فدراسة جحا مثلا لم ترق حتى الآن إلى مرتبة أدبية ، بينما نجد فاوست Fauat ودون جوان Don Juan قد ارتقت شخصيتاهما فى الآداب الأوربية إلى درجة أن تناولهما كتاب ذوو شأن فيها . والأدب المقارن يهتم اهتماما كبيراً بدراسة مثل هذه الشخصيات ، إذ المعنى الأدبى فيها متعدد فى مناحيه ، ولأن التأثر والتأثير فيها واضح فى مناهجه .

وقديماً ارتقى الفردوسى بشخصية « رستم » إلى مرتبة أدبية فى شاهنامته . فقد وصفه بطلا مخلصاً لوطنه ، لا تستهويه المطامع ، له من آيات بطولته ما سار به مثلا بين معاصريه . ثم يسوقه القدر

(١) لا مجال هنا للتطويل فيما هو معلوم ومشهور. راجع مثلا كتاب كالفيه « النماذج الانسانية العالمية فى الآداب الأجنبية :

J. Calvet: Les Types Universelles dans les litt. Etrangère: P,9 – 58.

أخيراً إلى أن يقتل ابنه سهرب على غير علم منه فى مبارزة بينهما. وقد صور الفردوسى المبارزة بين البطل وابنه تصويراً رائعاً ، وضمنها حكماً خالدة عن دور القدر فى حياة ذلك البطل ، وفيما انتابه به من مأساة . (١)

وقد أخذ عنه نفس الموضوع الشاعر الإنجليزى ماتْيُو أرنولد Mattew Arnold (١٨٢٢ — ١٨٨٨) مسوقا فى ذلك بحبه للموضوعات القديمة ، وبميله لوصف مظاهر البطولة ، ثم بطبعه الحزين الذى حبب إليه معالجة المآسى الإنسانية فى تشاؤم غير مغالى فيه . (٢)

ومن الشخصيات التقليدية الوطنية شخصية الكيمائى الألمانى فاوست Faust ، وأول من أدخل هذه الشخصية فى الميدان الأدبى هو مارْلو Marlowe المعاصر لشكسبير ، وتبعه فى ذلك لِسِنْج Lessing وجوته Goethe ، ثم بول فاليرى P. Valéry وأخيراً الكاتب الأمريكى المعاصر توماس مان Thomas Mann (٣)

(١) راجع طبعة مول Mohl للشاهنامة جـ ٢ وبخاصة صفحات ١١٥ — ١١٧ ، ٣٦٦ — ١٧٠ .

(٢) راجع : Mattew Arnold: Poetical Wörks, Oxford 1635,P 61 – 87, and the preface.

(٣) راجع . Guyard: La litt. Comp.,d.51—52

ومن هذه الشخصيات شخصية دون جوان Don Juan ، وترجع أسطورته إلى أصل أسبانى أو إيطالى [1] ، ولكن مما لا شك فيه أن أول من رفعه إلى المنزلة الأدبية هو الكاتب الأسبانى ترسو دى مولينا Tirso de Molina (١٥٨٤-١٦٤٨) فى مسرحيته (ساخر أشبيليه El Burlador de Sevilla) ، وقد سار وراءه جمع من شعراء أوربا وكتابها ، نخص بالذكر منهم موليير Molière وبودلير Baudelaire من الفرنسيين ، وبيرون Byron من الانجليز ، وجولدونى Goldoni من الايطاليين ، وموزار Mozart وهوفمان Hoffmann من الألمان .

وقد رمى الكاتب الأسبانى إلى معان عامة فى مسرحيته ، منها أنه جعل دون جوان رمز المستهتر الذى لا هم له إلا مغازلة النساء ، ليفتنهن ثم لا يلبث أنه يهجرهن حين يقعن فى حباله .

وقد كان دون جوان شقيا ، ويرجع شقاؤه إلى أنه قد جمع كثيراً من الصفات التى يحسد عليها كرجل ، وبها اندفع فى طريق الشهوات ، ولكنه كان يحتقر هذه الشهوات ، ولا يجد سعادته فى الانغماس فيها ، فهو حائر لا يقر على قرار ، ولا يرضى عن شىء . وهو لذلك من المتمردين على السماء ، غير راض عن حظه وعن

(١) راجع : Diccionário de litterarura Espanola, art. Don Juan.

حظ الإنسان فى الدنيا عامة . ويقامر بحياته فى مغامراته ولكن العقاب الالهى يتابعه . فلا يزال ينتقل من خطر إلى خطر حتى يسلمه ذلك إلى الموت . (١)

وأما موليير Molière فيصور دون جوان خادعاً للنساء ، ولكنه مع ذلك يحب الخير ويتصدق على الناس بالرغم من سخريته من المجتمع . وأما جلدونى Goldoni فإن بطله داعر مستهتر لا يقيم للإخلاق وزنا . ويرقى بيرون Byron بقيمة ذلك البطل ويجعله حامل فلسفته . فهو ضد رياء المجتمع وتقاليده الظالمة ، وداعية إلى الحب الحر الطليق ، ذلك الحب الذى يصبغ عليه بيرون صبغة التقديس . وبهذا يكون بطله رمزاً لمن يطرده المجتمع من حظيرته فهو ضحية التقاليد والمتمرد عليها المنتقم منها . (٢)

وفى القرن التاسع عشر أخذ نفس الموضوع معانى أخرى كثيرة ، منها معنى التائب الذى يلاحقه عذاب الضمير كما عند بودلير . ومنها الضعيف بعد قدرة ، المعذب فى علاقاته مع الشبان من أولاده وإخوته لتنافسه معهم فى صلاته بالنساء . (٣)

وهكذا تطور الموضوع تبعاً لاتجاهات الكتاب الذين عالجوه

---

(١) راجع المرجع السابق .

(٢) راجع : Guyard: Le Litt. Comp.,p.52

(٣) راجع : Otto Rank:Don Juan,PP.101,269-268

وتبعاً لفلسفتهم فى الحياة وميولهم الخلقية .

ويسهل تأويل مثل هذه الشخصيات تأويلات مختلفة ، وقد تبعد كثيراً عن معانيها الأصلية كما وردت فى تقاليد الأمة التى نشأت فيها ، وكما أرادها لها أوائل من عالجوها فى موضوعات أدبية . وذلك لأن الحقائق التاريخية ضئيلة فيها إذا قيست بالشخصيات التاريخية التى سنتحدث الآن عنها .

خامساً : شخصيات تاريخية

من بين الشخصيات التاريخية من قدر لها أن تلعب دوراً كبيراً فى الآداب العالمية ، لأهمية ما قامت به فى النواحى السياسية أو الفكرية . وذلك كشخصية نابليون فى الأدب ، وكذا مارى ستيوارت Marie Stuart ملكة إيرلندا ،[1] وهيباتيا Hypatia الفيلسوفة . وقد كان نابليون موضوع تمجيد لدى كتاب فرنسا وشعرائها ، بينما كان فى إيطاليا رمز الطغيان والاستبداد .[2] ولنذكر هنا كلمة موجزة عن الفيلسوفة هيباتيا ومكانتها فى الأدبين الفرنسى والانجليزى .

هيباتيا : عاشت الفيلسوفة هيباتيا فى القرن الرابع الميلادى

---

(١) قد درس الباحث الألمانى كارل كيبكا Karl Kipka شخصية مارى ستيوارت فى الآداب العالمية .

(٢) أنظر : Guyard: La litt.Comp.,p.53—54 .

فى مدينة الاسكندرية : وهى إغريقية الأصل ، مصرية الميلاد والنشأة ، وكانت رئيسة جامعة الاسكندرية القديمة . ومثال الكمال فى جمالها وعلمها وخلقها ؛ حتى ليقول عنها الفيلسوف ديدرو Diderot : « إن الطبيعة لم تهب إنساناً من العقل والحكمة والخلق ما وهبته تلك الفتاة . . . »

وكانت موضع التقديس والاجلال من تلاميذها ، والاحترام والتقدير من العقلاء من أعدائها . ولكنها كرست جهودها للدعاية للفلسفة اليونانية ، وترجيحها على المسيحية . وكان ذلك سبباً فى اغتيالها على أشنع صورة ، بيد المسيحيين من أبناء الاسكندرية ، وبرضا القديس سيريل بطريرك المدينة فى ذلك الوقت. وكان اغتيالها فاتحة عهد جديد انتصرت فيه المسيحية ، ودالت فيه دولة جامعة الاسكندرية ، وزال سلطان الفلسفة اليونانية .

وكان موضوع هيباتيا منذ القديم مثار الاهتمام لدى المفكرين والمؤرخين ورجال الدين . ولكنه دخل ميدان الأدب البحت منذ القرن الثامن عشر على يد ديدرو Diderot وفولتير Voltaire فى فرنسا ، وتولاند Toland فى انجلترا . ومنذ ذلك أصبح الموضوع أدبياً تسابق فيه كثير من الشعراء والكتاب ومؤلفى القصص والمسرحيات .

وقد ظفرت هيباتيا بتلك الحظوة لدى الأدباء على اختلاف

نزعاتهم ، لما كانت عليه من كمال الخَلق والخُلُق ، ولمصيرها البشع على يد المسيحيين ، ثم لعصرها الذى عاشت فيه ؛ ذلك العصر الحافل بالمتناقضات ، وبصور جمة للكفاح . فإلى جانب جامعة الاسكندرية مأوى الأرستقراطية الفكرية التى كانت توفق بين الأساطير اليونانية وبين أرقى نظريات الفلسفة المجردة ، نرى سلطان العقيدة مسيطراً على نفوس الجماهير . وإلى جانب العقلية الحرة السمحة لأبناء تلك الجامعة ، تطفى روح التعصب الأعمى على الدهماء . وفى ذلك المجتمع كان التكالب على الشهوات من الأغنياء يقوم جنباً لجنب مع الزهد والعزوف عن الدنيا عند الرهبان الذين كانوا يعمرون صحارى وادى النيل ، فى أوائل عصور الرهبنة . وكان الفقر المدقع يجاور ثراء القصور الفاحش .

لهذه الأسباب مجتمعة شغلت هيباتيا وعصرُها المفكرين والأدباء حتى القرن العشرين .[١]

وقد اختلفت ميول هؤلاء الكتاب فى معالجة الموضوع ، تبعاً

---

(١) لم أرد أن أثقل على القراء بتعدد أسماء الكتاب والشعراء الذين تناولوا الموضوع . ولا يتسع المجال طبعاً لتحليل أفكارهم ونقد مؤلفاتهم وبيان مصادرهم ، وشرح تيارات التأثير والتأثر بينهم . . . وقد قمت بكل ذلك فى رسالتى الثانية التى قدمتها للسربون وموضوعها : هيباتيا فى الأدبين الفرنسى والانجليزى .

لاختلاف طبائع الشعوب التى ينتمون إليها ، ثم استجابة منهم لنزعاتهم وميولهم الخاصة .[١]

فنهم من حمل [٢] على رجال المسيحية ، دون أن يحمل على المسيحية نفسها ، بل فضلها على الفلسفة الهلينية . وصور الصراع بين الدين والفكر ، والفقراء والأغنياء ، متخذاً لنفسه وجهة نظر عملية ، جاعلاً للخلق المكان الأول من تفكيره .

ونحى أكثر الكتاب غير هذا المنحى ، فأثاروا مشكلات الدين وصراعه مع الفلسفة والعقل . وانتصروا للفلسفة اليونانية والهندية ضد المسيحية . ومنهم من وقفوا موقف الحائر [٣] المتردد بين ما يتنازع العقل البشرى من تيارات وأفكار . فتساءلوا عن صدق وإخلاص عن مصير البشرية بعد أن ضل جهدهم فى التفكير . وهناك صفحات من أقوى ما كتب فى الآداب العالمية ألفت فى موضوع هيباتيا ، وبمناسبة إثارة هذه المعضلات الفكرية فيه .

---

(١) قد شرحت فى رسالتى السابقة على ضوء موضوع هيباتيا الاختلاف بين طبيعة الشعبين الانجليزى والفرنسى فى أدبهما .

(٢) مثل كنجسلى Ch.Kingsley الانجليزى فى قصته الضخمة المسماة هيباشيا Hipatia

(٣) من هؤلاء الفيلسوف والكاتب الفرنسى لويس مينار Louis Menard,

وقد رمى هؤلاء الكتاب جميعاً على اختـــلاف ميولهم ونزعاتهم ، إلى غاية واحدة هى البحث عن طريق تحرير الإنسانية وسعادتها ، ونشر العدالة بين جميع أفرادها ، مما تهدف له دائماً ولا تصل إليه .

* * *

وكما يتضح من الأمثـــلة التى ذكرناها فى دراسة مختلف الموضوعات ، قد تتعدد نواحى المعنى الأدبى للشخصية على يد مختلف الكتاب ، بل قد تتضاد هذه المعانى وتتضارب ، تبعاً لتأويلات المؤلفين واتجاهاتهم وغاياتهم فيما يكتبون . ولتعدد معانى كل من هذه الشخصيات قد تبدو وحدة البحث مبتورة أمام من يتعرضون لبحث هذه الموضوعات . ذلك أن هيباتيا فى قصة كنجسلى Ch-Kingsley مثلا غيرها فى مقالات فولتير Voltaire وديدرو Diderot أو فى قصة موريس ماجر M. Magre [1] والتشابه ضئيل بين دون جوان فى مسرحية موليير Molière ودون جوان فى مسرحية بيرون Byron . ولهذا يجب أن يهتم الباحث بالصلة التاريخية بين مختلف الباحثين ، وبعلاقة التأثير والتأثر الأدبيين . ثم يجب ألا يغفل المعنى الرمزى للشخصية التى

---

(١) اسم قصته : « الفتاة برسيلا فى الأسكندرية : Prescilla d'Alexandrie .

يعالجها . وقد يكون هذا المعنى الرمزى فلسفياً أو اجتماعياً أو دينياً ... ولكنه فى كل الأحوال لب الموضوع ، وروح الشخصية التى أحياها الكاتب بقلمه .

والذى لامندوحة عنه هو أن الموضوع يجب أن يبحث أولا فى أصله ونشأته — وبخاصة إذا كان تاريخياً — وأن يوقف على الأسباب التى دفعت به فى طريق الأدب . ثم يبحث من ناحية اتساعه وانتشاره فى مختلف الآداب ، ثم من ناحية تطوره وتسلسه فى مختلف العصور .

وينبغى فى بيان مختلف التأويلات لنفس الموضوع ، ألا تهمل الإشارة إلى الموضوعات الأخرى التى تشبه ذلك الموضوع أو تتفق ومعناه الرمزى . فمثلا حين نعالج موضوع هيباتيا لايصح أن نغفل موضوع پروميتيه Promethée ولا موضوع جوليان Julien . . . وحين نبحث فى شخصية فاوست Faust يجب ألا ننسى شخصية مانفرد Manfred عند بيرون ، ولا مسرحية الكأس والشفاه La coupe et les Lèvres لألفريد دى موسيه A. de Musset وبهذا كله تتحق الوحدة التى تجمع بين أطراف البحث المختلفة ، وتنير الجوانب الاجتماعية والنفسية فى الدراسة ، ويعود ذلك على الأدب وتاريخه بخير الفوائد .

وقد لاتتأثر الموضوعات المتشابهة كثيراً بعضها ببعض ، ولكنها تنبعث معاً عن حركة فكرية واحدة . وذلك كحركة

الأفلاطونية الحديثة ، والتشيع للثقافة الهلينية فى القرن التاسع عشر فى أوروبا ، وما نتج عن ذلك من موجة فكر عامة ضد المسيحية ، ظهر أثرها فى الأدب ، وفى تناول الموضوعات التى تخدم تلك الحركة ، كموضوع هيباتيا وموضوع فاوست وموضوع جوليان .

ولا تخفى أهمية البحث فى هذا القسم من الأدب المقارن ، فإلى كشفه عن اختلاف نواحى الكتاب النفسية والاجتماعية والفلسفية فى معالجتهم لموضوع واحد ، وأمام تيار فكرى واحد ، وإلى الخدمات التى يؤديها إلى التاريخ الأدبى بتوضيحه الصلات التى أثر بها الكتاب بعضهم فى بعض — يرينا بوضوح التيارات الفكرية التى تتحكم فى العصور المختلفة ، ويكشف عن ناحية هامة من نواحى النشاط العقلى للإنسان الحديث ، وكيف يعكس ذات نفسه فى مرآة شخصيات قدامى من التاريخ ، أو فى مرآة شخصيات أسطورية ، بعد أن يصبغ عليهم من نفسه ، وينفخ فيهم من روحه ، ويقربهم بذلك إلى نفوسنا ، فهو فى الواقع يحييهم ولكنه يحيا بهم .

وقد كانت دراسة الموضوعات أول دراسات نشأت فى الأدب المقارن. والبحوث فيها مستفيضة فيما يخص الآداب الأوربية ، ولكنها لما تبدأ بعد فى الأدب العربى . على أنها فيه ذات أهمية خاصة ، فى توسيع أفق القراء ، وفتح ميادين قد تكون مجهولة لهم ، وبخاصة عند من ثقافتهم فى جوهرها عربية .

الفصل الرابع

تأثير الكتاب فى أدب ما على الآداب الأخرى

هنا ننتقل إلى ميدان آخر من ميادين الأدب المقارن هو ميدان المؤلفين وتأثيرهم على كتاب أو على وسط أو جنس من الأوساط والأجناس الأدبية فى بلد آخر ، سواء أكان التأثير لكاتب واحد أو لمجموعة من الكتاب . وهذا المجال هو أقرب مجالات البحث إلى روح الأدب عامة . ذلك أننا كلما تناولنا فى أبحاثنا الكتاب وخصائصهم فى إنتاجهم كنا فى حظيرة الأدب وفى مواطنه الصحيحة ، بينما نكون أقرب إلى ميدان الأفكار العامة أو الفلسفة منا إلى ميدان الأدب إذا رمينا إلى دراسة المعانى المجردة والكليات والأجناس الأدبية المتنوعة ، ويكفى لتوضيح ذلك أن نذكر أن للكتاب فردية يمتازون بها بعضهم عن بعض مهما انضموا تحت لواء أدبى واحد . وهذه الخصائص تجعل القواعد العامة الأدبية من باب التقريب والتنظير ، لا من باب التحديد العلمى المعزز بالنصوص التى هى مادة الأدب وروحه . ولذا يجب ألا يغيب عن الذهن فى الدراسات الأدبية أنه لابد من الرجوع إلى النصوص ومقارنتها ، بعد تحليلها تحليلا وافياً ،

حتى لاتصبح الدراساتُ غامضة عامة ، حائدة عن الدقة العلمية فتفقد معنـــاها . فإذا أخذنا مثلا فى الأدب الفرنسى فينى A. de Vigny وهوجو Hugo ، وموسيه A. de Musset، من مدرسة الرومانتيك ، فما أبعد الفرق بينهم بالرغم من انتمائهم جميعاً إلى مدرسة أدبية واحدة . فعند فينى تشاؤم عميق . وسخرية مرة من روح الدهماء ، وكبرياء الاستهتار أمام المآسى الاجتماعية . وله تفكير فلسفى لايلتزم حدوداً . وأما هوجو فينبض حساسية ورقة ، ويؤمن على طريقته بالدين ، ويدعو إليه فى حدود فلسفته ، وأما موسيه فيقف بين بين فيبدو مرهف الحس رقيق الشعور فى تشاؤم غير عميق وإلحاد غير معقد النواحى . وإذا ما انتقلنا إلى ميدان الأدب المقارن وجدنا البون كذلك شاسعاً بين هؤلاء جميعاً وبين بيرون Byron الذى هو من مدرسة الرومانتيك الانجليزية فى دعوته للحرية الفكرية ، وفى سخريته المرة بالعادات والتقاليد ، وفى استيحائه للشرق كموطن للذات وللأسرار العميقة .

فمن الخطأ إذا فى الدراسات الأدبية أن نبعد لحظة عن دراسة النصوص وعن دراسة الأشخاص ، حتى حين نريدُ أن نستنتج قواعد عامة تخص الأجناس الأدبية والتيارات الفكرية مثلا . ولهذا كان الباب الذى نحن بصدده وهو تأثير كاتب على كاتب أو على مجموعة من الكتاب أدخل فى معنى الأدب عامة .

ونقطة البدء فى البحث هى أن يؤخذ كاتب ما أو جماعة من الكتاب أو أدب أمة بأسره كمركز إشعاع للتأثير: Transmetteur ثم يبحث عن صلتهم بكاتب أو بمذهب أدبى أو بأدب أمة بأسره كمركز انعكاس للتأثير recepteur . وقد لا يستغنى عن اعتبار كتاب آخرين وسطاء بين الوسط الأول المؤثر والوسط الثانى المتأثر . وهؤلاء الوسطاء يلعبون دوراً هاماً فى التأثير والتمهيد له بأفكارهم ونقدهم وأحياناً بذات أنفسهم .

وأول مايلفت نظر الباحث ويدفعه إلى استطلاع معالم الصلات الأدبية هو التشابه فى النصوص لكاتبين أو لعدة من الكتاب فى آداب مختلفة تشابها يحمل على الظن بأن هناك صلات تاريخية بين هؤلاء الكتاب . ومن هنا يجب الكشف عن تلك الصلات وتحديدها . ويبحث أولا فى تاريخ تأليف النصين ، لمعرفة إمكانية التبادل الزمنية بين الوسطين . وقد يغنى عن كل ذلك نص واضح من المؤلف ، يعترف فيه أنه قلد أو تأثر أو أعجب بأفكار الكاتب الأجنبى . ويكون هذا الاعتراف مفتاح البحث المثمر الأكيد .

وإذا لم يكن هناك نص صريح كدليل على التأثر الأدبى ، وجب التثبت فى معرفة قرائن أخرى لإثبات الصلات التاريخية بين الأدباء فقد يكون التشابه بين النصين خادعاً ، فيظن أنه وليد التأثر الأدبى ، وما هو فى الواقع إلا نتيجة لملابسات متشابهة أوحت بنفس المعانى

الكاتبين بدون قيام صلة أدبية بينهما ، أو وليد حركة فكرية أو اجتماعية عامة بها اتحد اتجاه الكاتبين . بل قد يكون التشابه الأدبي نتيجة مصادفة ، أو من المواضع المشتركة بين القرائح الانسانية . وقد يكون من المهم تمييز الأسباب المختلفة التى أدت إلى هذا التشابه بين الكتاب فى الآداب المختلفة ، غير أن الوقوف عند مجرد التشابه ، دون أن تكون هناك صلة تاريخية ، ليس له كبير أهمية فى الدراسات المقارنة (١) .

ويجب أن يمهد لهذه الدراسات ببحوث عامة تسبق التفاصيل المستفادة من النصوص . وموضوع هذه البحوث هو بيان العوامل التى أدت إلى تكوين الصلات بين الكاتبين أو بين الكتاب أو بين الآداب ، بحيث تحققت بفضلها تلك القرابة الأدبية ، وذلك اللقاح الفكرى . ولا تنشأ فى العادة صلات قوية بين الآداب إلا إذا سبقها احتكاك سياسى أو اجتماعى أو فكرى بين شعوب تلك الآداب . وقد يكون الاحتكاك شاملا لكل هذه المظاهر جميعاً . وأمامنا مثل واضح للصلات ذات الآثار البعيدة بين الأدبين الايرانى والعربى بعد الفتح الإسلامى . فقد كان الغزو العربى فاتحة تنافس بين الشعبين لعبت فيه العناصر الفارسية دورها ، فقد حقد الفرس على الدولة الأموية لعصبيتها العربية ، وساعدوا على إسقاطها

(١) راجع ، P V Tieghem: La Litt. Comp.,p.130

وعلى قيام الدولة العباسية التى ظلوا فيها ذوى نفوذ كبير. وما حديث أبى مسلم والبرامكة وهزيمة الأمين وقيام الدويلات الايرانية إلا مظاهر لذلك النفوذ السياسى الذى يطول بنا تفصيله .

ولا ننسى أن نشير عابرين إلى حركة الشعوبية كمظهر للتنافس بين الجنسين فى النواحى الأدبية والفكرية واللغوية مع تعدد مظاهر هذا التنافس وبعد آثاره .

ودفعت كل تلك العلاقات الشعبين إلى التقارب ليتعرف كل منهما الآخر ، فتعلم كثير من الفرس لغة العرب ، وتعلم بعض أدباء العرب لغة الفرس ، وبدأ اللقاح الفكرى واضحاً بين الأدبين وذا فروع وثمار كثيرة . وكان التأثير العربى فى الأدب الفارسى الحديث أقوى من التأثير الايرانى القديم فى الأدب العربى ، وليس هنا مكان التفصيل فما أردت إلا ضرب مثل على العلاقات التى مهدت للتأثير الأدبى ، وكانت عاملا قوياً فى انتشاره .

وقد تكون العوامل التى ربطت بين أدبين أو بين كاتبين هى مجرد وسطاء مهدوا بكتاباتهم للتعريف بالبلد أو بالأدب الذى يدعون إليه كما فعل كارليل Carlyle فى تعريف الانجليز بالأدب الألمانى ، وكما فعل فولتير فى الدعاية لشكسبير ، وكما صنعت مدام دى ستال فى تعريف الفرنسيين بألمانيا وبالأدب الألمانى .

والرحالة عامل هام فى هذا الباب ، ونحن نعرف كيف كانت إيطاليا كعبة الأدباء فى عصر النهضة وكيف كان هذا سببا فى تعريف أوروبا بالأدب الإيطالى ..

ويدخل فى هذا عامل الرحالة بين الأدبين العربى والفارسى ، فنشاط الرحلة بين البلدين بعد الفتح الإسلامى مضرب المثل . وقد آتى ذلك كثيراً من الثمرات الأدبية . ويكفى أن نشير هنا إلى العتابى التغلبى الذى كان يرحل إلى إيران لكتابة نصوص أدبية إيرانية . وكذا سعدى الكاتب والشاعر الفارسى الذى رحل كثيرا قبل أن يكتب ، وأودع مؤلفاته الخالدة ثمرة تجاربه واطلاعه [1] .

ينتقل الباحث بعد ذلك إلى مسألة أخص ، وهى الطريقة التى وصلت بها المعلومات الأدبية إلى الوسط المتأثر ، وكيف عرفها ذلك الوسط : أعن طريق الترجمة ، أم عن الاطلاع عليها فى نصوصها الأصلية ؟ وما نوع الترجمة التى اطلع عليها ؟ أكانت وفية للنص أم تصرف فيها ؟ وما قيمة هذا التصرف ؟ وما مسلك الكاتب حياله ؟ ..

ومن المعلوم أن الكاتب لا يهضم إلا ما يتفق مع ميوله وآرائه

(١) سنشرح كل هذا بالتفصيل حين ندرس الصلات بين الأدب الإيرانى والأدب العربى فى كتاب آخر . .

ولكن التأثير قد يكون قوياً فيغير هذه الميول ويحولها ، أو يخلق ميولا أخرى لتخلفها ، ويتوقف كل هذا على قوة المؤثرات ، وعلى الوسط الاجتماعى ، وعلى حالة العصر الذى عاش فيه الكاتب وعلى الدور الذى يلعبه النقد الأدبى من حيث تنمية الاتجاهات والتيارات الجديدة ، ومن حيث الترويج للكاتب والترجمة له . وما مثل بودلير وترويجه لإدجار ألان بو Edgar Allan Poe ببعيد ، وكذا مثل إبن المقفع وترويجه للأدب الايرانى لدى العرب. ولذا يجب الاطلاع على آراء النقاد ، وعلى الصحف والجرائد التى هى مظنة لوجود آرائهم ، وبها تكتشف اتجاهات العصر ، وميول الكتاب الأدبية . وإذا راعينا اعتبارات الوسط المؤثر ، فقد قلنا إنه قد يكون كاتباً أو جملة كتاب مشتركين فى اتجاه واحد ، ومنتمين لمدرسة أدبية واحدة ، وقد يكونون مختلفين . ثم إن هؤلاء الكتاب قد يؤثرون بأشخاصهم كما أثرت شخصية روسو J.J.Rousseau بصراحته وفصاحته ، وحبه للإنسانية ودفاعه عن حقوق الإنسان ، وبشدة حساسيته واحتدام عواطفه ، حتى صارت شخصيته مثلا يحتذىَ فى ذاته ويستشف من كتاباته . وقد صارت شخصية روسو ذات شهرة واسعة فى الآداب الأوربية ، وساعدت على الرواج لتأثيره فيها (١) . ومثلها شخصية

(١) راجع P V.Tieghem: La Litt Comp.p.138

فولتير Voltaire فى سخريته وتهكمه ، وكذا بيرون Byron الذى كان محل إعجاب بعض الأوساط « بما يوحى به من مظهر كأنه طريد السماء فى الأرض ، ثم بعناده وقلقه الفكرى ، وبتشاؤمه وبسخريته اللاذعة » . [١]

وقد يكون تأثير الكاتب من جهة أخرى غير جهته الشخصية . فتمحى فى هذه الحالة العناصر الفردية لتحل محلها الاتجاهات العامة من الأفكار والنواحى الفنية والأجناس الأدبية ، ثم نواحى الصياغة والأسلوب . وهنا نضرب المثل برؤساء المذاهب الأدبية مثل هوجو Hugo ، وزولا Zola [٢] ويلتحق بهم فى نوع تأثيرهم جوته Goethe [٣] وشكسبير Shakespeare .

وقد يقتصر التأثير على المواقف الأدبية والموضوعات فى جملتها . وذلك كتأثير الأدب الأسبانى على الأدب الفرنسى فى العصر الكلاسيكى وعصر مدرسة الرومانتيك . فقد أهدى الأدب الأسبانى إلى الأدب الفرنسى موضوعات عامة ، ومواقف أدبية تحتذى ، ولكن الأدباء الفرنسيين عالجوها بطريقتهم وأضافوا إليها من ذات أنفسهم ما خرجوا به عن تفاصيل أصولها فى

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ .
(٢) سنتكلم عن المذاهب الأدبية فى الفصل السادس من هذا الكتاب
(٣) سنشرح نوع تأثير حوته فى آخر هدا الفصل .

الأدب الأسبانى [١]. وقد تجتمع لشخصية ما مظاهر كثيرة من التأثير فى فترة واحدة أو على فترات متعاقبة ، كما هو الحال عند شكسبير وعند بيرون مثلا ، فقد أثر الأول بموضوعات مسرحياته أولا ، ثم بنواحيه الفنية لدى أهل مدرسة الرومانتيك الفرنسية [٢]، وأثر الثانى بشخصه وبمسرحياته وآرائه على الأدباء الفرنسيين من أهل هذه المدرسة أيضاً [٣].

بقى أن نقول إن من الكتاب من يؤثر فى ميدان آخر : هو ميدان الخيال . فيخلق أمام الكتاب ميادين فسيحة لتصوراتهم ينفذون فيها وراءه ، ويفتح عيونهم على أوساط جديدة لم يكن فى مقدورهم من قبل التحليق فى أجوائها . وذلك مثل ملتون Milton الانجليزى فى استيحائه من التوارة ، وفتحه الطريق بذلك أمام كثير من الكتاب والشعراء الفرنسيين مثل هوجو Hugo وفينى Vigny . ومثل الشاعر الانجليزى يانج Young الذى كان على رأس الشعراء الأوربيين الذين غنوا الليل والقبر، وكانوا يفكرون فى مصير الإنسان ليلا بين المقابر ، ودعوا على هدى أفكارهم فى

---

(١) راجع: P. V. Tieghem : la Litt. Comp., p, 40

(٢) المرجع السابق ص ١٤١ (٣) هذا ما يفصله استيف فى كتابه « تأثير بيرون على المدرسة الرومانتيكية الفرنسية : E. Estève : Byron et le Romantisme Français .

ذلك إلى العقل، وإلى التمسك بالدين . وإن القارىء ليعجب باللوحة الشعرية العظيمة على بساطتها ، والقوية فى صدقها ، والتى بدأ بها يانج Young لياليه : صمت الأموات ، والظلمات العميقة حيث تغط الخليقة كلها فى نوم عميق وحيث يبدو قلب الطبيعة وكأنما وقفت دقاته . وحيث يقف الكون وقفة مهولة تبعث على الأسى العميق:

Silence, how dead ! and darkness, how pro
found !
Nor eye, nor list'ning ear an oliject finds :
Creation sleeps. Tis as the general pulse
Of life stood still, and nature made a pause
An awful pause ! prophetic of her end . (١)

ونكتفى هنا بهذه الأمثلة لكى نشرح الآن موجزين الاعتبارات المختلفة التى يتعرض لها الباحث فى دراسته للوسط المتأثر كما شرحناها سابقاً فى الوسط المؤثر .

قد قلنا إن نقطة البدء هى التشابه فى نصين لكاتبين مختلفين تشابها لا يحتمل أن يكون سببه غير التأثير واللقاح الفكرى نتيجة

(١) أنظر للدراسات المقارنة على الأشعار الخاصة بالليل وبالمقابر وتأثيرها على المدرسة الرومانتيكية الكتاب القيم لفان تيجم :

P. V. Tieghem : La Préromantisme vol. II

لتبادل الصلات التاريخية . ونقصد هنا التشابه بمعناه الواسع الذى لا يقف عند حد الأفكار المنقولة أو المقلدة . فقد لا يهتم الكاتب الذى خضع للتأثير بتقليد أفكار سابق له . بل يستفيد من الأثر الأدبى الذى أعجب به ويستلهم روحه فى مؤلفاته . وتلك الروح تتراءى فى اللون العام الذى يصبغ به فكرته . وقد ينعكس ذلك فى مرآة شعره أو فى نوع الموضوعات التى يعالجها . ومثل ذلك بودلير فى تأثره بالكاتب الأمريكى إدجار پو E. Poe . فإن الذى يريد أن يحدد التأثير والتأثر بينهما لا يبحث عنه فى تفاصيل الأفكار، ولكن فى الاتجاهات ونوع الخيال بصفة عامة. ويستعان فى ذلك بمقالات النقد لهذين المؤلفين وتطبيق مبادئهما على مؤلفاتهما، لكى يستطاع بعد ذلك الوصول إلى القواعد العامة للصلات الفكرية والأدبية بينهما .

ومن الواضح أن التأثر قد يكون فى الجنس الأدبى أو فى الأفكار والإحساسات ، أو فى الناحية الفنيـــة فى الصياغة والأسلوب ، أو فى استعارة شخصية واحدة من مسرحية اشتهر مؤلفها باختراع تلك الشخصية ، كشخصية السيد وخادمه المستعارة فى الأدب الفرنسى (كما فى بون مارشيه مثلا) عن سرفانتس Cervantes الأسبانى فى قصته المسماة دون كيشوت Don Quichotte ولا يصح أن تصرفنا أقوال كاتب وتصريحاته

عن أن ننقدها لنرى مدى صدقها فى ملكة خيال الكاتب الذى يمكن أن يكون قد تأثر به . فقد نقد فولتير شكسبير نقداً قاسياً وعرفه بأنه عبقرى ولكن ليس عنده مثقال ذرة من الذوق (١) ، وبالرغم من ذلك النقد نراه قد تأثر به مثلا فى اهتمامه بالناحية التاريخية فى مسرحياته ، وفى استعاراته منه للمواقف التى يتبادل فيها أبطاله ضربات الخنجر ، وبإدخاله فى مسرحياته للأشباح (٢) على مثال شكسبير .

إذن فالأدب المقارن يهتم بدراسة الصلة بين الكتاب أيا كان مظهرها ، سواء كانت بالترجمة ، وقد سبق أن بينا أهميتها ، أم بالتقليد ، وهو أدنى مرتبة من التأليف ، أم بإنتاج شخصى تظهر فيه ألوان التأثر من خضوع للكاتب المؤثر ، أو تحريف له تحريفاً يتفق وذوق الكاتب ، أو ميول العصر ، أو من تمرد عليه ومقاومة له (٣) .

بعد أن فرغنا من هذه القواعد والملاحظات العامة يجمل بنا أن نذكر أمثله فيها شىء من التفصيل ليقف القارىء على تحديد بعض اتجاهات الأدب المقارن .

---

(١) راجع هذا الكتاب ص ٨١ — ٨٢ .

(٢) راجع Guyard : la Litt. Comp., p. 71

(٣) راجع أيضاً هذا الكتاب ص ٩–١١

وفى عالم الأدب الغربى كثرت بحوث الكتاب فى هذا الباب، حتى إنه ليضيق المجال هنا عن سرد أسماء الكتب وباحثيها فى هذا الفرع من الأدب المقارن [١] . ولكن مثل هذه البحوث فيما يخص الأدب العربى لما تكد تبدأ وحسبنا ان نذكر فيما يخص الأدب العربى والفارسى أمثله عامة يمكن ان تكون مجالا للدارسين. وسنختتم بتلخيص موجز كل الإيجاز لتاثير جوته على الأدبين الفرنسى والانجليزى . وقد لقى كثير من كتاب العرب حظا كبيراً لدى أدباء الفرس ، فتأثرهؤلاء بهم تأثرا عميقا . ولكن هذا التاثر كان فى صورة اتجاه عام أدبى أوفنى، لاصورة فلسفة خاصة أو تيار فكرى.فنجد أن عبدالحميد الكاتب ومن تبعه فى الرسائل والإطناب فيها وصياغتها الفنية ، قد أثروا على هذا الجنس الأدبى فى الأدب الفارسى ، وظهرت آثار ذلك التأثير واضحة كل الوضوح فيما بقى لنا من رسائل فارسية ، سواء أكانت هذه الرسائل من قبيل الرسائل الرسمية فى الدواوين وبين الملوك ، أم من قبيل الرسائل الخاصة . وأوضح مثل لذلك ما حواه من رسائل كتاب « التوسل إلى الترسل » الذى جمعه وألفه بهاء الدين محمد البغدادى حوالى منتصف

---

(١) راجع : Guyard : La Litt. Comp. Chap. 5
P. V. Tieghem : La Litt. Comp., pat. 2, Chap. 5

القرن الثـــانى عشر الميلادى . [١]

ومثل آخر تأثير الهمدانى والحريرى على القاضى حميد الدين البلخى . وهنا أيضاً ظهر التأثير العربى فى مظهر جنس أدبى هو جنس المقامات بكل مميزاته العربية . فقد حذا الكاتب الفارسى حذو سابقيه فى هذا الباب . حتى ليمكن أن يعد تأثره بهما من باب التقليد الذى لا جديد يذكر فيه . [٢]

ونختم هذا الباب بمثال يتبين به كيف تتنوع ألوان التأثير الأدبى لكاتب واحد تبعاً لاختلاف العصور ، وتعدد اتجاهات الكتاب وتأويلاتهم . وهذا المثال هو :

تأثير جوته Goethe [٣] على الأدب الفرنسى والأدب الانجليزى

ظهر أول تأثير لجوته على هذين الأدبين بظهور كتابه فرتر Werther (١٨٧٤) ، وقد ترجمت هذه القصة إلى الفرنسية عام

(١) قد درست تطور هذا الجنس الأدبى بين اللغتين ، وبينت التأثير العربي فى كتاب البغدادى فى الفصـــل الثانى من الجزء الأول من رسالتى الـكبيرة .

(٢) قد شرحت هذا فى الفصل الأول من الجزء الثانى من رسالتى تأثير النثر العربى على النثر الفارسى .

(٣) ذكرت هذا المثال لتنوع دلالته ، هذا إلى أن جوته ليس بغريب على القارىء العربى ، بعد أن ترجم له الدكتور عبد الرحمن بدوى ديوانه=

١٨٧٦ ، وإلى الانجليزية عام ١٨٧٩ . واستقبلت فيهما استقبالا طيباً ، وتعددت تراجمها . وكان لنجاحها أكبر تأثير فيما انتشر فى ذلك العهد عنـــد الرومانتيكيين مما كانوا يسمونه (داء العصر Le mal du siècle) وهو ما كان شائعاً من القلق الفكرى ، ومن ضيق النفس بمتاعب الحياة وشرورها . وظهر أثر ذلك فى الأدب الفرنسى فى مثل شخصية رينيه René عند شاتوبريان ، وفى مسرحيـــة شاتِرْتون Chatterton لألفريد دى فينى A. de Vigny وفى الأدب الانجليزى فى كثير من مؤلفات بَيْرون Byron وفى أشعار شيلى Shelley ، وقد طغى تأثير بيرون وشيلى فى انجلترا حتى نسى بهما تأثير جوته نفسه .

وبينما كان الفرنسيون يستطلعون النواحى الفنية والأدبية لجوته ، إذا كارليل Carlyle يطلع على قومه بزعم جديد ، ويجد من فصاحته فى أسلوبه ما يسند به هذا الزعم . وهو أن جوته حكيم يدعو إلى الخلق القويم والمثـــابرة فى خدمة الحق وأداء الواجب . وظلت الناحية الخلقية من جوته هى التى يراها الأدباء من الانجليز مدة نصف قرن تبعاً لزعم كارليل ، وأوحت لهؤلاء

= الغربى ـ الشرقى ، والأستاذ الزيات آلام فرتر ، والدكتور محمد عوض محمد مسرحية فاوست .

الأدباء بكثير من القصص التربوية والخلقية والدينية (١) . فقد رفع كارليل جوته إلى مرتبة الملهمين ، بل إلى مرتبة الموحى إليهم، ووضعه فى صف الأبطال المدافعين من الخلق والدين . وبذا ظل مجهولا لدى الإنجليز جوانب السخرية والدعاية للاستمتاع بالملذات عند جوته ، وكذا جانب التجديف والإلحاد (٢) .

وظلت فرنسا تهتم أولا بالناحية الأدبية من مسرحية فاوست Faust التى ترجمت إلى الفرنسية عام ١٨٢٨ ، ونسج الكتاب الفرنسيون على منوالها فى تأليف مناظر مسرحية غنائية ballets ، مثل فاوست ومرجريت لشارل جونو Ch. Gounod ، ومثل لعنة فاوست تأليف برليوز Berlioz .

فلم يلتفت الفرنسيون أول معرفتهم بجوته إلى الناحية الفلسفية فى مؤلفاته ، ولكن سرعان ما تنبهوا إليها ، فأصبح فاوست رمز الشخصية الرومانتيكية ، لا فى حرصها على حل معضلات هذا العالم فحسب ، بل وفى تطلعها إلى عالم خير من الذى نحن فيه ، حيث ترتوى بالمعرفة غرائز الإنسان وتسمو عواطفه ، ويزهد فى اللذات وفى دواعى الهوى، ويرقى إلى الكمال. كما أن الشيطان يمثل فى مسرحية فاوست عنصر الشر تمثيلا فلسفياً ، فيه من الحرية الفنيــــة

(١) أنظر : R.de Litt. Comp.,1949,p 189

(٢) أنظر هذا الكتاب ص ٩ — ١١

ما أوحى إلى كثير بالتخلص من قيود الكلاسيكية .

وقد رأى أصحاب نظرية الفن للفن فى جوته الفنان المثالى ، فقد رمى تيوفيل جوتييه Th. Gautier مثلا إلى تقليده فى روايته الشعرية إيمو وكاميه Emauxet Camée ثم توغل فى ناحيته الفلسفية أصحاب المدرسة البارناسية ومن لف لفهم ، ممن رأوا فى جوته داعية للفلسفة الهيلينية ، ومن هؤلاء لوكنت دى ليل Leconte de lisle وأناتول فرانس Anatole France [١] .

وآخر مرحلة أثر فيها جوته على الأدب الفرنسى كان تأثيره بحياته وشخصيته ، لا بمؤلفاته وأفكاره . فنى أشعاره ومسرحياته مآخذ ونقص إذا اعتبرت فى نفسها ، ولكنها إذا وضعت موضعها من حياة مؤلفها فإنها تمثل ألواناً طيبة من تلك الحياة الغنية الزاخرة ، وتؤلف بهذا الاعتبار مجموعاً متناسقاً حيا لا مأخذ عليه ، وقد أثر بهذا المعنى على كثير من كتاب فرنسا . وهذا ما يشرح كلمة أندريه جيد A. gide « إن جوته يرتفع فوقه أنقاض نفسه . فكل ذرة تسقط منه تقع مستقيمة تحت قدميه لتشغل مكانها فى قاعدة تمثاله الخالد » [٢]

---

(١) أنظر : R.de Litt.Comp., 1949,.p.194

(٢) راجع : Goethe, Theatre Complet, Preface de Gide, p.12

فأنتم ترون وجوه التأثير المختلفة التى أثر بها جوته على الأدب الانجليزى وعلى الأدب الفرنسى فى مختلف الفترات ، حتى ليشبه جوته بفنار ذى وجوه مختلفة ، يدور بطيئاً مع الزمن ، ويرى الناس منه فى كل فترة وجهة واحدة جديدة فيعتبرونه بها [1].

قد رأينا فى هذا الباب النواحى الأدبية والاجتماعية التى تجنى من دراسة هذا الفرع من فروع الأدب المقارن . وهو من أغناها بحوثا فى عالم الأدب الغربى . وهو – وإن كان يتطلب جهداً كبيراً وسعة اطلاع وبراعة فى النقدوالتحليل – ذو ثمار طيبة . ومعالم البحث فيه واضحة إذا حسن اختيار الموضوع ، واتبعت فيه الطريقة العلمية . ويجب تحديد المدة الزمنية وتحديد الوسط المؤثر والمتأثر، لئلا يضل الباحث فى شعاب البحوث والآداب ، فيأتى بنظرات عامة ينقصها التحليل والدقة .

---

(١) وقد ألفت فى تأثير جوته على الأدبين الفرنسى والانجليزى مؤلفات كثيرة نذكر منها عدا ما سبق هذين الكتابين .

F. Baldensperger: Goethe en France

J. Marie - Carré: Goethe en Angleterre..

الفصل الخامس

دراسة المصادر

نأخذ فى هذا الفصل عكس الاتجاه الذى تبعناه فى الفصل السابق . فقد كان المؤلف فى ذلك الفصل موضع الدراسة باعتباره مركز الإشعاع فى التأثير الأدبى ، يدرس هو أولا كى يبحث عن المواطن التى تقبلت قبولا حسناً أو غير حسن مثل ذلك التأثير . أماالآن فنبدأ بالكاتب أو بمؤلفاته كلها أو بعضها فندرسها ، لنبحث عن مدى تأثرها بالأوساط الأدبية وبالمؤلفين من أبناء الآداب الأخرى ؛ وبعبارة أخرى لنرد ما يستطاع رده من أفكاره إلى منابعها من الآداب الأجنبية .

ومن ثمرات التقدم الحديث وبخاصة فى الناحية الفكرية ،أنه قد أصبح زعما باطلا القول بانطواء أدب ما ـ مهما عظم ـ على نفسه ، وباستغنائه بقرائح ذويه عن استعارة الأفكار والآراء من الآداب الأخرى ؛ كما أصبح من البدهيات أن الأفكار ذات الشأن لها أصولها فى إنتاج السابقين أو المعاصرين ، كما أن لها صداها فى ذواكر الأمة وفى قرائح المفكرين. وآية ذلك أن أبناء الآداب الكبرى ـ كالفرنسيين مثلا ـ يبحثون ويمعنون فى البحث، ليكتشفوا العناصر الأجنبية التى تغذى بها أدبهم ؛ ولا يقتصرون فى ذلك

على بحثهم فى الآداب القديمة اللاتينية واليونانية أو فى الآداب الأوربية الحديثة ، بل يتجاوزون ذلك إلى البحث فى الآداب الأخرى كالآداب الشرقية من هندية وفارسية وعربية ...

والمقصود هنا دراسة نواحى الشخصية للكاتب ، واكتشاف عناصر مقوماته ، وعوامل تكوينه . فإذا تمت الدراسات لمجموعة كتاب أدب ما على هذا النحو ، ساعد ذلك بالتالى على فهم أدب وطنى بأجمعه ، ومعرفة عناصره الدخيلة عليه ، ومدى تفاعله مع الآداب قديمة أو حديثة ، قريبة من الوطن أو بعيدة .

وقد كان هذا النوع من البحث شغلا شاغلا لمؤرخى الآداب الغربية قبل أن يوجد الأدب المقارن . فقد ولع هؤلاء المؤرخون بالبحث عن مصادر الكتاب الذين يؤرخون لهم ، لا فى الموضوعات والأفكار العامة فحسب ، ولكن فى الأفكار التفصيلية أيضاً . وقد بالغوا — والحق يقال — فى ذلك مبالغة جرت عليهم كثيراً من الاعتراضات . فقد عيب عليهم أنهم يمحون شخصية الكاتب ، وأنهم يتصيدون تصيدا ما إليه يرجعون أفكاره دون أن تقوم على ذلك قرائن قوية ، وأنهم يقفون عند حدود الموازنة بين النصوص دون أن يرجعوا ذلك إلى قواعد عامة ، أو إلى عوامل اجتماعية مساعدة . فإذا نظمت الدراسات فى هذا الباب ، وطهرت من تلك الشوائب ، فإنها — كما قلنا — جزء هام من دراسات الأدب

المقارن ، ومن أغنى مناطقه بحوث كتاب الغرب .

ويجب أن تفهم المصادر هنا بمعنى أوسع مما اعتيد إطلاقها عليه ، فهى تشمل كل العناصر الأجنبية التى تعاضدت على تكوين الكاتب . فمنها ما انطبع فى خيال الكاتب نتيجة لما رأى فى أسفاره من مناظر طبعية ، وآثار فنية ، وعادات وتقاليد قومية . وتلعب الأسفار فى ذلك دوراً كبيراً ، وتنعكس صورها المختلفة فيما تنتج القرائح من نتاج أدبى تبدو فيه تلك الآثار واضحة ، كما نرى فى روايات شاتوبريان Chateaubriand بعد سفره للدنيا الجديدة . ورؤيته لما فيها من حياة فطرية ، وتقاليد للهنود الوطنيين . وكما نرى فى آراء مدام دى ستال Mme. De stael بعد سفرها لألمانيا ، ومخالطتها لأهلها ، وتعرفها على مفكريها . وخير مثل نضر به هنا فيما يخص أدبنا العربى هو مثل أحمد شوقى بعد سفره لأسبانيا . فقد كان لما رأى بها من آثار ، ولما اطلع عليه فيها من عادات وتقاليد . أثر قوى فى تطور آرائه ، وفى اتساع أفقه ، ثم فى إنتاجه الأدبى بتصويره لأسبانيا فى شعره ونثره .

ولا يفوتنا أن ننوه هنا بتأثير مصر على الأدباء الفرنسيين فى العصر الرومانتيكى ، فقد أثرت عليهم بمناظرها وآثارها ، وبعادات قومها وأعيادهم ، وانعكس كل ذلك بطريق مباشر على الإنتاج الأدبى لمثل جيرار دى نرفال G. de Nerval ، وتيوفيل

جوتييه Théophile Gautier وفلوبير Flaubert الذين كان وصفهم لمصر صورة صادقة لها فى عصرهم ؛ أو بطريق غير مباشر كما هى حالة فلوبير ، فقد أتته أثناء رحلته بمصر فكرة قصته الخالدة مدام بوفارى Madame Bovary التى تدور حوادثها فى فرنسا وقد أخذ اسم هذه القصة من اسم صاحب الفندق الذى نزل به بالقاهرة ، فقد كان اسمه بوفاريه Bouvaret (١) . على أن الجو الذى يسود قصته الأخرى المسماة سالامبو Salambo يظهر عليه الطابع المصرى ، وبالرغم من أن حوادثها تجرى فى تونس . وإليك مثلا من هذه القصة تنعكس فيه ذكرى فلوبير للرياح الخسينية التى شاهدها فى مصر : « وفجأة فقدت الشمس أشعتها . وبدت مياه البحر والخليج راكدة كأنها من رصاص مذاب . واعترض الأفق سحاب أسمر عمودى من غبار ما زال متحركا ، وانحنت أشجار النخيل ، واحتجبت السماء .. وثارت الحصيات تضرب أعجاز الركائب . . . » وكذا ما أفاض فى وصفه فى تلك القصة من الآثار والمعابد وحجراتها ورسومها . . . لم يكن إلا صدى لما رأى من آثار مصر وبخاصة فى وادى الملوك . بل إنه رسم ما رأى فى مصر حين وصف الملابس والحلى وبخاصة ملابس

---

(١) راجع : M.J.M.Carré: Les Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte Vol. II, p. 99—100

النساء الطويلة السوداء وما كان بعضهن يتحلين به من أقراط فى أنوفهن ، وما كان منتشرا استعماله من الأحجبة وأنواع الطيب والمواقد [١] .

على أن مصادر الكاتب لا تقتصر على ما أفاده فى أسفاره ، بل قد ترجع كذلك إلى مخالطته للأوساط والنوادى التى تهتم بالثقافات الأجنبية فى أرجاء وطنه نفسه . ونجد مثلا لذلك الكاتب الفرنسى موريس ماجر Maurice Magre المتوفى عام ١٩٤٢ فقد كان لاختلاطه بنادى مدام أنّى بيزانت Annie Besant أكبر تأثير فى توجيه وجهة الثقافة الهندية وتشبعه بها ودفاعه عنها ؛ إذ كان ذلك النادى مركزاً هاماً لتلك الدعاية ، ومن أكبر من كانوا يغشونه الداعية الهندى بلافاتسكى Blavatsky . وقد تأثر به الكاتب الفرنسى فاعتنق آراءه الدينية من مذهب التناسخ وما تبعه من الرفق بالمخلوقات كلها من إنسان وحيوان ، وكانت هذه الآراء الفلسفية محور تفكيره الدينى والاجتماعى ، كما يتضح ذلك بالاطلاع على مؤلفاته النظرية ودواوينه الشعرية وقصصه ، ومنها القصة التاريخية التى تدور حوادثها فى الاسكندرية فى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادى ، وعنوانها « قصة

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٢٣ — ١٢٧ .

الفتاة برسيلا [1] Le Roman de Priscilla .

ويلحق بهذا النوع من المصادر تأثير الأصدقاء من الأجانب على الكاتب ، إما بالمراسلة وإما بالمحادثة الشفوية ، وتحديد النوع الأخير من التأثير صعب المنال من الناحية العلمية ، ولكن الإشارة إليه أو الإلمام به مما يحدد نواحي شخصية الكاتب ويساعد على تعرف تكوينه على وجه ما . وقد ضرب بعض الكتاب مثلا لذلك بالشاعر لامارتين Lamartine وتأثره بالفيلسوف إكستين Eckstein عميد الدعوة إلى الثقافة الهندية في عصره ، ولم يدر بينه وبين لامارتين إلا محادثات شفوية ، يستطاع التعرف على آثارها فيما كتب لامارتين بعد مقابلاته لذلك الداعية ، ليوضح فيه ما يمت بصلة إلى تلك الثقافة التي ذاع صيتها في فرنسا في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين ، والتي وجدت صداها لدى كثير من الشعراء مثل هوجو V. Hugo وفيني A. de Vigny ... وكان عمادها ما قام به العلماء والمستشرقون من تأسيس مراكز لتلك الثقافة في الجامعات وبعض

(١) قد أوضحت هذا في رسالتي الثانية للدكتوراه :

Hypatie dans La Litt. Framçaise et Anglaise.

المعاهد هناك ، فتهيأ بكل ذلك جو ملائم لتأثيرها الأدبى نكتفى هنا بالإشارة إليه . (١)

ومما يلتحق بهذا النوع من المصادر انتشار تقاليد أدبية خاصة فى أدب ما ، ثم انتقالها إلى أدباء أمة أخرى . فقد شاع مثلا فى الأدب الإنجليزى وصف نوع من الكبرياء والاعتداد بالنفس وحب للظهور لدى جماعة الأغنياء الذين يتخذون من هذه الصفات وسيلة للقيام بمخاطرات عاطفية مع النساء . وهذا ما يقال له Le dandysme . ولا تتوافر هذه الصفات إلا لطبقة الأغنياء المترفين الذين يبحثون عن مجال يظهر فيه عجبهم واعتدادهم . ويبدو هذا الاعتداد فيما يقومون به فى المجتمعات وأمام ذوات المكانة من السيدات من أعمال تظهر فيها البطولة أو الطابع الشخصى كأنواع الرياضة الخطرة ، وكالتأنق فى الهندام ، والتفنن فى التظرف . ولا يظهر هذا النوع من الناس إلا فى عهود الانتقال التى لا تسيطر عليها ديموقراطية كاملة ، بينما تبدو الأرستقراطية فيها مزلزلة القواعد محقورة . فهم يمثلون آخر مظهر من مظاهر البطولة الارستقراطية فى عهد انحلالها ، وما أشبههم « بشمس غاربة ،

---

(١) أنظر : Guyard: La Litt. Cemp.p.80

وانظر كذلك : L. Renou: Les Littératures des Indes. p.117—120

أو بكوكب يهوى للغيب ، كلاهما يبدو جليـــل المظهر ولكن لاحرارة فيه ، فهو يوحى أول مايوحى بالأسى [١] ، وقد انتشر وصف هذا الصنف الاجتماعى من الناس فى الأدب الإنجليزى ، ثم ظهر أثره فى الأدب الفرنسى ، فى بعض أشخاص قصص بلزاك Balzac وقصص كوستين A. de Custine مثلا [٢]

ومن هذا النوع من المصادر أيضاً ما يتناقل شفويا وعلى سبيل الصدفة ، فيؤثر فى إنتاج كتاب بلد ما ، ويوحى إليهم فى مؤلفاتهم بالكثير ، مثل الاستماع إلى أغان شعبية لأمة ما ، أو إلى أناشيد لشعوب فطرية ، أو إلى قصص تنوقلت عن طريق الرواية فوصلت إلى أسماع أدباء فى أمم أخرى . ومن ذلك مايقرره جاستون بارى Gaston Paris من أن بعض القصص الشرقية التى أثرت فى الحكايات الصغيرة الشعرية فى العصور الوسطى ، انتقلت إلى أمم الغرب عن طرق مختلفة ، منهـــا طريق المسافرين ومحادثتهم مع الشرقيين أثناء الحروب الصليبية [٣] .

---

(١) ، (٢) راجع : Baudelaire: Oe vres Complètes, éd. de la] pléiade, vol. 2, p. 249-253 هذا وبودلير هو خير من كتب عن هذا التقليد الأدبى المسمى dandysme وراجع كذلك Guyard : Litt. Comp. p 31

(٣) انظر : Gaston Paris : La Poésie du Moyen Age p. 75 -- 108.

ومن ذلك مانقرؤه فى كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ من أن الموبد أثار يوما حفيظة شيرين محظية كسرى ، لأنه نصح إليه بالاحتراس من كيد النساء . فلما أصبحت شيرين امرأة لكسرى ، أرادت أن تكيد للموبد ، فأهدت إليه جارية جميلة عهدت إليها بإغواء سيدها الجديد ، وبعدم الاستجابة إلى مايريد منها إلا إذا أسرجته وركبته كما يركب الحصان . وفجأت شيرين مع الملك رئيس الكهنة فى هذا الوضع المهين ، ولكن الموبد أجاب فى تثبت أنه إنما أراد بذلك أن يضرب المثل بعمله على صدق ما سبق أن أبداه للملك من نصح . وقد انتقلت هذه القصة إلى الغرب، ولم ينلها تغير فى جوهرها غير أنه قد استبدل بكسرى والموبد الاسكندر وأرسطاليس . ونظمها شعرا فى الأدب الفرنسى فى العصور الوسطى الشاعر هنرى دانديلى Henri d' Andeli ، فى النصف الأول من القرن الثالث عشر [1] .

ننتقل بعد ذلك إلى النوع الأخير من المصادر وهو المصادر المكتوبة ، وهى ما ينصرف إليه المعنى بصفة عامة حين يطلق

(١) راجع كتاب المحاسن والأضداد ص ٢٥٥ وراجع كذلك براون فى كلامه عن نهاية الأرب J.R.A.S.1900, P. 243 وكذا :
A. Christensen : Les Gestes des Rois . . . P. 69 — 70 — Poétes Et Romanciers du Moyen Age, èd de la Plèiade, p.467 — 474.

اسم المصادر ، وهى أسهل أقسام المصادر دراسة ، وأيسرها تحديدا. إذ مظنة البرهنة عليها الكتابة، وحجتها — متى وجدت — لا تدفع . ونكرر هنا ما قلناه سابقا من أنه لا تكفى المشابهة بين النصوص ، بل لابد أن توجد مع ذلك دلائل التأثر الأدبى ، ثم لابد من شرح الأحوال الأدبية والاجتماعية التى تم فيها التأثر ، فلا بد من درس حياة الكاتب والوسط الاجتماعى الذى نشأ فيه ، لتشرح على ضوء ذلك ثقافته وميوله نحو بلد ما ، أو نحو أدب ما وقد أشرنا من قبل إلى أنه لا عيب فى استعارة أديب من أديب سابق . فان الاختراع فى الأدب بمعى الخلق من جديد جدة مطلقة أمر عسير بل متعذر . ذلك لأن الأديب حين تنفعل نفسه ، وتجيش عواطفه لتتوالد أفكاره ـ يعود لكى ينتج ـ إلى ذاكرته فيستوحيها . وما الذاكرة إلا وليـــدة التجربة والمشاهدة والاطلاعات المختلفة . وبمقدار حسن هضمه لمـا اطلع عليه ، وإخراجه له إخراجا يظهر عليه طابعه ، تكون قيمة إنتاجه الأدبى . وما أشبه الكاتب بالنحلة ، تقع على مختلف الأزهار ، وتمتص أنواع الرحيق ، وتأكل من كل الثمرات ، ثم يخرج من من بطونها شراب مختلف ألوانه . وهذا هو العنصر الذاتى للكاتب فى اختراعه .

والأدب المقارن بعيد كل البعد عن أن ينقص من قدر الكاتب حين يبحث عما غذى به ذاكرته فى مطالعاته وفى ألوان ثقافته من

مختلف الآداب . بل غايته من كل ذلك أن يتعرف إلى روح الكاتب ، وينفذ إلى تلك الروح من خلال الثقافات التى هضمها الكاتب وأخرجها للناس خلقا جديداً . وقد أتى يوماً إلى جوته Goethe صديقه وسكرتيره إكِرْمان Eckerman ليهنئه بصدور طبقة جديدة لمؤلفاته كاملة . فنظر جوته إلى أجزاء كتبه مرصوصاً بعضها فوق بعض، وأخذ يشرح لإكِرْمان كيف زخرت مؤلفاته بما اقتبسه عن الإغريق والإنجليز والإيطاليين والفرنسيين، ثم أضاف إلى ذلك قوله «كل هذا ممهور باسم جوته»(١)

وتتعدد أنواع البحث فى المصـــادر الكتابية على حسب موضوعاتها . فقد يقصد إلى البحث عن مصادر كتاب واحد لمؤلف ما ، وفى هذه الحالة ربما يكون الكاتب قد استعار من أدب آخر موضوع الكتاب ، أو بعض المواقف الخاصة فيه ، أو بعض الأفكار والتعبيرات .

أما عن الموضوع فيغلب أن يستعار فى باب القصص وفى المسرحيات . وقد استعار الأدب الفرنسى الكلاسيكى أكثر موضوعاته المسرحية والقصصية إما من الآداب القديمة اللاتينية واليونانية ، وإما من الأدب الأسبانى. ومع ذلك قد صبغها الأدباء

---

(١) راجع : R.de Littératuıc Comparée, Juillet - septembre 19ı8,p.418

الفرنسيون بصبغتهم وظهر بها طابعهم الخاص .

وقد يكون موضوع الكاتب جديداً ، ولكن لا يستغنى فيه عن أن يستعير بعض المواقف أو بعض الأفكار الخاصة والتفصيلات من أدب آخر . وقد يدهش القارىء إذ يرى أحياناً البعد شاسعا بين الكاتب والأدب الذى اقتبس منه فى الزمن والبلد والموضوع. فقد اقتبس الكاتب البلجيكى ماترلنك Maeterlink فى مسرحيته التى ظهرت عام ١٨٩٢ واسمها بلياس ومليزاند Pelléas et Melisande ، من الشاعر الفارسى الفردوسى فى الشاهنامة التى يرجع تأليفها إلى أواخر القرن العاشر وأوائل الحادى عشر الميلاديين .

ولنعرض هنا موجزين من الشاهنامة الموقفين اللذين استعارهما الكاتب البلجيكى لمسرحيته . ففى الموقف الأول يذكر الفردوسى كيف بكر القائد طوس مرحا إلى الصيد على صياح الديكة فى جمع من رفقته . فلما توغلوا فى الغابة بصروا بفتاة فاتنة الخدين رائعة الجمال ، فى طلعــــة كالبدر ، وقامة كشجرة السرو . فتوجه إليها طوس سائلا : «أنت يا ذات الطلعة الفاتنة ، لماذا جئت إلى هذه الغابة ؟» فأجابت: قد ضربنى البارحة أبى، فهربت هائمة على وجهى. كان قد عاد ثملا فى جنح الظلام من حفلة عرس ، فما إن رآنى حتى علاه الغضب ، فأخرج خنجراً ماضياً يريد به أن يفرق رأسى من الجسد . . ، ثم تشرح كيف هربت بمال كثير وبتاج من ذهب

أخذه منها الحرس بعد أن ضربوها بقراب سيف . (١)

وفى الموقف الثانى يذكر الفردوسى أن (زال) — البطل ذا الشعور الفضية الذى ربته العنقاء فوق ذروة الجبل — كان يحب (رودابه) وهى الفتاة ذات المحيا السحرى . وذات يوم ذهب إلى قصرها ولم يكن قد رآها من قبل . وظهرت رودابة ذات العيون السوداء والخدود الوردية فى شرفة من شرف القصر وقف تحتها (زال) ، فأضاءت بطلعتها الشرف كلها ، وبدت الأرض مثل يا قوته تحت تأثير إشعاع خديها . . ثم حلت خصل شعرها ونشرته فاسترسل ، ووصل من أعلى القصر حتى غطى وجه زال ، كأنه خصل مجدولة من المسك . وأخذ زال يغطى شعرها بقبلاته حتى كانت تسمع صوت تلك القبلات من أعلى القصر . (٢)

وفى رواية الكاتب البلجيكى السابق الذكر ، نجد أن الأمير جولو Góland يكتشف وهو يصيد فى الغابة فتاة جميلة على شاطىء بحيرة . وتلك الفتاة هى مليزاند Mélisande ، فيسألها عن سبب بكائها وعما إذا كان قد نالها بالأذى أحد . فتجيبه نعم . فيسألها من ؟ فتجيبه : كل الناس . فيسألها وماذا نالك منهم من شر ؟

---

(١) أنظر الشاهنامة للفردوس طبعة وترجمة جول مهل J. Mohl. جـ٢ ص١٩٦ — ١٩٨

(٢) المرجع السابق جـ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥

فتجيب: لا أريد أن أقول ، ولا أستطيع . فيسألها ومن أين أنت؟ فتجيب : قد هربت ، قد هربت ... فيسألها : وما هذا الشيء الذى يتراءى بريقه فى ماء البحيرة؟ فتجيب: .. إنه التاج الذى أعطاه لى. قد سقط أثناء بكائى . فيقول : تاج ؟ ومن أعطاك هذا التاج ؟ سأخرجه من الماء . فتصيح : لا ، لا ، لقد زهدت فيه ؛ وأفضل أن أموت فى الحال على أن أضعه . . » [١]

ثم يذهب بلياس الحبيب إلى البرج الذى تسكنه مليزاند ، فتطل عليه من إحدى الشرفات ، وتميل برأسها نحوه فتتهدل شعورها الطويلة عليه وتسترسل حتى تصل من أعلى البرج إليه ويقول « ... إن شعورك تنزل نحوى ، إنها تنسدل كلها من البرج علىّ . أمسكها بيدىّ ، وأمسها بشفتىّ ، وأحتضنها بذراعىّ ، وأنثرها حول عنقى ... لم أر من قبل شعوراً مثلها يامليزاند . أنظرى ، أنظرى . إنها تهبط من الأعلى وتغمرنى حتى قلبى ... إنها ترعش ، وتضطرب ، وتخفق فى يدى كأنها طيور ذهبية . . » [٢]

إن التشابه واضح بين الموقفين تمام الوضوح ولا مجال للشك

(١) أنظر : Maeterlink. Pelléas et Melisande p.17—21, p.27—28

(٢) نفس المرجع السابق ص ٩٤ — ١٠٠ ، وانظر كذلك :
Les Nouvelles Litteraires, 6 Septembre, 1951

فى أن الفردوسى كان مصدر الكاتب البلجيكى فيهما . ولا يتسع المقام هنا لشرح الطريق الذى عرف عنه ماترلنك الشاعرَ الفارسى ، ولا لبيان البون الشاسع بين الموقفين فى ملحمة الفردوس وفى مسرحيه الكاتب البلجيكى ، ولا لتوضيح الطابع الشخصى لهذا الكاتب فيما اقتبس ... لأننا لم نقصد إلا إلى توضيح مثال ، أما دراسته دراسة مقارنة تفصلية فستخرج بنا عن حدود هذا الكتاب (١) .

وأحيانا تقتصر استعارة الكاتب فى مؤلفه على فكرة خاصة أو تعبير من التعبيرات ذات الصبغة المعينة . وقد كثرت الطبعات النقدية لكثير من المؤلفات الغربية ، وبينت فيها تفصيلا مصادر أفكار الكاتب ، ما يرجع منها إلى الأدب القومى أو إلى الآداب الأجنبية . وخير مثل لذلك هو طبعة الرسائل الفلسفية لفولتير التى قام بشرحها والتعليق عليها العلامة لانسون (٢) .

وقد لاتقتصر دراسة المصادر على كتاب واحد من كتب المؤلف ، بل تؤخذ مؤلفاته كلها جملة ويبحث فيها عن مصادرها فى الآداب الأخرى . وفى هذه الحالة قد يقتصر البحث على بيان

---

(١) لنا إلى هذا عودة فى بحث على حدة .

(٢) أنظر أمثلة أخرى كثيرة فى كتاب فان تيجم .

P. Van Tieghem : Litt. Comp., p. 148.

مصادرها فى أدب أجنبي واحد ، بل قد لايتعدى مجرد إحصاء وسرد لما قرأ المؤلف من ذلك الأدب . وهذا النوع من الإحصاء الدقيق كثير الرواج فى ألمانيا ، وله أهمية كبرى فى تنوير النقاد حيال الكاتب أو الشاعر . فهو يبين الجو العقلى الذى عاش فيه الكاتب ، وكيف اتسع أفقـــه قليلا قليلا ، أو كيف أنه على العكس من ذلك قد ضاق وانطوى على نفسه ؛ وكيف تركز اهتمامه حول تلك المسائل ، أو حول بعض الأجناس الأدبية ، وكيف كان يتطور تبعاً لقراءته [١] .

فإذا تجاوزت الدراسة الإحصاء إلى شىء من التفصيل يبين فيه تأثير كل مصدر من مصادر الكاتب على مؤلفاته ، فنى هذه الحالة قد يقتصر على دراسة تأثر الكاتب بأدب واحد من الآداب الأجنبية . فمثلا يمكن أن يدرس تأثر شوقى بالأدب الفرنسى فى مؤلفاته ، كما درس تأثر فولتير بالأدب الإنجليزى . وعلى الباحث فى هذه الحالة أن يدرس أولا المؤلف نفسه دراسة دقيقة ، ثم يقرأ من الأدب الأجنبى ما يمكن أن يكون قد أثر فى إنتاج ذلك المؤلف . ويبدأ بقراءة ما اعترف المؤلف بقراءته من ذلك الأدب ، ثم بالموضوعات المشابهة للموضوعات التى عالجها المؤلف ، كأن يقرأ مثلا مسرحيات كليوباترة فى الأدب الفرنسى على مر

(١) نفس المرجع السابق ص ١٤٩

العصور ، لأن لها نظيراً فى مؤلفات شوقى مثلا . وربما يسفر كل ذلك عن آفاق جديدة أمام الباحث تنير أمامه السبيل ، وقد تجعله يعثر على ماله قيمة جديدة فى تعرف نواحى الكاتب وتأثره بالأدب الأجنبي الذى امتاح منه .

وأوسع دراسات المصادر وأكثرها أهمية هو ما يبحث فيه عن مصادر الكاتب فى الآداب المختلفة ، وعن مبلغ ما استفاد منها فى مؤلفاته . ويتطلب هذا النوع من الدراسات ثقافة واسعة مترامية الأطراف ، وصبراً كثيراً ، واطلاعا واسعاً . وهذه الدراسات خير ما يلقى الضوء على مواهب الكاتب ، وعلى نواحى نشاطه ، ومختلف اتجاهاته .

وقد قام فرديناند بالدنسبرجيه F Baldensperger بمثل طيب فى ذلك حين درس المصادر المختلفة للكاتب الفرنسى بلزاك Balzac . وبين فى دقة وتعمق كيف استفاد بلزاك من مختلف الآداب التى أتيح له أن يطلع عليها فى فترات متعاقبة من حياته ، وكيف لم يطغ ذلك على الطابع الشخصى للكاتب وعلى دقة (١) ملاحظته . وكذا قام الباحث سيتولو Citoleux بمثل هذه الدراسة

---

(١) انظر : F. Baldensperger : Orientations Etrangères Chez H. de Balzac

باحثا عن مصادر ألفريد دى فينى [١] .

يدهش القارىء لهذه الأبحاث حين يرى تعدد قراءات كبار الكتاب ، وسعة آفاقهم ، ثم حين يرى كيف أخرجت تلك الموسوعة الكبرى من مختلف ثقافاتهم واطلاعاتهم ثماراً متنوعة مختلفة الألوان . ويلذ له أن يرجع كل لون منها إلى أصله ، ويعجب كيف انتظمت كل هذه الألوان لتؤلف وحدة منسجمة ، كحديقة غناء أبدعت فيها يدالتنسيق فألفت بين زهورهاوأشجارها ، على الرغم من اختلاف ألوانها وتنوع ورودها .

والنوع الأخير من دراسات المصادر هو ما يكون موضوعه أدب شعب ما ، وبيان وجوه تأثره بأدب آخر أو بالآداب الأخرى مجتمعة . كما فعل الباحثان توكر وماجنوس فى شرح علاقات الأدب الإنجليزى بالآداب الأخرى ، [٢] وكما فعل دو بوى فى بحثه

---

(١) انظر : M. Citoleux: A.de Vigny, Persistances Classiques Et Affinités Etrangères.

(٢) يسمى كتاب توكر Tucker ديون الأدب الانجليزى نحو الآداب الأجنبية . ويسمى كتاب ماجنوس Magnus : الأدب الانجليزى فى علاقاته بالآداب الأجنبية . راجع :

P. Van Tieghem: Litt.Comp.;P.151.

علاقات الأدب الفرنسي بالأدب الألماني [1]. ومثل هذه الدراسات قد تفقد شيئاً من الضبط والتحديد والدقة لسعة أطراف البحث فيها ولحاجتها إلى اطلاع وإلى ثقافة قد يعيا بهما مجهود باحث بمفرده . ولكنها حتى في رسم الخطوط الكبيرة للتأثير بوجه عام ذات أهمية كبرى للباحثين ودراسي الآداب . هذا إلى أن الآداب المختلفة لا تتعرض للتأثر بآداب أجنبية بنسبة واحدة في كل العصور ، فقد يبقى الأدب القومي لدولة ما مقطوع الصلة بغيره في عصر ما ، ثم يجدد صلاته بالآداب المختلفة على حسب أحوال العصر لكل دولة وتبعاً لنشاط رجالها الفكري والسياسي . فقد ظل الأدب الفرنسي يستمد من الآداب القديمة اللاتينية واليونانية ، ومع ذلك طغى عليه في القرن السادس عشر تأثير الأدب الإيطالي حتى غلب على كل تأثير سواه . وقد اتسم القرن السابع عشر في فرنسا بغلبة تأثير الأدب الأسباني عليه . ولما جاء القرن الثامن عشر اتجه أدباؤه وجهة الأدب الإنجليزي أولا ، ثم وجهة الأدب الألماني في النصف الثاني من ذلك القرن وفي أوائل القرن التاسع عشر ، أما في أواخره فقد ظهر تأثير الأدب الروسي والأدب الأمريكي وبخاصة

---

(١) عنوان هذا الكتاب هو :

Aug. Dupouy : Les Litteratures Comparées de France et d'Allemagne,paris,1927

على مؤلفى القصص والمسارح [1] .

وقد اتصل الأدب العربى فى عصر العباسيين بالأدب الايرانى وكان تأثره به متعدد المناحى [2] ، وقد تأثر كذلك بعض التأثر بأدب اليونان وفلسفتهم . ولا ريب كذلك فى أن الأدب العربى قد انطوى على نفسه قبيل العصر الحديث ، ثم اتجه بعد ذلك وجهة الآداب الأوروبية يستوحيها ويقلدها فى اتجاهاته وفى خلق بعض أجناس أدبية جديدة ، كالقصة الطويلة والقصيرة والمسرحيات . وهذه كلها نواح خصبة لم تكد تبدأ دراستها بعـــد ، ويتطلب استيفاؤها حقها من البحث كثيراً من تضافر الجهود . ومتى اكتمل بحث هذه النواحى ، استطعنا أن نكتب تاريخ الأدب العربى على نهج واضح جديد أقرب ما يكون من الكمال ، وأوفى طريقة وأكثر إفادة .

---

(١) راجع : Guyard: La Litt Comp.P.81—83

(٢) سنتناول المظاهر المختلفة للصلات بين الأدب العربى والإيرانى فى كتب على حدة .

الفصل السادس

التيارات العامة الأدبية

افكار عامة ، مذاهب أدبية ، عواطف وإحساسات

نبحث فى هذا الفصل طريقة دراسة الأفكار وتياراتها العامة ، وتبادلها بين مختلف اللغات . وهذه الأفكار هنا هى نفسها موضوع الدراسة ، خلافا لما نهجناه فى الفصول السابقة من اعتبارها تابعة لموضوع بذاته أو لمؤلف بعينه . فقد سبق أن شرحنا فى دراساتنا للموضوعات وللمؤلفين أن علينا أن نكشف فى تلك الدراسات عن الصلات الأدبية فى جميع صورها تأثيرا وتأثرا ، ومنها التيارات الفكرية العامة ، والمذاهب الأدبية ، والعواطف وألوان المشاعر وما إليها ، ولكننا قصدنا إلى درسها هناك تبعاً لشخصية مؤلف ، أو تبعاً للموضوع المدروس . أما فى هذا الفصل فالدراسة قاصرة على نشأة هذه الأفكار فى ذاتها ، وعلى كيفية إدراكها لدى شعب ما فى أدبه ، وعلى انتشارها بعد ذلك فى مختلف الآداب .

والأدب — قبل أن يكون تعبيراً فنياً — أفكار تصاغ فى ذلك التعبير ، وآراء تصب فى قوالبها الفنية وقد ترجع تلك الأفكار أو هذه الآراء فى أدب ما إلى مادة عامة متوارثة على الأجيال عن آداب كثيرة . والبحث فيها هو البحث فى أصول الروابط

العقلية والروحية فى ميدانها العالمى . وهى روابط يعتز بها تاريخ الفكر الإنسانى ، ولها مكانتها فى دراسة ذلك التاريخ . وفى الحق إن الآداب المختلفة لا يربطها غير الأفكار ، والتيارات العامة ، والإدراكات المشتركة ، وصور الإحساس بما يضطرب به العالم من أحداث . وقد سبق أن بينا — حين كنا بصدد دراسة الموضوعات — أن قيمتها هى فى أنها لم تكن إلا رموزا لأفكار عامة ، ومنافذ يطل منها الكتاب على الناس بآرائهم . وسيتجلى فى وضوح قيمة هذه الدراسات بعد شرحنا لأقسامها على النحو الآتى:

أولا : دراسة الأفكار : لا نقصد هنا إلى دراسة الأفكار على إطلاقها مجردة من ملابساتها الأدبية ، إذ أن هناك علوما أخرى تعنى بتلك الدراسات ، كالفلسفة التى تبحث فى الأفكار التجريدية وفيما يخص ماوراء الطبيعة ، وكعلوم الاجتماع والأخلاق التى تدرس الأفكار الخاصة بالظواهر الاجتماعية ، وبأصول السلوك الإنسانى . وهذه الدراسات تخرج عن نطاق الأدب بمعناه الدقيق . وعلى هذا فالبحث فى تأثير أمثال ديكارت Descartes وكانت Kant وأوجست كونت Anguste Comte على الأدباء لا يصح أن يدخل فى حساب دارسى الأدب المقارن [1]

---

(١) للتعرف على هؤلاء الفلاسفة راجع الكتاب القيم لبرتراند رسل :
Bertrand Russell : History of WesternPhilosophy

ولكن هناك حدوداً مشتركة بين العلوم التى هى ميدان الأفكار البحته والأدب الذى يعتد بالصياغة كمقوم من مقوماته. فإذا ارتفع أحد المفكرين بأسلوبه وصوره الفنية، كان لإنتاجه مكانته بين التحف الأدبية. وكثيراً مايوجد أمثال هذا الكاتب بين الأدباء الفلاسفة الذين لا يتوغلون فى ميدان الفكر البحت والتجريد العميق، ولكن يظلون فى متناول الجمهور، متجهين فى فلسفتهم وجهة آراء خاصة، يهاجمون بها معتقـــدات عامة، أو تقاليد اجتماعية بالية فى نظرهم. ومثل هؤلاء فولتير، وروسو، وديدرو Diderot من المفكرين الفرنسيين، ولوك Lock وبوب Pope وتولاند Toland من الانجليز. [١]

ومما لا ريب فيه مع ذلك أن كثيراً من الأدباء قد تأثروا بكبار الفلاسفة من غير أبناء أمتهم فى آرائهم ومعتقداتهم وانعكس ذلك على إنتاجهم الأدبى؛ ولكن هذا لا يضطرنا إلى الدخول فى الميادين الخاصة بالفلسفة، تاركين ذلك لمؤرخى الأدب القومى ليبحثوا فى دراستهم لكل كاتب عن مصادره الفلسفية، كما فعلَ فى مصادر جوته وفلوبير وتأثرهما بالفيلسوف الهولاندى اسبينوزا Spinoza وكما درِسَ فولتير والكاتب الانجليزى رسل Russell

(١) راجع فى ذلك مثلا كتاب:

P. Hazard: La pensée Européenne au Xviiies.

فى تأثرهما بالفيلسوف الألمانى لا يبنتز Leibniz . (١)

وحجتنا واضحة فى التفرقة بين الفلاسفة الخلص والفلاسفة الأدباء ، ذلك أن أولئك يتوجهون إلى الخاصة ، ويتعمقون فى عالم الأفكار تعمقاً يبعد بهم عن الأدب ، وهؤلاء يتحدثون إلى الجماهير ، معتمدين على الأشكال والقوالب التى يصوغون فيها كارهم فى صور تضمن لها التأثير والرواج والخلود . هذا وميدان الأفكار على نحو ما شرحنا يشمل الفروع الآتية :

(١) الأفكار الدينية : قد تصدى كثير من ذوى القرائح الأدبية للبحث فى آراء دينية ، إما لإذاعتها والدفاع عنها ، وإما لمناقشتها والتشكك فيها ، أو محاربتها وإظهار بطلانها . وذلك مثل بوسويه Bossuet وفنلون Fénelon وفولتير من بين الكتاب الفرنسيين ، وجوته ونيتشه Nietzsche من بين الألمان ، وكنجسلى Ch. Kingsley وتولاند Toland من بين أدباء الإنجليز ، ومثل عمر الخيام فى رباعياته الفارسية . وقد كان لبعض هؤلاء تأثير عميق على غيرهم من أبناء الآداب الأخرى .

وقد تتبع التيارات الدينية أو اللادينية فى الأدب حركة

---

(١) أنظر: B. Russell: History of western philosphy: preface .

وكذا : Guyard: La Litt. Comp., p. 101

عامة يتسم بها العصر الذى نشأت فيه ، مثل الحركة الهيلينية [١] فى القرن التاسع عشر ، وقد دعا المتشيعون إليها إلى اقتفاء آثار اليونان فى حضارتهم وعقائدهم . ووقفوا من الديانات وبخاصة المسيحية موقف المهـــاجم ، يحملونها ورجالها تبعة الفشل فى الإصلاح ، وفقدان الإحساس بالعدالة الاجتماعية والمثل الإنسانية . وتصدى كتاب آخرون للرد عليهم . وكان من أوائل من دعا إلى تلك الحركة جوته وتبعه كثير من أدباء أوربا عامة . ومن أبطال هذه الدعوة فى فرنسا لويس مينار Louis Menard وأناتول فرانس A. France ولوكونت دى ليـل Leconte de Lisle . [٢] وقد تأثرت هذه الحركة بالثورات التى سادت القرن التاسع عشر، وسببها تقدم العلوم وتأخر المجتمعات الأوربية فى ذلك العصر ، مما أدى إلى احتدام الصراع للتوازن بين الطبقات احتداما اشترك فيه الشعب بالثورات ، واشترك فيه رجال الفكر بما أرسلوا من صيحات السخط والاستنكار واليأس ، باحثين عن

---

(١) تسمى . lé mouvement hellènique

(٢) راجع .

F. Desonay: Le Rêve Hellénique ..Chap.I,III-Iv

ولا يتسع المجال هنا للتفصيل أكثر من ذلك .

طريق للعدالة الاجتماعية، وعن أساس جديد يقوم عليه بناؤها[١]

وفى الأدب العربى كتاب حملوا على الأديان عامة، أو على الدين الإسلامى خاصة.[٢] ومنهم من كانت نزعاته صدى لأدب آخر غير الأدب العربى. ومن هؤلاء عبد الله بن المقفع، فى كليلة ودمنة الذى ترجمه هو من الأدب الإيرانى فصل عن برزويه، يتشكك فيه فى الأديان، ويعرب عن حيرة العقل فى الاعتقاد بها، والاهتداء إلى أفضلها. وكان هذا الفصل موضع بحث كثير من المستشرقين يعزونه إلى الأصل الإيرانى تارة، وإلى ابن المقفع[٣] تارة أخرى، ولابن المقفع فقرة أخرى يحمل فيها على التشريع الإسلامى فى كتاب «تنسر نامه» الذى ترجمه عن الأدب الإيرانى أيضاً، ولكن النص العربى لهذه الترجمة مفقود، ولم يبق

---

(١) راجع:

L: Cazamian: Le Roman Social en Angleterre Vol.2,p.161—247

وراجع أيضاً: Trevelian: Hist. Social de L'Angleterre, p.383—470

(٢) هذا ما بحثه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه «من تاريخ الإلحاد فى الإسلام».

(٣) قد استوفيت شرح هذا فى رسالتى الكبيرة التى لم تطبع بعد.

راجع Narimann: Iranian InFluence ... appendix 3

Christensen: l' Iran Sous Les Sassanides,p.426-430

من هذا الكتاب إلا ترجمته الفارسية الحديثة . (١) ولكن دراسة هذه النزعات الفكرية فى الأدب العربى باعتبارها صدى للتأثر بآداب أخرى ـ على ضرورتها وأهميتها ـ ضيقه النطاق محدودة ، هذا إلى ضياع النصوص الأصلية للأدب الإيرانى مثلا مما يحد من جهود الباحثين فى هذا الباب .

(ب) الأفكار الفلسفية : وما يشغل الأدب المقارن منها هو الخواطر التى تكون محوراً لاتجاهات نظرية تخص ماوراء الطبيعة ، أو تلعب دورها فى توجيه المجتمع والسيطرة على المثل السائدة فيه . ولا بد أن تلبس هذه الأفكار صورا أدبية فى أسلوبها ، وفى الطريقة التى تساق بها . وقد كان القرن الثامن عشر فى أوروبا عصر الفلاسفة الذين لعبوا دوراً كبير فى زلزلة المعتقدات السائدة هناك ، وفى توجيه الحركات والثورات الاجتماعية . وأحدث التيارات الأدبية التى تقف فى الحدود المشتركة بين الفلسفة والأدب هو مايذيعه الوجوديون من أفكار فى مسرحياتهم وقصصهم. وعلى رأس هؤلاء الكاتب الفرنسى سارتر J.p.Sartre

(١) قد نشر هذا الكتاب بالفارسية وترجمه إلى الفرنسية المستشرق الفرنسى درمستيتر J. Darmestater عام ١٨٩٤ راجع النص الفارسى منه ص ٣٦ ، ولنا إلى هذا الموضوع عودة فى بحثنا للصلات بين الأدب الإيرانى والأدب العربى .

فإن له تأثيراً كبيراً على تابعيه فى مختلف الآداب الغربية .

وقد يسوق المفكر آراءه على لسان أشخاص يخلقهم ليعبروا عنها . كما فعل بيرون Byron فى مسرحيته عن قابيل Cain بعد خروجه وخروج أبيه من الجنة ، فقد قص على لسانه ما كان يساوره من شكوك ، وما عن له من آراء فلسفية [1] .

وكما فعل جوته Goethe فى مسرحيته عن الدكتور فاوست Faust الذى ضاق بالعلم وبالحياة ذرعا حتى هم بتجرع كأس السم ، ولكن الأمل تولد فى قلبه من جديد على ميلاد الربيع وازدهار الورود واخضرار المروج [2] . وقد أثر هذان الكاتبان بيرون وجوته على الحياة الفكرية فى أوروبا . ولندع الفريد دى موسيه يعبر عن ذلك التأثير على الجيل الذى نشأ فيه فى فرنسا : « عندما اختمرت فى رءوسنا الأفكار الانجليزية والألمانية ، أصاب نفوسنا انقباض الأسى والصمت ، ثم رجفة اليأس والرعب . . . وصاح ذوو الإيمان فى وله : واأسفاً قد ولى سلطان الدين الأدبار ... وأصبحنا عزلا من الأمل والصبر . وبدا نجم المستقبل متعثراً فى الأفق لا يقوى على الخروج منه ، وتراءى من خلال السحب الكثيفة كشمس الشتاء ، فكأنما صبغ قرصه ببقايا من دم ثورة

---

(١) أنظر Lord Byron : Poetical Works, p. 626-652

(٢) P. Van Tieghem ; La Litt. Comp., p. 103

١٧٩٣ . . وكانت القلوب أضعف من أن تكافح هذا السيل الجارف من الشكوك ، بل كانت أضعف من أن تحتمل ، فذبلت كأنها أوراق ورود منثورة [١] » وكان ألفريد دى موسيه نفسه ممن تأثروا بهذه الحركة الفكرية التى أثرت فى آداب أوروبا عامة .

(ح) الأفكار الخلقية : يقصد بالأفكار الخلقيـــة تلك التى موضوعها سلوك الإنسان ، وغايتها الحكم على هذا السلوك وتوجيهه على حسب مبادىء خاصة نظرية أو عملية . ومثل هذه الأفكار لها فى الأدب حظ أوفر من الأفكار الفلسفية أو الدينية . فعلى حسبها يرسم الكتاب غاية الإنسان ومثله فى هذه الحياة ، وفيها يشرحون بواعث تفاؤلهم أو تشاؤمهم فى مستقبل الإنسانية ومسائل المجتمع . وكثيراً ما ينصرف الكتاب فى شعرهم ونثرهم إلى نشر مبادىء خلقية ذات أثر كبير على أخلاق الجيل من أبناء أمتهم ومن أبناء الشعوب الأخرى .

وقد شرح الشـــاعر والفيلسوف الإنجليزى پوب Pope (١٦٨٨ - ١٧٤٤) فى رسالته (على الإنسان) Essay on Man كثيراً من سلوك الإنسان ، حتى كانت رسالته ذات طابع فلسفى وتعليمى فى وقت معا . وكان فى رسالته متفائلا ، يؤمن

---

(١) Alfred de Musset : La Confèssion d'un Enfant du Siècle, Partie 1, Chap. 1.

بمستقبل الانسان ووصوله غايته من الكمال . وقد قلده فولتير فى فرنسا وتأثر به تأثراً كبيراً .

أما الشاعر الانجليزى يانج Young — وهو معاصر لبوب — فقد نحا منحى خالف فيه بوب فى تفاؤله ، وقد استند فى تشاؤمه إلى روح الدين المسيحى نفسه الذى يصف هذا العالم بأنه عالم الشر، وأن مستقبل الإنسانية إنما هو فى عالم آخر خير من هذا وأفضل، وقد أخذ على پوب تجديفه وبعده عن روح الدين قائلا فى ذلك عبارته : « إنما تغنى بوب بالرجل ، وأتغنى أنا بالإنسان الخالد »[1] وقد تأثر لامارتين الفرنسى بكلا الشاعرين پوب ويانج ، وإن كان تأثره بالأول أظهر وأعمق [2] .

وكثيراً ما تنتظم دراسة الأشخاص الذين يمثلون نماذج بشرية فى سلك هذه الدراسات الخلقية . لأن هؤلاء الأشخاص يحملون الطابع الخلقى الذى ساد عصراً ما أو سيطر عليه ، وهى من خلق الكتاب الذين يتأثرون فى خلقها بالآداب الأخرى أو يؤثرون

---

(١) راجع ختام الليلة الأولى من ليالى يانج :
The Complaint, or Night Thoughts on Life, Death, and Immortality

(٢) راجع P.Van Tieghem: Litt. Comp. p.105-106
p. Van Tieghem Le Préromantisme, vol. 2, p. 33

فيها . وذلك مثل الرجل المرهف الحس ، الرقيق الحاشية والسريع التأثر الذى ساد فى أوربا تبعاً لتأثير الكاتب الإنجليزى ريتشاردسون Richardson (١٦٨٩ — ١٧٦١) وتأثير الكاتب الألمانى جوته ؛ وأيضاً مثـــل رجل المجتمعات الذى يجيد القيام بعمله فى حاشية الملوك ويكون المثال لرجال البلاط . وقد خلق هذه الشخصية فى الأدب الكاتب الأسبانى جراثيان بَلْتاسار Gracian Baltasar (١٦٠١ — ١٦٥٨) .[1]

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى شخصية الفارس كرمز لكثير من الأفكار الخلقية التى تفنن فى وصفها الأدباء فى أوروبا منذ العصور الوسطى . وهو فى أدبهم رجل ذو مكانة ليس بعامى ولا غليظ الطبع ، شجاع لا يحفل بالمخاطر ، يقوم بعظم الفعال ، ويمجد الفضائل لذاتها ، وهو غير مستهتر فى علاقاته بالنساء ، فحبه أقرب ما يكون إلى الحب الأفلاطونى . ومن أقدم من رسموا نماذج من هذا الفارس الشاعران الايطاليان : دانت Dante (١٢٦٥ — ١٣٢١) وبوكاشيو Boccacio (١٣١٣ — ١٣٧٥) وكان لما كتباه تأثير على الأدب الأوروبى فى عصوره المختلفة ، حتى إنا لنجد شبها بين نموذج الفارس فى مؤلفاتهما ونموذج الفارس

(١) فى كتابه المسمى الرجل الرصين El Discreto عام ١٦٤٦

فى الأدب الأوربى فى العصر الرومانتيكى [١]. فدراسة هذه النماذج فى صورها الأدبية ، باعتبارها رمزاً لأفكار خلقيـة وتقاليد اجتماعية تعد من صميم الأدب المقارن . [٢]

ثانياً ـ دراسة المذاهب الأدبية

ورثت الآداب الأوربية منذ عصر النهضة عن الآداب القديمة نزعتها إلى تكوين مذاهب وآراء يخضع لها الإنتاج الأدبى ، فتختلف اتجاهات الكتاب فيها على حسب آراء النقاد من أصحاب تلك المذاهب فى صلة الأدب بالحياة وبالمجتمع . وتكونت تبعاً لذلك مدارس أدبية مختلفة ، أصبحت أشبه بتيارات عامة عالمية ، لا بد من دراستها لفهم ما أخرج الكتاب تحت تأثيرها من إنتاج .

وقد انتصرت فى فرنسا فى القرن الســـابع عشر فكرة الكلاسيكية بقواعدها المختلفة التى استوحتها إما من الآداب القديمة وإما من تقاليد العصر وذوق أهله المرفهين ، فى ظلال ملكية وطبقات محافظة حريصة على تقاليدها الارستقراطية . وقد أثر هذا المذهب على أدباء انجلترا وألمانيا .

وفى العصر الرومانتيكى تأثرت فرنسا بأدباء انجلترا وألمانيا

(١) راجع مقالا قيما فى نشأة أدب الفروسية ومعناه فى مادة Caballeresco فى Diccioeario de LiteraturaEspanola :

(٢) أنظر : Guyard. la litt. Comp.,p.102—103

الذين سبقوها إلى الدعوة إلى هذا المذهب والتقنين له . وقد استعادت فرنسا مكانتها كمركز عام للتأثير الأدبي في القرن التاسع عشر ، إذ نشأت فيها مذاهب أدبية جديدة أثرت بدورها على الآداب الأخرى. ومن أهم هذه المذاهب المذهب الطبعي والواقعي والمذهب الرمزي .

وقد سبق أن أعطينا فكرة عامة عن المذهب الرومانتيكي والكلاسيكي ولن نعود إليهما هنا ، إذ لا يتسع مثل هذا الكتاب للتطويل في شرحهما [١]. ونكتفي الآن بكلمة عن كل من المذهب الواقعي والطبعي والمذهب الرمزي .

نشأ المذهب الواقعي Réalisme في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فشن حربا شعواء على أصحاب المذهب الرومانتيكي ، لمغالاتهم في وصف عواطفهم وحالاتهم الخاصة ، ولجأرهم بالشكوى أمام ما يثيرون من موضوعات وأسرار يعيا بحلها العقل . وقد دعا أهل المذهب الواقعي لتأسيس الأدب على الملاحظة الدقيقة لما يحيط بالأديب من مظاهر طبعية وإنسانية ، وعلى الدراسة الوافية لها . وحتموا أن يكون الأدب موضوعيا لا يتكلم فيه الكاتب عن نفسه ، ولا يخترع أشخاصه ، بل يستقي كل معلوماته عنها من الواقع أو من الملاحظة . ولا مانع عند

---

(١) راجع هذا الكتاب ص ٩ — ٢٢ ، ٨٨ — ٨٩ .

أصحاب هذا المذهب من معالجة موضوعات تاريخية على شرط أن تقوم على الأحياء الدقيق للعصر بعاداته وملابسه، وميول أهله وأخلاقهم[١].

وبالغ فى هذا المذهب إميل زولا E. zola فدعا فى الأدب إلى المذهب الطبعى Naturalisme الذى لا يكتفى فيه بمجرد الملاحظة، بل لا بد فيه من القيام بتجارب كما فى المعامل العلمية. وقد ألف فى هذا كتابه القصة التجريبية وفيه يقول: « ينبغى أن يكون مؤلف القصة ذا ملاحظة وتجربة. فبصفته الأولى يجمع الحقائق كما لاحظها، ويضع بها نقطة البدء، ويهيء الأرض الطيبة التى يتحرك عليها أشخاصه وتجرى فيها حوادث قصته. ثم يأتى دور التجربة التى بها يحرك أشخاصه فى دائرة وقائع خاصة، ليبرهن على أن توالى الحقائق سيكون طبقاً لما أدت إليه الوقائع المدروسة[٢]. » وقد ألف زولا - تطبيقاً لمبدئه - فى واحدا وثلاثين

---

(١) من الواضح أنهم تأثروا بالموضوعية كما دعا إليها الفيلسوف أوجست كونت Auguste Comte ومن أصحاب هذا المذهب فلوبير فى بعض قصصه، وجونكور Goncourt راجع: M. Braunschvig · La Litt. Fr. Contémp. Vol:3, p. 103-108

(٢) واضح أن زولا تأثر فى مذهبه بالعالم الطبيب كلود برنار فى كتابه الطب التجريبى. راجع المرجع السابق وكذا: E. Zola : Le Roman Expérimental, Paris 1880, P. 1-20.

مجلداً — تاريخ أسرة فرنسية سماها روجون ماكار Rougon Macquart ، مع تحليل علمى لنفسيات أهلها وتأثرهم الوراثى . وقد انتشر هذا المذهب حيناً فى الآداب الغربية كلها ولقى فيها بعض الرواج لذلك الوقت .

وخلفه المذهب الرمزى Le Symbolisme الذى ثار أصحابه على مبادىء المذهب الواقعى والتجريبى ، ودعوا إلى أدب الإيحاء ، وهو ما يستعان فيه بإثارة الأفكار ، وتحريك دواعى النفس تحريكا ينبعث عن الصور والتشبيهات ، وتتولد عنه المشاعر عن طريق الإثارة والإيحاء ، لا عن طريق التسمية والتصريح . وما الرمز إلا الصلة بين الذات والأشياء ومختلف الإحساسات . فالأدب الرمزى أدب ذاتى ينفذ إلى أعماق النفس ونواحيها المستسرة ، ويصفها فى مختلف حالاتها طبعية كانت أم مرضية . وهو يتناول عالم ما وراء الطبيعة ، ولكن من ناحية ذاتية عاطفية ، على نحو ما ترمى إليه فلسفة كانت Kant[١] التى تفسح مجالا لعالم الأفكار ، وتصرح بتعذر معرفة العالم الخارجى من غير طريق صوره المنعكسة فينا . والأدب الرمزى يحفل كثيراً بالحقائق النفسية المبنية على

---

(١) راجع M. Braunschvig : La Litt. Française, Vol. 3, p. 23-42 B. Russell : History of Western Philosophy:, p. 731 - 734.

ما وراء الشعور واللاشعور . وهو يحاول أن يصف الأفكار وصفاً غير مباشر وأن يصور العواطف الغامضة ، والإحساسات المختلطة ، بل يحاول أن يترجم المستعصيات ، وأن يشرح المعضلات غير مستعين فى ذلك بالمنطق والعقل ، بل بالوسائل المختلفة للأيحاء والخيال وموسيقا الألفاظ ، وإلقاء أضواء خافتة على الموضوع لترك الشعور وحده يستجلى غامضه إذ العقل وحده قاصر عن اكتناه الحقائق .

وولع أهل هذا المذهب بالنواحى التصوفية والمستسرة الجوانب فيما يخص العقائد وعالم الغيب مستعينين فى وصولهم إلى غايتهم باختيار ألفاظ موسيقية ، وبالمطابقة بين الألوان والأصوات ، وباختيار صور أدبية من شأنها أن تطلق للأحلام العنان ، وأن ترمز إلى أشياء غريبة فى ظاهرها عن الموضوع ، ولكنها فى الواقع ذات صلة خفية به ، فيبقى الموضوع متأرجحاً بين الإبانة والخفاء فى وسط فلسفى وموسيقى ، ويلقى الكاتب عليه أضواء تنفذ إلى بعض جوانبه ولكنها لاتستوعبها .

ويعتبر بودلير Baudelaire أول من دعا إلى الرمزية فى الأدب فى مقطوعته الشعرية التى عنوانها تراسل Corres Pondances ، ولكن المذهب ما لبث أن انتشر فى كل آداب أوربا ، ولقى فيها رواجا كبيراً ، وكان له فيها تأثير عميق

وبخاصة فى ميدان الشعر (١) .

وليس فى الأدب العربى نظائر لهذه المذاهب أثر بها على آداب أخرى أو تأثر فيها بتلك الآداب . غير أنه يمكن أن نلحق بهذه المذاهب بعض التقاليد الأدبية التى اتبعت فى الأدب العربى وأثرت بدورها على الأدب الفارسى . ومن هذه التقاليد عادة البكاء على الأطلال التى سنها الشعراء منذ العصر الجـــاهلى ، وحمل عليها أبو نواس حملته التى لم تنجح فى القضاء عليها . والذى يهمنا أن نسجل أنها قلدت من كتاب الفرس وشعرائهم على نحو ما نعرفه

---

(١) من قصيدة بودلير السابقة قوله : « الطبيعة معبد عمده حيـــة تنطق أحياناً ولـكنها لا تفصح . ويجوس المرء فيها خلال غابات من رموز ترمقه بنظراتها الأليفة ... وتتجاوب الروائح والألوان والأصوات ، كأنها أصداء طويلة آتية من البعيد ، لتؤلف وحدة عميقة المعنى مظلمة الأرجاء ، مترامية الأطراف كأنها الظلام أو كأنها الضوء » .

راجع : Les Fleures du Mal, Texte Iv — Louis Cazamian Symbolisme et Poésie, l'exemple anglais, Paris, 1947, p. 1—28 Diccionario de Literatura Espanola, articulo simbolismo. Martino : Parnasse et Symbolisme, p. 138-143

ويضيق بنا المجال عن شرح هذه المذاهب ، ولنا إليها عودة فى بحوث على حدة .

عند العرب .. ولنذكر هنا على سبيل المثال الشاعر منوجهرى فى بعض قصائده (١) .

ودراسة المذاهب الأدبية تكشف عن الناحية الفلسفية فى الأدب ، وتمهد السبيل لنقد أدبى كامل النواحى ، طيب الثمرات ، وتوضح معالم التبادل الفكرى والفنى بين الشعوب .

ثالثاً : دراسة المشاعر ، والإحساسات ، والعواطف :

على الرغم من اختلاف الإحساسات ، وتنوع المشاعر تنوعا يكاد يجعلها فردية لا يمكن انتقالها ، فضلا عن التأثر بها ، وعلى الرغم من أن المشاعر تخص منطقة الوجدان التى تغاير منطقة التفكير ، الأمر الذى يصعب معه تناقل التيارات الشعورية بين الأدباء ، وهى ميدان البحث فى الأدب المقارن ؛ بالرغم من كل ذلك هناك مناطق مشتركة للإحساس تفرضها التقاليد الاجتماعية والخلقية ، وتساعد فى التقارب بينها الملابسات الطبعية والإنسانية . ففى كل أمة ميول هى وليدة البيئة بظروفها المختلفة ، والأدباء هم اللسان المعبر عن تلك

---

(١) مثلا القصيدة الخامسه من ديوانه طبعة باريس ١٨٨٦ . وهناك مثال آخر لهذا البكاء على الأطلال على طريقة العرب فى المقامات الفارسية تأليف القاضى حميد الدين البلخى المقامة العشرين . ويضيق نطاق هذا الكتاب عن التفصيل فى هذا ، وسنعالجه فى بحث آخر .

الميول ، يأخذونها ويصبغونها بصبغتهم الأدبية لتخرج مرآة يرى فيها كل ذى إحساس صورة مما يجيش بصدره من عواطف . وقد يوفق أدباء أمة فى جودة التعبير عن ميول وعواطف تتشابه وتلك التى خلقتها ظروف مماثلة فى أمة أخرى ، فتتولد عن ذلك تيارات شعورية منطقتها الوجدان ولسانها الأدب . فقد خلق شعراء العرب فى أسبانيا طريقة التغنى بالحب والنساء فى الطرقات وأمام منازل الحبيب ، وسرى ذلك منهم إلى شعراء التروبادور من الفرنسيين Troubadours ، وانتقل ذلك النوع إلى إيطاليا على يد بترارك Petrarque الذى أثر بدوره على أدباء أوربا عامة . وكان طابع ذلك الحب وسطا بين حب الفروسية والحب العذرى ، وفيه نرى الشاعر فى محراب الجمال يتغنى بمعبودته على طهر وتقوى ، ويشيد بخلقها فى أغنيات جميلة (١) .

« وأحيانا يحيا ذلك الإحساس العام فى صورة بطل لقصة حب تجيش بالعاطفة ، ويبادل ذلك البطل حبيبته الطاهرة الخلق ، المرهفة الحس ، قبلات رطبة بالدموع ، وسط مروج يخيم عليها الحزن أو أمام المقابر ، يرفعان بصرهما نحو النجوم . وفى هذا ينتظم كثير من المقتدين بشيوخهم ريتشاردسون Richardson

---

(١) سندرس هذا الموضوع فى كتاب آخر . راجع : P. Van Tieghem : La Litt. Comp., p. 112 .

الإنجليزى ، وروسو الفرنسى ، وجوته الألمانى . وأحياناً تمزق آلام العصر وعواصف العواطف قلب المحب الواله الذى رمى به القدر على أقدام حبيبة خيرة أو شريرة ، يلعنها حيناً ، ويباركها حيناً ، فى عبارات ملتهبة . وفى هذا سار جمع خلف بيرون Byron الإنجليزى وموسيه Musset الفرنسى ، واسپرونثيدا Espronceda الأسبانى [١] » .

ومن هذه الاتجاهات دراسة الإحساسات التى عنى بها الأدب العالمى منذ قليل من الزمن مثل الرحمة بالمجرمين ، والتعطف على من ذل بعد عز ، وتأسى أدباء أوربا فى ذلك بالكاتبين الروسيين تولستوى Tolstoi ودستيوفسكى Dostoievski [٢] .

* * *

قد رأينا فى هذا الباب كيف تدرس التيارات الفكرية والشعورية فى الآداب المختلفة . وهى دراسات دقيقة متشابكة واسعة ، تحتاج إلى الإلمام بحقائق كثيرة ، ومعلومات واسعة ، ثم إلى ذكاء نادر . ويحسن أن تدرس فى أكثر من أدبين ليستطاع الوصول منها إلى نتائج هامة . وقلما يوفق فيها باحث كما وفق الباحث الفرنسى پول هازار Paul Hazard الذى درس التيارات

---

(١) المرجع السابق ص ١١٣–١١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٥ .

الفكرية فى أوربا فى القرن الثامن عشر[1] . ويضيق بنا المقام هنا عن تلخيص دراساته . ولكن مما لاشك فيه أن مثل هذه البحوث أبعد ما تكون من متناول المبتدئين، بل هيَ مجال العلماء المتبحرين . والأدب المقارن وحده هو صاحب الفضل فى الدعوة إلى الخوض فى هذه الميادين .

(١) P. Hazard : La Pensé Européenne au 8e. s.

الفصل السابع

تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب الأخرى

هذا أحدث ميدان من ميادين البحث فى الأدب المقارن ، لم تنفتح أبوابه أمام الباحثين إلا منذ قرابة ربع قرن من الزمان . ولكنه ـ مع حداثة نشأته ـ غنى بالبحوث التى تبشر بأنه سيكون أوسع ميادين الأدب المقارن وأكثرها روادا فى المستقبل . ذلك لأنه أيسرها منهجاً ، وأوضحها معالم، وأكثرها ثمرات ، وآكدها فى الوصول إلى غاية الباحث . فلا غرابة بعد هذا إذا كثرت فيه بحوث المبتدئين أول عهدهم بالبحوث فى الأدب المقارن [1] .

ومعلوم أن الأدب سجل مشاعر الأمة وآرائها . ومن هذه الآراء مايتعلق بصلات هذه الأمة بغيرها ، وبالصور التى تكونها لنفسها عما سواها من الأمم بناء على هذه الصلات . ويهتم الباحث فى هذا الباب بإبراز هذه الصور كاملة كما تنعكس فى مرآة الأدب القومى لأمة من الأمم . وقد سبق أن بينا أن الباحث قد يقصد إلى شرح صورة شعب ما كما هى فى مؤلفات كاتب واحد من كتاب أدب ما ، ومثال ذلك صورة مصر كما يراها جيرار دى نرفال Gerard de Nerval أو كما صورها فكتور هوجو V. Hugo

(١) راجع هذا الكتاب ص ٦٨ — ٦٩

من الكتاب الفرنسيين . وقد يقصد إلى بيان نفس الصورة ولكن فى أدب بأكمله ، ومثال ذلك صورة مصر فى الأدب الفرنسى أو فى الأدب الانجليزى .

ويبدأ الباحث ببيان الطريقة التى تكونت بها أفكار أمة ما فى أدبها عن الشعب الذى يقصد إلى وصف صورته فى ذلك الأدب. وللمهاجرين والرحالة من الكتاب فضـــل كبير فى تكوين هذه الأفكار . فهم الذين ينقلون إلى أممهم ويصفون فى أدبهم صور ما شاهدوا فى البلاد الأخرى . وهم الذين يؤولون هذه المشاهد ويشرحونها بما يتفق وميولهم ، وبما يتمشى مع غايتهم ، وكما تمليه عليهم أحوالهم النفسية والاجتماعية التى سافروا أو هاجروا فيها .

فقد هاجرت مدام دى ستال إلى ألمانيا ضائقة ذرعا بما تعانيه فرنسا من طغيان نابليون ، ومن تحكمه فى حرية الأفكار فيها . فكانت تنشد فى هجرتها بلدا تتمتع فيه بتلك الحرية التى حرمتها فى فرنسا . فجاءت آراؤها فى كتابتها مشوبة بنوع من المثالية التى تحلم بها أضفتها هى على كل ما رأت وما شرحت . وكان كتابها عن ألمانيا « صلوات طريد ينشد ملاذا فى عالم مثالى » [١] وقد أثرت بإدراكها هذا على جيل من الكتاب والرحالة الفرنسيين ، فظلت

---

(١) راجع : J.Mari-Carré :les Ecrivains Français et le Mirage Allemand, p.17

ألمانيا فى إنتاجهم بلد الحرية الفنية فى المسرح والشعر ، كما ظلت بلد الحياة المرحة الطليقة التى يتمتع أهلها بملذات الحياة فى كنف حرية رحبة الآفاق.[١] فبالرغم من أن الصورة التى رسمتها مدام دى ستال لألمانيا كانت غير صادقة ومبالغا فيها ، فقد ظلت ذات أثر بالغ على معاصريها ومن جاء بعدهم من أدباء النصف الأول من القرن التاسع عشر [٢] .

وعلى الباحث فى هذا الباب أن يتعرض لتحديد ما رآه الرحالة من البلاد الأخرى . فلم تر مدام دى ستال مثلا من ألمانيا غير الوسط الأدبى الأرستقراطى فى مقاطعة ساكس Saxe ، وغير الوسط السياسى وبعض الفلاسفة فى البلاط فى برلين ، وقد تحددت بمخالطتها لهذين الوسطين ، نظراتها الفاصلة فى تصويرها لألمانيا[٣] وكذلك لم ير شوقى من أسبانيا إلا بعض المدن التى زارها زيارة خاطفة ، ولم يهتم إلا بالحديث عن أسبانيا المسلمة وآثارها ، وقد عاش بثقافته وميوله فى الماضى الذى تحدث عنه ، دون أن يعنى بتصوير البلاد وحاضر أهلها . وعلى الباحث أن يرينا بعد ذلك كيف رأى هؤلاء الرحالة البلد الذى رحلوا إليه ، وهنا يتعرض

(١) المرجع السابق ص ٣١ — ٣٧

(٢) المرجع السابق الفصل الأول والثانى والثالث .

(٣) المرجع السابق ص ١٤ — ١٥

لشرح آرائهم فيه وتحليلها . ولكن دراسته من هذه الناحية ليست إلا وسيلة لتقويم الصورة الأدبية للبلد التى ارتسمت بفضل هؤلاء الرحالة فى أدبهم القومى . ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة صدى آراء الرحالة من الكتاب لدى أبناء أمتهم ممن تحدثوا عن نفس البلد ، أو أرادوا وصفه ، وتقديم نماذج بشرية لأهله ؛ أيا كان الجنس الأدبى الذى تحدثوا فيه عن ذلك من مسرحية أو قصة أو رسائل .. وترتسم من كل ذلك أجزاء الصورة الأدبية للبلاد والشعوب الأجنبية . وقد تكون هذه الصورة مستوفية الأجزاء ، فيما إذا تحدث الكاتب عن المظاهر المختلفة للبلد الآخر ، من مناظر طبيعية ، وعادات وتقاليد ، ومن طبائع ونظم ... ويغلب هذا على أدب الكتاب والرحالة من القرن التاسع عشر . وقد تكون الصورة التى رسمها كتاب بلد ما للبلد الآخر ناقصة مبتورة كما هو الحال عند كتاب العرب ورحالتها الذين لم يروا من أسبانيا إلا جانبها الإسلامى ، وظلوا يبكون فيها الفردوس المفقود الذى نفى عنه أجدادهم[١] . ولكن الصور الأدبية التى تتكون على هذا النحو ، على أى حال من أحوالها ، قلما تكون صادقة أمينة فى تعبيرها

---

(١) كما هو الحال فى شعر شوقى مثلا ، راجع : H. Pérès L'Espagne Vue Par Les Voyageurs Musulmans, P. 173-180, et Passim .

عن طبيعة البلد ونفسية ساكنيه ، بل كثيراً ما تختلط الحقائق فيها بمزاعم لا أصل لها ، أو بتأويلات مبالغ فيها ، فتخرج بذلك عن حدود الواقع ، وتصير فى جملتها من خلق الآداب المختلفة .

ومن الواضح أن العوامل النفسية والاجتماعية تتضافر لخلق العناصر الهامة والأفكار العامة التى تلعب دورها فى تكوين عقيدة شعب فى شعب آخر ، فتصبغها بصبغتها حين تتكون ، ثم تساعد على رواجها لدى ذلك الشعب . وقد تتغير تبعاً لتلك العوامل الصور الأدبية للشعوب إلى ما هو خير من الصور السابقة أو إلى ما هو شر منها .

وقد انعكست للشرق الإسلامى صور مختلفة فى الأدب الفرنسى على مر العصور . ففى العصور الوسطى — التى سادت فيها النزعات الدينية ، وتحكم التعصب الأعمى — ظهر المسلمون فى الأدب الفرنسى ملاحمه ومسرحياته بصورة وثنيين لاخلاق لهم، سرعان ما ينهزمون أمام أبطال المسيحية ، فيرتدون عن دينهم [1] . وفى عصر النهضة انصرف الأدب الفرنسى عن الشرق الإسلامى وتصوير أهله ، وولى وجهه شطر الآداب القديمه اليونانية واللاتينية

---

(١) نجد هذه الصورة فى مثل أغنية رولان La Chanson de Roland، ومسرحية القديس نيقولا Le Jeu de Saint Nicolas

يستوحيها ويقلدها . (١) ولكن الاهتمام بالشرق مالبث أن احتل مكانه فى الأدب الفرنسى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فظهرت له فيهما صورة أخرى مخالفة لتلك التى سادت فى العصور الوسطى . فالشرقى فى أدب هذين القرنين « جميل الطلعة ، طلق المحيا ، خصب الخيال ، لبيب فيه طموح يشوبه بعض الغرور . . . وهو طيب الشمائل ، مهذب الخلق ، محمود العشرة ، كريم فى ضيافته ، ثم إنه متسامح ، لا تعصب عنده ، يحترم حرية غيره فى الاعتقاد مهما اختلف معه فى العقيدة .. وهو محب للاستمتاع ، ميال إلى الكسل يؤمن بكثير من الخرافات ، ويخضع خانعا لنير طغاة مستبدين من حكامه » (٢) .

وكان لما لقى الرحالة الفرنسيون من كرم الضيافة وحسن الاستقبال أثناء رحلاتهم فى الشرق أثر كبير فى إضفاء كثير من الصفات الحميدة على رجال الشرق من المسلمين . ولكنهم أطالوا فى وصف تعسف الحكام وسوء استعمالهم لسلطانهم ، وفى وصف الطاعة المطلقة من الشعوب الشرقية الذليلة التى لا يرتفع صوتها باحتجاج . وقد اتخذ بعض كتابهم ذلك وسيلة لمهاجمة ملوكهم تحت

---

(١) راجع : P. Martino: l'Orient dans la litt. Française,p.14—16

(٢) المرجع السابق ص ٦١ — ٦٢

ستار مستعار من الشرق ونظم الحكم فيه . كما كان من أولئك الكتاب من هاجموا التعصب الديني ، وشنوا حرباً شعواء على العقائد السائدة متخذين من الشرق أمثلتهم فى التسامح وحرية الاعتقاد (١) . وقد لذ للكتاب فى ذلك الوقت أن يطلقوا لخيالهم العنان فى وصف المرأة فى الشرق وامتهانها وأنها أداة متاع لا يرعى لها حق ولا يقام لها وزن . وطالما تفننوا فى وصف قصور الأمراء الزاخرة بجموع من النساء . وكثيراً ما كان موضع استملاحهم ومثار فكاهتهم « وصف تلك القطعان البيض من النساء يرعاهن قطعان سود من خصيان العبيد ، لهم عليهم سلطان مطلق فى الحراسة وهم مع ذلك محقورون من ربات الخدور على حين خضوعهن لسلطانهم » . (٢)

وفى القرن التاسع عشر كثرت الرحلات الأدبية إلى بلاد الشرق ، واتسع أفق الرحالة فى وصفهم لشعوب تلك البلاد وعادات أهلها وتقاليدهم ، واهتموا كذلك بوصفهم لمناظر البلاد ؛ وما بها من آثار ، وما يسودها من نظم . ودخلت مصر فى ذلك العصر فى الأدب الفرنسى . فعنى الكتاب من الفرنسيين برسم صورة صادقة لها فى أدبهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٦٤ — ٦٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٩ .

وامتاز رحالة القرن التاسع عشر من الأدباء بالتحرى والإستقصاء فى كتاباتهم ، وبالدقة فى وصفهم . وكان لما كتبوا عن البلاد الأخرى قيمة كبيرة تاريخية وعلمية (١) . ولكن الصورة العامة التى بقيت فى الأدب الفرنسى عن مصر وعن شعوب الشرق عامة ظلت مشوبة بكثير من مخلفات ما كتب الأدباء عن الشرق فى العصور السابقة . فإذا نظرنا مثلا إلى صورة الشرق فى الإنتاج الأدبى لفكتور هوجو ، وجدناها مزيجا من حقائق ومن مزاعم رسخت أصولها عند الفرنسيين وفى أدبهم (٢) . ولكنها على أى حال أكمل من نظيرتها فى العصور السابقة . (٣)

* * *

---

(١) قد درس أستاذنا جون ماري كاريه الرحالة والكتاب الفرنسيين فى مصر فى جزأين .

J M.Carré: Les Voyageurs et Ecrivains Français en Egypte.

(٢) راجع : O. Chakhachiri. Proche et Moyen Orient dsns l'oevre de Victor Hugo,paris,1950

(٣) لا يتسع المقام هنا للتفصيل فى شرح هذه الصورة ، وما أردنا إلا عرض مظاهر مختلفة لتطور الصور الأدبية للشعوب فى مختلف العصور لاختلاف الأحوال الاجتماعية . وعلى من يريد التفصيل أن يرجع إلى ما ذكرناه من مراجع .

وعلى الرغم من أن نقطة البدء فى هذا الباب لا تمت بصلة كبيرة إلى الأدب ، إذ أن شرح صورة بلد ما فى ذاتها لا تفيد التاريخ الأدبى، ولا تكشف عن الصلات العقلية بين الكتاب ، على الرغم من ذلك فإن القصد هنا ـ كما يتضح من شرحنا السابق ـ ليس هو بيان هذه الصورة الأدبية فى ذاتها ، ولكن شرح الأفكار العامة التى تضافرت على تكوين هذه الصورة فى أدب ما . وهذا يستلزم بيان الطريقة التى تكونت بها ، ويستلزم كذلك شرح تأثير البلاد الأجنبية على الكتاب بمناظرها وعاداتها وآثارها ، ثم بثقافتها المتعددة الألوان . فحين عرّفت مدام دى ستال الفرنسيين بألمانيا ، عرفتها لهم بأنها موطن جوته Goethe وشيلر Sehiller وشيلجل sehlegel . . . فكان لهؤلاء الكتاب على أثر ذلك شهرة واسعة لدى كتاب فرنسا وشعبها . وبهذا يؤدى البحث فى هذا الباب إلى الكشف عن كثير من المصادر الأدبية بالمعنى الواسع لهذه المصادر كما سبق أن شرحناها ، [1] ويؤدى كذلك إلى بيان الطرق التى مهدت للتأثير والتأثر الأدبيين ؛ هذا إلى الخدمات التى يؤديها لتاريخ الأدب ببيان تطور الأفكار العامة عن البلاد الأخرى على حسب عصور الأدب المختلفة ، مع بيان العوامل التى ساعدت على هذا التطور .

---

(١) راجع هذا الكتاب ص١٥٢ — ١٦٠

ولا بد للباحث فى هذا الباب ، مع شرحه للصور التى كونها شعب ما فى أدبه عن بلد أو بلاد أخرى ، أن ينقد هذه الصور ، ويبين ما فيها من صواب وخطأ ، ويشرح أسباب الخطأ فيها ، ويدعو إلى وضع البلد أو الشعب موضعهما الصحيح من أفكار الأمة وأدبها.

ولا يخفى أن للصور الأدبية للشعوب كما تنعكس فى مرآة آدابها تأثيراً عميقاً فى علاقاتها بعضها ببعض ، أيا كان نوع تلك العلاقات ولها كذلك تأثير على عقول قادة الأمة من الساسه والمفكرين فى تكوين رأى عام قد ينتج عنه اتجاه خاص فى علاقاتها مع غيرها . وكل هذا من نواحى النشاط الأدبى فى الميادين الدولية ، ويهتم الأدب المقارن بالكشف عن هذه النواحى من الوجهة التاريخية ، وبيان مظاهرها المختلفة على مر الأجيال. ويمهد الأدب المقارن بهذا لكل أمة أن تعرف مكانتها لدى غيرها من الأمم ، وأن ترى صورتها فى مرآة غيرها من آداب الشعوب ، ويتاح بذلك لها أن تعرف نفسها حق المعرفة ، أو أن تحاول تصحيح وضعها والدفاع عن نفسها . وقد تتهيأ بكل ذلك الفرصة للتفاهم الحق والتعاون الصادق بين الشعوب .

خاتمة

الأدب المقارن والأدب العام

وهكذا تم ميلاد هذا العلم بعد أن مَهَّد له فى أوربا تمهيداً طويلا مختلف الباحثين فى النقد الأدبى وفى تاريخ الأدب. ولم يكن ليخرج إلى عالم الوجود لو لم تتطور البحوث فى هذين الفرعين من فروع علوم الأدب . فقد كان هم شراح الأدب ونقاده فى أوربا قبل القرن التاسع عشر هو عرض النصوص وتبيان صورها البلاغية ووجوه صياغتها اللفظية ، استطرافاً لها ورغبة فى النسج على منوالها ، ولاستخلاص دروس عملية وقواعد عامة منها ، لكى يحتذيها الأدباء ومن ينهج نهجهم. وتلك وجهة عملية فنية أبعد ماتكون عن النظرة العملية التاريخية . كما كان شغل مؤرخى الأدب هو عرض حياة المؤلف دون أن يعنوا بربطها بإنتاجه ، وإن لم يفتهم أحيانا ذكر نماذج من مؤلفاته مع شرح لبعض ألفاظها ومعانيها . وقد بينا كيف تطورت النظرة فى هذين العلمين : تاريخ الأدب ونقده فى القرن التاسع عشر كنتيجة للحركة الرومانتيكية وللنهضة العلمية . وكان أساس هذا التطور اعتبار الحقائق التاريخية أساسا لشرح الإنتاج الأدبى ، وكان مظهره فى التحليل الدقيق الصادق للنصوص الأدبية وحالة مؤلفيها وثقافتهم

ومنزلتهم فى مجتمعهم وفى شعوبهم ، ثم فى الدراسات التركيبية المبنية على هذا التحليل الدقيق . فلم يعد هناك مجال لإلقاء القول على عواهنه فى القضايا العامة وفى الحقائق الأدبية فى تعميم سريع لا تعمق فيه ؛ بل أصبح التخصص والاستيعاب أساساً لكل بحث مثمر .

وصار لزاماً على كل باحث تحديد ميدان بحثه فى مسألة واحدة ، أو فى مؤلف أو فى كتاب أو فى فكرة ، لكى يتاح له أن يتعمق فى بحثه ، ويحلل النصوص الخاصة به ويستقرىء الحقائق التى مهدت للإنتاج الأدبى ، ويضع ذلك الإنتاج موضعه من تاريخ أدب الأمة التى نشأ فيها ، ومن حياة مؤلفه ؛ مع ما يتبع هذا التحليل وذلك الاستقراء من استنتاج للحقائق العلمية التى لا يشوبها تخمين ولا سطحية فيها . وهنا وجد نقاد الأدب ومؤرخوه أنفسهم أمام مسائل لا بد من التعرض لها لكى يكمل استقصاؤهم ، ويستوفى تعمقهم فيما هم بصدده من بحوث . ويتطلب بحث هذه المسائل الخروج من نطاق الأدب القومى إلى الآداب الأخرى لبيان علاقاتها المختلفة بالكاتب الذى يدرسون ، أو بالموضوع الذى يعالجون ، أو بالتيار الفكرى لشرح منابعه ، أو بالمذهب الأدبى الذى كان مصدره فى غير أمتهم ولكن كثر رواده منها . . . . وهنا شعر الباحثون بالحاجة الملحة إلى فرع جديد من فروع البحث فى تاريخ الأدب يكون ميدانه هذه العلاقات الأدبية الدولية المعقدة

المناحي والمختلفة الأشكال والتي تربط الأدب القومى بالآداب العالمية الأخرى . فكانت نشأة الأدب المقارن على نحو ما فصلنا بفروعه الكثيرة وميادينه المتعددة . ولكن هذا العلم لم يزل فتيا لم يستكمل بعد كل مراحل نموه . ولم يكد يتجاوز عمره نصف قرن ، بل إن بعض ميادينه لم يبدأ البحث فيها إلا منذ قرابة خمسة وعشرين عاماً فحسب. ومع مزيد العناية به فى أكثر جامعات أوربا وأمريكا لا يزال هناك تفاوت بينها فى اهتمامها ببعض فروعه دون البعض الآخر . وقد أتيحت لى الفرصة فى ثنايا هذا البحث لأنبه إلى بعض مظاهر هذا التفاوت . فقد كان الألمان فى فترة ما بين ١٨٨٠ إلى ١٩١٠ أكثر أمم أوربا اهتماماً بالبحث فى الموضوعات ومصادر الكتاب ، ويقل اهتمام الفرنسيين فى الوقت الحاضر بدراسة الأجناس الأدبية ، وهم يولون عناية خاصة دراسة تأثير الكتاب فى أمة ما على آداب الأمم الأخرى . ومن الاتجاهات الحديثة فى الأدب المقارن لدى الفرنسيين دراسة صور البلاد والشعوب كما تتراءى فى مرآة الآداب المختلفة ، كما سبق أن شرحنا ذلك فى الفصل الأخير من هذا الكتاب .

وبالرغم من هذا الاختلاف فى دراسة الأدب المقارن ، لا يزال هذا العلم محل عناية من كبار الباحثين فى الآداب الأوربية ، الذين يعنون بالكشف على صلات أدبهم بما سواه من الآداب ،

وبتفصيل المظاهر المختلفة لهذه الصلات . وبذا كان لكل ميدان من ميادين البحث فى الأدب المقارن فرسان فى هذه الآداب ، جالوا فيه جولات عادت بطيب الثمرات على تاريخ أدبهم القومى وبيان مكانته من الآداب العالمية . ولكن لا زالت الميادين فى جملتها متفاوتة فيما بينها ، فبعضها أكثر رواداً وأعظم رواجا من البعض الآخر ، وبعضها كاد ينتهى الباحثون منه فى بعض الآداب بينما البعض الآخر فى مرحلة البدء فى الدراسة فيه .

ولا يساور علماء الأدب المقارن — على اختلاف مناحيهم فى بحوثهم — أدنى شك فى خطر هذه البحوث وبعد أثرها . وهم على إيمان وثيق بما أفادهم التاريخ من أن كل أدب لايستطيع أن يعيش بمعزل عما سواه من الآداب دون أن يصيبه الوهن والذبول ، ومن أن أجمل نواحى الأدب القومى قد تعتمد فى مصدرها على لقاح أجنبى يساعد على ازدهار تلك النواحى فى الأدب القومى ، إما بذاته وإما بما يثير من اتجاهات قد يكون بعضها حربا ومقاومة لذلك الغازى الدخيل . هذا إلى أن من فروع الأدب المقارن ما يساعد على فهم الأمة لنفسها برؤيتها صورتها فى آداب غيرها ، وتلك دروس ذات عظات بالغات فى تربية الشعب وتبوئه مكانه بين الشعوب .

وقد توجت جهود الباحثين فى هذا العلم بتكوين الجمعية الدولية

لتاريخ الآداب الحديثة : La Commission Internationale d' Histoire Litteraire Moderne في أغسطس عام ١٩٢٨ وغايتها « تهيئة اتصال دائم بين العلماء ، ومعاونة الباحثين ومساعدتهم على الاجتماعات ، وتسهيل الأبحاث وتهيئة وسائلها الكاملة ، والنهوض بالدراسات التاريخية الأدبية بكل وسائل النهوض »[1] ، وقد رأس هذه الجمعية منذ تكوينها بالدنسبرجيه F.Baldensperger وكان سكرتيرها العام المرحوم فان تيجم P.Van Tieghem وكلاهما من علماء الأدب المقارن الفرنسيين والمبرزين في بحوثه . وقد عقدت الجمعية خمسة مؤتمرات دولية أولها في بودابست عام ١٩٣١ ، وثانيها في أمستردام عام ١٩٣٥ ، وثالثها في ليون عام ١٩٣٩ ، ورابعها في باريس عام ١٩٤٨ والأخير في فلورنسا عام ١٩٥١ . وكانت بحوثها قصرا على التاريخ الدولي للآداب الأوربية وهي بحوث من صميم الأدب المقارن . وقد اشتركت مصر في بعض هذه المؤتمرات ، ولكنها لا زالت متخلفة عن الركب فيما تقوم به من بحوث مقارنة خاصة بأدبها ؛ والأمل أن تتلافى هذا النقص في المستقبل القريب أو البعيد . وقد أصبحت الجمعية السابقة في رعاية الهيئة الدولية للتعاون الثقافي والاجتماعي Unesco التابعة

---

(١) راجع : Actes du Quatrième Congrès International litteraire et de littérature Comparée, Paris,1948,p.9

لهيئة الأمم المتحدة [١] . وذلك لأهمية ما تقوم به تلك الجمعية من بحوث لها أثرها فى تقريب الثقافات وشرح الاتجاهات الإنسانية للآداب ، وهو مقصد هام من مقاصد تلك الهيئة الدولية .

ولكن الأدب المقارن على عظم ما بذل فيه من جهود ، وعلى تفرع ميادين البحث فيه ، بقى قصرا على بحث الصلات بين بعض الآداب فى علاقاتها بعضها ببعض تأثيرا وتأثرا . وأكثر موضوعات الأدب المقارن محدودة بطبيعتها ، فكثيراً ما يُقصَدُ فيها إلى دراسة كاتب واحد ، أو مؤلف من مؤلفاته ، أو مسألة من المسائل أو فكرة من الأفكار . وقلما يتجاوز الباحث فى ذلك حدود أدبين أو ثلاثة . هذا إلى أن غاية الباحث فى الأدب المقارن هى إلقاء ضوء على بعض نواحى البحث فى الأدب القومى ، حين يتجاوز ذلك الأدب للبحث عن مصدر كاتب أو عن أصل فكرة أو عن تأثير مؤلف ، أو عن مناطق نفوذ أدب بأكمله فى أدب آخر . . وفى كل هذا تظل النتائج التى يصل إليها الأدب المقارن تابعة فى جملتها لدراسة الأدب القومى . وتبقى بذلك تلك النتائج ـ على خطير أهميتها وعظيم شأنها ـ دون أطماع بعض كبار الباحثين فى الأدب وتاريخه .

يرى هؤلاء العلماء أن على الباحثين فى التاريخ الأدبى أن

---

(١) المرجع السابق ص ١٢

يتجاوز أفقهم حدود الأدب المقارن إلى ما هو أعم وأشمل من خدمة تاريخ أدبي بعينه . فعليهم أن يتطلعوا إلى دراسة الحقائق المشتركة فى الآداب الدولية فى جملتها ، وأن يعنوا بكتابة تاريخ تلك الحقائق ، عمادهم فى ذلك تاريخ الآذاب القوميه ونصوصها ، وأبحاث الأدب المقارن التى سبق أن قام بها علماء لاستجلاء نواح خاصة بالآداب القومية . وهذا هو ما يعنونه بالتاريخ العام للآداب أو الأدب العام . فميدان الأدب العام إذن هو « الحقائق الأدبية والأفكار والمشاعر العامة التى لا تفهم فى أدب واحد ، بدون دراستها لذاتها فى آداب كثيرة ، فى أصلها ونموها وتطورها »[1] ومن طبيعة هذه الدراسات ألا تأبه بالحدود القومية للآداب ، وألا تقتصر على أدبين أو ثلاث، بل تتناول فى بحوثها لكل حركة أدبية كل الآداب التى تطورت فيها تلك الحركة ، ضاربة صفحا عن كل ماهو موضعى أو خاص بأدب قومى بعينه ، غير ملقية بالا إلا إلى ماله صدى فى الآداب الأجنبية ، وما له تأثير فى توجيه التيارات الفكرية خارج حدود الأدب القومى . ومن هنا يتضح أن هذه الدراسات ـ مهما بلغت أهميتها ـ لا يمكن أن يستعاض بها عن تاريخ الأدب القومى الذى قد يحفل بحقائق خاصة ، لما لها من أثر فى توجيه الإنتاج فى داخل نطاق ذلك الأدب ، كما أنها لا تعتمد على تلخيص

(١) راجع : Revue de synthèse,1920,p.16

دراسات الأدب القومى واختصارها ، بل إن لها اتجاها خاصاً بها لا تحده الفواصل اللغوية والجنسية ، ولا ينظر فيه إلا إلى شرح الحقائق والعوامل التى تتحكم فى تطور الأفكار والحركات فى الآداب باعتبارها نتاجاً إنسانيا عاماً . وعلى هذا فغاية الأدب العام هى « معرفة الأحوال المشتركة الفكرية والفنية ، وتحديدها ، ودراستها فى مختلف أشكالها وصورها فى أنواع الآداب التى يمكن مقارنتها بعضها ببعض . فيكون هناك تاريخ أدب عام للأمم القديمة اليونانية والرومانية ، وآخر للشرق الاسلامى ، وثالث للآداب الغربية الحديثة . رغبة فى تحديد اللحظات الفاصلة ، وتصوير النبضات الحيوية الفكرية والخلقية والفنية التى يترجم عنها لسان الأدب »[1]

ويضرب الدعاة إلى الأدب العام أمثلة عليه بدراسة الحركات الفكرية والمذاهب الأدبية فى مختلف الآداب التى مرت بها أو أثرت فيها ؛ وكذا بدراسة الصور الفنية التى تحكمت فى جنس أدبى كتأثير شعراء التروبادور على نوع الشعر المسمى سونيت Sonnet فى إيطاليا فى عصر النهضة ثم سريانه منها إلى آداب أوربا جميعاً ، ومثل دراسة تأثير شكسبير على كل الآداب التى تعرضت لتأثيره .

ويجب أن يعنى فى دراسة الأدب العام بشرح التيارات المتماثلة فى البلاد المختلفة وبيان أسبابها . فقد تكون تلك التيارات ناتجة

(١) المرجع السابق ص ١٧ .

عن حالة اجتماعية متماثلة أدت إلى ظهورها فى تلك البلاد فى وقت ما دون أن يكون هناك تأثير خاص لأدب بعينه ، وقد تكون وليدة صلات فكرية بين الآداب . وفى هذا يتجاوز الأدب العام حدود الأدب المقارن الذى لا يتعدى مداه دراسة صلات الآداب والعلاقات الفكرية بين أهلها على مر الأجيال .

ويأمل الداعون إلى دراسة الأدب العام أن تثمر الجهود فيه بحيث يخرج إلى حيز الوجود تاريخ عام للأدب العالمى تشرح فيه الحقائق العامة ،ويكشف فيه عن التيارات العالمية ، ويكون مرجعا شافياً لمن يريدون استقصاء الحقائق والتعرف على أصول الأجناس الأدبية وتطورها . وتقسم كتب الأدب العام على حسب العصور والتيارات الفكرية والأجناس الأدبية ، لا على حسب الأمم وآدابها ، بحيث يجد الباحث فيها طلبته من تاريخ متصل لحركة ما ، أو لفكرة أو لشكل فنى .

ويأمل الداعون إلى الأدب العام أن يتم فى القريب للباحثين فى تاريخ الأدب ما سبق أن تحقق للفلسفة والعلم والفن ، من تبعية تاريخ الآداب الخاصة للتاريخ العام للآداب جميعاً (١) .

(١) من أكبر الداعين لهذه الحركة المرحوم فان تيجم ، ومن يرد المزيد فى معرفة دعوته الى الأدب العام فعليه بالرجوع الى :

P.V.Tieghem: La Litt .Comp.,p,169— 213
R. de Synthèse Historique,1920,p.1—27

ويتضح من هذا المجمل الذى أوردنا فكرة الداعين إلى الأدب العام فى معناه وغايته . ولكن أكثر الباحثين فى الأدب المقارن لم يستجيبوا لهؤلاء الداعين ولم يحفلوا كثيراً بدعوتهم . ذلك أن التاريخ العام للأدب كما يدعون إليه يخرج من نطاق درس النصوص وتمحيصها إلى ميدان التجريد والتعميم ، وهو أخطر ما تتعرض له الدراسات الأدبية التى يجب أن تستمد دائماً أصولها من الإنتاج الأدبى ذاته كما سبق أن أوضحنا ذلك فى غير موضع من هذا الكتاب [1] وهذا الفارق الجوهرى هو الفاصل بين الأدب كإنتاج فنى ، وبين العلوم الفلسفية والاجتماعية لا تجاهها العقلى التجريدى . فمن الممكن وضع تاريخ عام للفلسفة ، أو العلوم العقلية إذ ميدان البحث فيها هو الأفكار وحدها . ولكن الأدب إنتاج مادته الأفكار الخاصة والمشاعر المصوغة فى تعبيرات فنية ، فسبيل الباحث فى تاريخه الرجوع إلى النصوص وتحليلها لتفهم الأفكار فى صيغها وفى طابعها ؛ بدون اعتماد على القواعد العامة والأفكار التجميعية وحدها .

لهذا ينبغى أن يبقى الأدب المقارن علما من العلوم التابعة للأدب الوطنى ، تشرح نواحيه الغامضة ، ويكشف عن العوامل

---

(١) راجع هذا الكتاب مثلاص ٤٤ ـ ٤٥ وص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

التى تتحكم فيه ، وعن مدى نفوذه فى الآداب الأخرى .

هذا إلى أن الأدب المقارن يتناول دراسة التيارات الفكرية والمذاهب الأدبية ، والتقاليد المختلفة ، والعواطف والمشاعر التى تنتشر فى الأدب عن طريق صلاتها بعضها ببعض كما سبق أن شرحنا فى الفصل السادس من هذا الكتاب . فإذا كان للأدب العام أهمية ينبغى أن يحفل بها الدارسون ، فيجب ألا تتجاوز ذلك النطاق ، لئلا تفقد البحوث أهميتها الأدبية ، وتضل فى شعاب التعميمات التجريدية . وبحسب الأدب المقارن أن يكشف عن العناصر التى تغذى بها ذوو المواهب الأدبية ، وعن العوامل التى ساعدت على تكوين تلك المواهب بفضل ماوصل إليهم من الآداب الأخرى، وكيف مثلوا تلك الثقافات ليخرجوها للناس خلقا آخر ذا طابع جديد . وبحسب الأدب المقارن أن يشرح وجوه الشبه والتفاوت بين الكتاب على حسب ألوان الثقافات وضروب الأفكار التى تسربت إليهم من وراء حدود أدبهم،وبذا تتبين الطرق التى سلكها العقل الإنسانى فى نشدانه للتقدم ، والمناطق التى عبرها ، والديون التى اقترضها من الآداب الأخرى . ولمثل هذه البحوث أهمية خاصة فى دراسة الأدب والكشف عن تياراته العامة ، ولكنها ذات أهمية أخرى إنسانية جليلة الخطر . فمن شأنها أن تدفع الشعوب إلى التفاهم مع الشعوب ، وأن تحول دون تحكم الغرور

القومى فى اتجاهاتها ، وأن تساعد على نشر لواء الأنسانية لتسير الشعوب وراءه إخوانا .

هذا إلى أن الأدب المقارن فى دراسته للتيـــارات العامة والأفكار يضرب صفحا عن الحدود الدولية واللغوية ، ليلقى ضوءا « على الانسانية فى تطورها ، والعبقرية فى تكونها ، والمدنية فى علاقاتها مع غيرها ، والآداب فى وحدتها العالمية . . » وبذا تتهيأ خير السبل للتعاون الحق والتفاهم الصادق بين الشعوب عن طريق التعرف على الاتجاهات العامة والميول المشتركة للعقل البشرى .

بعض مراجع البحث

المراجع العربية والفارسية

ابن المقفع (عبد الله) : كليلة ودمنة طبعة باريس سنة ١٨٢٢ .
ابن اسفنديار : كتاب تنسر نامه (ترجمة عن ابن المقفع) طبعة باريس ١٧٩٤ ،
بهار (أمير الشعراء محمد تقى بهار) : سبك شناسى طبعة طهران ١٩٠٣
البغدادى (بهاء الدين بن مؤيد) : التوسل إلى الترسل طبعة طهران ١٩٣٧
البيهقى (أبو الفضل محمد بن الحسين) . تاريخ بيهق طبعة طهران ١٩٤٥ .
الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد) : فقه اللغة طبعة القاهرة ١٩٣٦ ،
الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد) : يتيمة الدهر طبعة القاهرة ١٩٣٤ ،
وطبعة دمشق ١٨٨٥ .
الجرباذقانى (أبو ظفر ناصح بن شرف) تاريخ يمينى ، مخطوطة فارسية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٦٦ .
الحريرى (القاسم بن على بن محمد) مقامات ، طبعة باريس ١٧٢٢
حميد الدين البلخى (أبو بكر) مقامات طبعة طهران ١٨٧٣
دولتشاه . تذكرة الشعراء ، طبعة لندن ١٩٠١
عوفى (محمد عوفى) لباب الألباب ، لندن ١٩٠٣
العتبى (أبو نصر محمد بن عبد الجبار) : تاريخ يمين الدولة ، القاهرة ١٨٧٠
الفردوسى : الشاهنامه طبع وترجمة جول مهل J Mohl
منوجهرى (أبو النجم أحمد) ديوان طبع وترجمة Kazimirski باريس ١٦٨٦
نصر الله (أبو المعالى) كليله ودمنة طبعة طهران ١٩٢٨

المراجع الأفرنجية

Actes du Congrès International d'Histoire Littéraire et de Littérature Comparée, Paris, 1948.

L'Ame de L'Iran, Paris, 1951 .

Annales du Centre Universitaire Méditerranéen 1948 - 1950 .

Mattew Arnold : Poetical Works, Oxford, 1935

F. Baldensperger . La Critique et L'Histoire Littéraire en France au Xixes. New York, 1945

Baudelaire : Oeuvres Completes, ed. de La Pléiade, Paris, 1934 .

M. Braunschvig : Notre Littérature Etudiée dans Le texte, Paris, 1949 .

R. Bray : La Préciosité et les Précieux, Paris, 1948 .

Brunetière : L'Evolution des Genres dans L'Histoire de la littérature, Paris, 1892 .

J. Bédier · Les Fabliaux, Paris, 1893 .

Byron : Poetical Works, London, 1948 .

M. J M. Carré : Goethe en Angleterre; Paris, 1920 .

M. J. M.-Carré : Les Voyageures et Ecrivains Français en Egypte, Le Caire; 1932 .

J. Calvet : Les Types Universels dans Les Lettératures, Paris ; 1932 .

P -G. Castex : Le Conte Fantastique en France ; Paris ; 1951 .

L Cazamian : Symbolisme et Poésie; Paris, 1947 .

L. Cazamian : Histoire de La Littérature Anglaise ; Paris , 1924 .

O. Chakhachiri : Proche et Moyen Orient dans L'Oeuvre de Victor Hugo; Paris, 1950 .

A. Chevrillon : Taine et La Formation de sa Pensée; Paris, 1932

A. Christensen · Les Gestes des Rois dans Les Traditions de L'Iran Antique; Paris , 1936 .

A. Christensen : L'Iran Sous Les Sassanides ; Copenhague , 1944 .

H. Clouard : Histoire de La Littérature Française du Symbolisme à Nos jours; Paris , 1944 - 1949 .

P. Crouzet · Histoire Illustrée de La Litterature Française; Paris, 1916.

Desonay : Le Rêve Hellénique; Paris, 1928

Diccionario de Literatura Espanola; Madrid,1940

Diderot : Oeuvres; éd. de La Pléiade, Paris, 1946.

J. Foster : History of The Preromantic Novel In England; New York, 1949.

Goethe : Théatre Complet; éd. de La Pléiade, 1942.

Guyard : La Litterature Comparée, Paris, 1951

Hallam : Introduction to the Literature of Europe; London, 1972, Vol 4

P. Hazard : La Pensée Européenne au 18es, Paris, 1946

V. Hugo : Préface de Cromwell, cf Ruy Blas; Paris, 1945.

V. Hugo : La Fin de Satan, Paris, 1889.

Inostransev : Iranian Influence On Moslem Literature; Bombay, 1918.

La Fontaine : Fables; éd des Belles-Lettres, 1946.

P. Le Gentil : La Poésie Lyrique Espagnole et Portugaise, Rennes, 1949.

Letourneau : L'Evolution Littéraire dans Les Diverses Races Humaines; Paris, 1894.

Maeterlinck : Pelléas et Melisande; Bruxelles, 1944

M. Magre : Priscilla d'Alexandrie, Paris 1925

L. Maigron : Le Roman Historique à L'Epoque Romantique; Paris, 1912,

Martinenche : L'Espagne et Le Romantisme Français; Paris, 1922.

Martino : L'Orient dans La Littérature Française au Xvii et au Xviiies., Paris, 1906.

Mornet : Histoire de La Littérature Française Contemporaine; Paris, 1927.

Nykl : Hispano — Arabic Poetry; U S Baltimore, 1946

The Oxford Companion to Classical Literature; Oxford, 1934.

G. Paris : La Poésie du Moyen Age; Paris, 1595

A. Pauphilet : Poètes et Romanciers du Moyen Age; éd. de La Pléiade; Paris, 1934.

H Pérès : L'Espagne Vue Par Les Voyageurs Musulmans; Paris, 1934.

R. M. Pidal : Poesia Arabe YPoesia Europia; Argentina, 1946 .

Otto Rank : Don Juan, une ètude sur Le double; Paris; 1932 .

L. Renou : Les Littératures des Indes, Paris, 1951 .

H. Roddier : J-J. Rousseau en Angleterre; Paris 1950 .

R. Ricard : Les Salons Littéraires en France; New York, 1943 .

Revue de Littérature Comparée,1921, 1948,1949

Revue des Nouvelles Littéraires, 6 Septembre, 1951 .

Revue de Synthèse, 1920 .

N de Segur : Histoire de Le Littérature Européenne, Vol. 2, Neuchatel; 1948-1951.

Mme de stael : De La Littérature Considérée dans ses Rapports avec Les Institutions Sociales; Paris, 1887 .

Mme de Stael : De L'Allemagne; Paris, 1835

J. Suberville : Théorie de l'Art et des Genres Littéraires; Paris 1948 .

Thibaudet : Physiologie de La Critique; Paris, 1930 .

J. Texte · Etudes de Littérature Européenne; Paris, 1898.

P. Van Tieghem : Re Romantisme dans La Littérature Européenne; Paris 1948

——————— : Répertoire Chronologigue des Littératuses Modernes, Paris, 1937

——————— : Le Préromantisme, 1947 .

——————— : La Littérature Comparée, Paris, 1946 .

Ph Van Tieghem : Petite Histoire des Grandes Doctrines Littératres; Paris, 1950.

R. Zellweger : Les Débuts du Roman Rustique, 1941 .

E Zola : Le Roman Expérimental; Paris. 1928

الفهـــــرس

استدراك

ننبه هنا إلى الأخطاء التى لامندوحة من التنبيه إليها ، معتمدين على فطنة القارئ فى إدراك الأخطاء الأخرى ، ولم نصحح ماوقع من خطأ فى أسماء الأعلام والكتب الأفرنجية اعتماداً على قائمة المراجع فى آخر الكتاب .

ففى ص ٣ س ٨ كلمة بقاصر وصحتها بمقصور ، وفى ص ١٦ س ٣ عليهما وصحتها عليها . وفى ص ٢٦ س ٥ الأدب وصحتها الآداب . وفى ص ٢٧ س ٦ الاجتماعية وصحتها الاجتماعى . وفى ص ٦١ س ٦ القصة المسرحية وصحتها القصة والمسرحية . وفى ص ٨٦ س ٦ استبدل كلمة أوربا بكلمة فرنسا . وفى ص ١٢٠ هامش رقم ٢ استبدل ص ١١٤ بص ١٠٠ وفى ص ١٢٣ س ١٢ كلمة أنه وصحتها أن . وفى ص ١٤٧ س ٣ كلمة من وصحتها عن . وفى ص ١٤٨ س ٣ استبدل كلمة مجموعته بكلمة روايته . وفى ص ١٦٠ س ٥ كلمة طبقة وصحتها طبعة . وفى ص ١٧٠ س ١٢ كلمة قاصرة وصحتها مقصورة . و ص ١٩٦ س ١٢ الاستقبلال وصحتها الاستقبال وص ١٩٧ س ٩ عليهم وصحتها عليهن،وص٢٠١ س١١كلمة العملية وصحتها العلمية،ص٢٠٧س١١كلمة ثلاث وصحتها ثلاثه

تنبيه : وقع سهو فى ص ١٤٨ س ١٤ فقد أسندنا عبارة إلى أندريه جيد ، وهى فى الواقع لأندريه سوارس A. Suarès .


Bibliotheca Alexandrina
0420814